الشرق الأوسط الديمقراطي

فصلية فكرية ديمقراطية حرة تعنى بشؤون الشرق الأوسط

العدد36 ـ شتاء 2017

ملف العدد

العلاقات الكردية ـ العربية

- الأخوة والسلام جوهر المسلمين وأحفاد العمَوريين
- العرب والكرد حديث الخنادق أم رصاص البنادق
- ظلال الفكر البعثي على العلاقات الكردية - العربية
- حول مفهوم المواطنة والوحدة الوطنية

فيلسوف القومية التركية

العلاقات الكردية - الفارسية

وفي العدد أيضا

أصالة العلاقة الكردية الفلسطينية
منذ اندلاع الثورة

الأمة الديمقراطية مثال عملي لواقع
التعايش بين المكونات
في الشمال السوري

العلاقات الكردية العربية بين
أطماع إسرائيل و إيران

الشرق الأوسط الديمقراطي

مجلة فصليةفكرية تحليلية تعنى بشؤون الشرق الأوسط

إدارة المجلة

رئيس مجلس الإدارة
شاهو كوران

المشرف العام
زياد محمد

رئيس التحرير
استيرك كلو

هيئة التحرير
صلاح الدين مسلم
سليمان محمود
هجار شَكر

الإخراج الفني
نجم محمد

قرائنا الأعزاء

يمكنكم متابعتنا والإدلاء بآرائكم ومقترحاتكم وإرسال مساهماتكم عبر وسائل التواصل التالية

serqalawset@gmail.com
http://www.alawset.net

رقم الاعتماد
لدى نقابة الصحفيين العراقيين
١٤٨
رقم الإيداع
دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٦٨
لسنة ٢٠٠٥

مواد العدد

- في الحوار العربيّ الكرديّ / هيئة التحرير ٠٠٣
- الأخوة والسلام وتجاوز الشوفينية القومية والدينية جوهر المسلمين
وأحفاد العمّوريين / عبد الله أوجلان ..... ٤ - ١٣
- حولَ مفهوم المواطنة، والوحدة الوطنيّة / سليمان محمود ..... ١٤ - ٢٠
- العلاقات العربية الكردية بين أطماع اسرائيل وايران / جلال زنائي..... ٢١ - ٢٥
- العرب والكُردُ حديثُ الخنادق أم رصاصُ البنادق / دانا جلال ..... ٢٦ - ٢٨
- الكُردُ والعربُ في سوريا / رياض دَرار ..... ٢٩ - ٣١
- في تاريخ العلاقات الكرديّة والعربيّة - الإسلاميّة / صلاح الدين مسلم ..... ٣٢ - ٤٠
- قراءة في العلاقة الكردية - العربية في ظلّ الحُكم الإسلامي
العهد الأيوبي نموذجاً / دلبرين فارس ..... ٤١ - ٤٧
- ظلال الفكر البعثي على العلاقات الكردية - العربية / أحمد مصطفى ٤٨- ٦٠
- الكرد والعرب تعايش مشترك وعلاقات تاريخية مديدة / خالص مسور ..... ٦١ - ٦٨
- الأمّة الديمقراطيّة مثال عمليّ لواقع التعايش بين المكونات في
الشمال السوريّ / إلهام أحمد ..... ٦٩ - ٧٦
- أصالة العلاقة الكردية الفلسطينية منذ اندلاع الثورة / مصطفى دحدوح ..... ٧٧ - ٨٣
- الكُردي ضِيا گُوك أَلْپ فيلسوف (القومية التركية) / د. أحمد خليل ..... ٨٤ - ٨٩
- العلاقات الكردية - الفارسية تاريخياً / أمير كريمي ..... ٩٠ - ٩٤
- المغالطات المهنية التي تتلبس زيّ الدعاية السوداء / مصطفى عبدي وفرهاد أحمى ..... ٩٥ - ١٠٣
- حول مفهوم الديمقراطية والمجتمع الديمقراطي المعاصر / أنس أحمد ..... ١٠٤ - ١٠٩
- الكُردُ تاريخٌ ونضال - شخصيّاتٌ كُرديّةٌ ساهمتْ في مُقارعة الاستعمار الفرنسي
وتحرير سوريا الحديثة / روهان قامشلو ..... ١١٠ - ١٢٠
- عبد الله أوجلان يسجنُ سجّانه / عاطف مغاوري ..... ١٢١ - ١٢٢
- أوجلان من مؤامرة للسقوط الى الصمود / كولي فيلي ..... ١٢٣ - ١٢٤

افتتاحية العدد

في الحوار العربيّ الكرديّ

تكمن أهمّيّة الحوار العربيّ الكرديّ في تخلّي الطرف العربيّ عن سياسة الاستعلاء والأب الحاضن الذي يحقّ له معاقبة الابن العاق بنظره. وفلسفة الرضا عن الابن البار بنظره أيضاً. فمفهوم الابن البار في الذهنيّة الرجوليّة السلطويّة يتعلّق بالتبعيّة والانصياع وعدم الاعتراض. وكذلك تخلّي الطرف الكرديّ عن مفهوم العبد الذليل. أي البحث عن مفهوم الرضى أو عدم الرضى. وعلى الأغلبيّة العربيّة في سوريا ألّا تعطي الحقّ لها أن تنظر بعين العطف والشفقة إلى الشعوب غير العربيّة ومنها الشعب الكرديّ. بل يجب أن يُنتفى مفهومي الأغلبيّة والأكثريّة وهذا جوهر القضيّة الديمقراطيّة وليست ديمقراطيّة الأغلبيّة الليبراليّة التي أنتجت الويلات والدمار والحروب.

وبالطبع تخلّي كلا الطرفين عن التعصّب القوميّ سواء كان الجانب العربيّ هو من ابتدأ بهذه الفكرة المستوردة. وحيث نشأت ردّة فعل الكرديّ للوقوع في فخّ القوميّة. وسواء كان أي من الطرفين يلقى اللوم عليه في هذه الناحيّة في إنعاش فكرة التعصّب القوميّ. فما يهمّ هو التخلّص من الفكر القوميّ التعصّبي وليس القوميّ. فلكلّ مكوّن الحقّ في شعوره القوميّ وحقّه القوميّ وطموحه القوميّ بعيداً عن التعصّب.

ومن هنا ومن خلال هذا البحث في العلاقة التاريخيّة بين الكرد والعرب. أو بين الكرد والترك. أو بين الكرد والفرس. والتنقيب عن نقاط التلاقي لا الاختلاف والبحث عن سبل الحل. والنظر إلى اتّفاقيّة سايكس بيكو على أنها الكارثة التي أدّت إلى كلّ هذا التناحر والاقتتال. حيث أصبح الشعب الكرديّ مجزّأً ما بين أربعة دول اعتمدت فيها اللغات القومية: العربيّة والفارسيّة والتركيّة. وشنّت حملات الصهر والإبادة على الشعوب الأخرى. فبات هناك خلط كبير ما بين الدولة القوميّة وما بين الشعب الذي ينتمي إلى لغة الدولة. فاستطاعت الدولة القوميّة عبر القرن الماضي حتّى الآن أن تخلق شرخاً كبيراً ما بين الشعوب غير العربيّة وغير التركيّة وغير الفارسيّة وما بين المجتمعات المنتمية إلى لغة الدولة القوميّة.

وقد حاولنا في ملف هذا العدد قدر المستطاع تسليط الضوء على هذه العلاقة ما بين الشعب الكرديّ والشعب العربيّ على وجه الخصوص. والبحث في أغوار هذه العلاقة. من خلال وجهات نظر متعدّدة. ومن خلال كتّاب وباحثين من معظم الأطياف الفكريّة التي ساهمت في تسليط الضوء على هذه العلاقة. والبحث عن المشاكل والعوائق التي فرّقت ما بين الشعوب. ومن هو المستفيد؟ وما هو الحلّ المقترح؟

هيئة تحرير المجلة

الأخوة والسلام وتجاوز الشوفينية القومية والدينية جوهر المسلمين وأحفاد العموريين

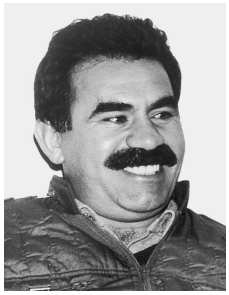

عبد الله أوجلان

إنّ منطقة السومريين هي منطقة تقاطع لمنطقتين أساسيتين تلعبان دوراً كبيراً في التاريخ، ومن الواضح أنّ مملكة السومريين التي كانت تقع في أخصب منطقة ما بين الصحراء العربية وسلسلة جبال طوروس ـ زاغروس ستتعرض للاعتداءات والغزوات الدائمة كلما تطورت حضارتها، إذ كانت الحضارة السومرية تفتح الشهية وتبهر العيون بغناها كالإمبراطورية الإغريقية والرومانية، والأكثر من ذلك كانت تتّبع سياسة توسعية دائماً.

وقد لعبت موجات القبائل السامية دوراً مهمّة في مراحل كبرى، وإن إسهاماتها في تشكّل حضارتَي مصر وسومر واضحة جداً، وغالباً ما كان مرتبطاً بالقيادات النبوية، ويشكل العموريون الذين خرجوا ضد السومريين في الشرق والكنعانيون والعبريون الذين قاوموا مصر أحياناً وشنّوا هجوماً عليها أحياناً أخرى في الغرب، المرحلة الثانية، أمّا المرحلة الأخيرة؛ فهي مرحلة انتشار العرب الساميين في العصر الإسلامي الإقطاعي، ومازال العرب يواصلون انتشارهم.

لقد بدأ التصلب الحقيقي باستيلاء العموريين ذوي الأصول السامية على المدن السومرية، حيث جلب المسار الأكادي البابلي الآشوري معه التوحيد في المفهوم الديني والإلهي مع تحقيقه القوة الاقتصادية والسياسية على قاعدة من العنف المتطرف، أي جلب مفهوم الإله الحاكم الذي يعاقب، واقتضت التجارة التي ازدادت أهميتها، إيجاد قوانين قاسية، كما أنّ لاتحاد القبائل إسهاماً مهمّاً في هذا التطور، إذ أنّ الاعتقاد بالإله (إيل) الذي يعتبر الإله المشترك للقبائل ذات الأصول السامية يظهر تطوراً يبتدئ مع النبي إبراهيم وينتهي مع النبي محمد الذي وصل إلى مصطلح «الله» القوي المتّصف بـ ٩٩ صفة، حقاً إنّ الله هو انعكاس فكري لمركزية القبائل التي استمرت عشرة آلاف عام على الأقل في شبه الجزيرة العربية التي مرّ فيها هذا المصطلح بالعديد من المراحل حتى

تحول إلى رمز قوي للقبائل السامية بشكل عام، ووصل إلى الذروة مع النبي محمد، حيث أخذ شكله النهائي باعتباره هوية إيديولوجية لمجتمع التجار، وهو إله يتميز بجانب قومي يعد أعلى انعكاس إيديولوجي للقوة الاجتماعية للساميين والعرب.

وعندما أنشأ السومريون والمصريون المراكز الحضارية كانت القبائل ذات الجذور السامية والتي يقال لها؛ العموريون عند السومريين والعبرانيين، والعموريتAmorit ، وقبائل الصحراء الغربية و Abiru القبائل المغبرة الشرقية عند المصريين تنتقل بين المركزين بشكل مستمر، وكانوا ينضمون إلى النظام كقوة عمل متجددة، أو أحياناً يقومون بغزوات وبأعمال السلب والسرقة، يبدأ هذا المسار مع نشوء الحضارة منذ ٣٠٠٠ ق.م، حيث تظهر باعتبارها مصدراً للتناقضات التاريخية الهامة. في شمال شبه الجزيرة العربية، إذْ لم تكن تمتلك قدرة المنافسة مع النظام، ولكنها كانت تمتلك إمكانيات الدفاع الجيد في عمق الصحراء، إذ كانت مؤسسة شيوخ القبائل التي تمثل زعامة القبيلة، قد تجاوزت دور الساحر والشامان.

وفي هذا السياق تَعدّ أورفا وما حولها التي تتشرف بأنها مدينة الأنبياء المنطقةَ التي انتشرت فيها المستوطنات السومرية حوالي عام٢٠٠٠ ق.م، وفي الوقت ذاته تعدّ المنطقة التي تشكل مصدراً للتاريخ لوقوف ثقافتين تاريخيتين في تلك المرحلة وجهاً لوجه والاشتباك فيما بينهما، وهما مجموعة العموريين الرعاة المتنقلين ذَوِي الأصول السامية المتدفقين بشكل مستمر من الصحراء العربية نحو الشمال وباتجاه ميزوبوتاميا، وبين الهوريين "Hurri" الزراعيين الشماليين ذوي الأصول الآرية، وأكثر من ذلك فهي شهدت انشغال هؤلاء بالتجارة في المستوطنات السومرية.

حملة سيدنا محمد العظيمة

إنّ تحليل مصطلح «الله» الذي قام به سيدنا محمد كان أكبر حملة تاريخية عظيمة باسمه، حيث أنّ هذه المشكلة كانت بمثابة القفل، ورغم أن تحديد الأرضية المادية يتمتع بأهمية كبيرة إلّا أن الأصعب في ذلك هو تحليل المصطلح الإيديولوجي الأساسي أي «الله «، ولا توجد قيمة علمية كبيرة لمحاولات تعريف الله من قبل التيارات اللاهوتية والفلسفية، ولم يتم إجراء التحليل الاجتماعي للمصطلح بعد.

إن « أل» = الروح هو إله تعود جذوره إلى السامية، وهو مصطلح الإله، رغم المعطيات المحدودة الموجودة بين أيدينا، وأعتقد أنه تصورٌ بمعنى «إله السماء العالي» وقد طورته القبائل بعد مرحلة الدين الطوطمي وتحت تأثير الحضارة على الأغلب، ويلفظ ذلك في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية بشكل مختلف وبلهجات مختلفة، ويمكن أن يكون قد تمّ تحويله إلى مصطلح كهوية إيديولوجية أساسية بشكل يوازي «القبيلة = الشيخ» و «الطبيعة = أل»، وإنّ التفكير به كمالك شامل للنظام الطبيعي يتزامن مع تطور القبائل، وكما هو الشيخ صاحب القبيلة فإنّ صاحب الطبيعة هو أل «الله». إنّ الشيخ هو في موقع الزعيم السياسي والمعنوي للقبيلة في الوقت نفسه، إذْ تكمن قوة القبيلة وتعاظمها في مسؤوليات وقوة الشيخ، إنه شكل بدائي من الملكية، والتفكير الناجم عن هذا الوضع لدى الشيخ أسفر عن تنصيب نفسه على رأس القبيلة، أي أنّه صاحبها، وهكذا يكون الله فوق الطبيعة كلها وصاحبها، وقد تطوّرَ كلا المفهومين وأُوليا بالأهمية، وبذلك فقد تم وضع «أل» مقابل « العالي»، وفي المرحلة التي تحررت فيها القبيلة من الخنوع والارتباط الكلي بشروط الطبيعة، وحصلت على مقومات العيش الحر والآمن،

إن الاعتقاد بالإله (إيل) الذي يعتبر الإله المشترك للقبائل ذات الأصول السامية يظهر تطوراً يبتدئ مع النبي إبراهيم وينتهي مع النبي محمد

ومع حدوث التمايز تشكلت العلاقات الفوقية والتحتية، ومثلما لعب الصاحب العالي دور المهيمن فإنّه في نفس المرحلة ضعفت العقائد الطوطمية، وبتشابه مماثل حدث الانفصال في الطبيعة إلى أرض وسماء، مع تصورهم أن «أل» هو حاكم السموات والأرض «كما يحكم شيخ القبيلة قبيلته ورعاياه»، وبذلك تم وضع مصطلح الإله. فمصطلح الله يعبر عن الملكية إلى جانب السمو، وهذه صفة مهمة كمالك وحاكم، إن المالك والملك مشتقة من مصدر «الملك»، وتتفاعل علاقة الملكية في جميع اللغات السامية وتكتسب معنًى عند القبيلة يصل فيها إلى الملك، وتتقي الملكية والسمو في القبيلة مقابلها على شكل حاكم السموات والأرض أي الله، في علاقة الأرض والطبيعة والسماء.

قوة الدفاع الطبيعية للصحراء

إنّ وجود تلك المدن بجوار الإمبراطوريات الثلاثة يعدّ ميّزة بارزة لها. ولم تتمكن أيّة إمبراطورية ضمّ المدن المذكورة إلى حدودها بشكل كامل، وكأنّ الصحراء كانت تلعب دور بحر من الدفاع الطبيعي. ولم تستطع أيّة قوة مقاومةَ القبائل العربية التي كانت تمتلك الحديد وقوة السيف والخيول، التي تلعب دوراً إستراتيجياً هنا، ونضجت الظروف الأساسية لمرحلة تاريخية إستراتيجية عند توحّد الدور الذي تلعبُه الجمال (سفن الصحراء) في التجارة مع السيف والخيول التي توحدت مع قوة الدفاع الطبيعية للصحراء. ولم تتخلص جيوش الإمبراطوريات الثلاثة من تكبّد الخسائر والانسحاب رغم قيامها بعدة حملات على مكة، إذ ليس هناك ما تقوم به الجيوش النظامية في هذه الظروف، فقصة تشتّت الجيش الحبشي من خلال الحجارة التي أمطرتها طيور الأبابيل «آية في القرآن» هي الشرح الديني لمحاربة الفُرَق القبلية بواسطة السيف والخيول، وفي الوقت الذي أدّت فيه التجارة بين الإمبراطوريات الثلاثة إلى غنى غير طبيعي وظهرت قوة الخيول والسيف، وحرب الكريلا حسب ظروف الصحراء جلبت معها إمكانيات نجاح كبيرة، ولكن يصعب الاعتماد على حرب الكريلا الصحراوية في كل مرحلة تاريخية، وكلّ حرب بما فيها تلك التي قامت ضد الأنظمة في الصحراء الغربية والمغرب والجزائر والسودان، وهناك قيام كريلا مشابه لكريلا الصحراء من صحاري منغوليا وتركمانستان، أدّت إلى أقوى حملات توسع في التاريخ. وكذلك كانت طرق الكر والفر عند الآريين تعتمد على أنظمة جبال زاغروس ـ طوروس، بينما اعتمد الألمان والسلاف على غابات وسهوب الشمال ضد المراكز الحضارية في ظروف مشابهة، وبنفس المنطق. ومن المعروف أيضاً أنه قد تشكلت ظروف مشابهة في المراكز الحضارية التي تطوّرت في وديان النيل ودجلة والفرات ابتداءً من الألفية الثالثة قبل الميلاد في شبه الجزيرة العربية. لقد أدى وجود القرى ذات الإنتاج الغزير في العصر النيوليتي، والظروف التجارية التي ظهرت مبكراً بين مراكز مدن النيل والفرات ودجلة إلى تحول للقبائل السامية، وهذا ما جعلها قوة دفاعية وهجومية في آن معاً، وكانت تقوم بالنهب بشكل متتابع، وتعيش حياة مستقرة عندما تحصل على القوة، وتهرب إلى أعماق الصحراء عندما لا تتمكن من امتلاك

القوة.

الهوية الايديولوجية للإسلام

إنّ وصف النبي محمد كشخصية ثورية تليق بالعصور هي مسألة لا تقبل النقاش، وعند مقارنته بالأنبياء الثلاثة الهامين إبراهيم، موسى، عيسى. نرى أنّه استطاع عرض منطقه وإرادته بشكل أقوى وطبّقهما ونظمهما على أرض الواقع، وهو الشخصية التي استطاعت تنظيم مسارها بشكل ناجح وتحوّلت بجهودها الكبيرة إلى وضع القوة الحاكمة في الجزيرة العربية وهي على قيد الحياة، وعلى هذا الصعيد يمكن مقارنته بشخصيات نادرة في التاريخ مثل الاسكندر ولينين، وعند مقارنتنا للمفهوم التاريخي والاجتماعي سنرى النبيّ محمّداً علمياً ليس بطريقة الدوغمائية الدينية، وإنّما كمعلم إيديولوجي ورجل سياسة وعملياتي ولا حاجة للنظر إلى النبي محمّد وتقييمه من خلال إكسائه درعاً من القدسية، لأنّ العلم سيعطيه حقه لأنه من الشخصيات التي تأتي في المقدمة تاريخياً، فالتطور العقائدي للإسلام لم يسمُ بمحمد كما يعتقد، بل تم إظهاره بهوية شخص منهمك بالعقيدة الدينية وهو لا يستحق ذلك.

وفي الوقت الذي نعرّف هذا التطور التاريخي الكبير بهذا الشكل، فإنّ رؤية خصائص ومساهمة النبي محمد عن كثب ينطوي على أهمية كبيرة. كما تشير المصادر فإنّ الظروف التي ولد ونشأ فيها النبي محمد هي ظروف مثلث مكة والمدينة والطائف والتي تعتبر المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية الموجودة في نقطة تقاطع الإمبراطوريات الثلاث التي تشكل القوى الأساسية لذلك العصر، وهي الإمبراطوريات البيزنطية والساسانية والحبشية، فقد تمّ إنشاء هذه المدن اعتماداً على التجارة التي شهدت تطوراً كبيراً بين الإمبراطوريات الثلاث، فالتمدّن يعني التطوّرَ والغِنى والازدهار بالنسبة للنظام القبلي الصحرواي، فالتمدن في اللغة العربية يعني التحوّل إلى المدينة ويعني التحضّر، واسم المدينة مأخوذ من هذا الفعل، وهذه المدن التي بناها العرب الأثرياء الساميّون على الطرق التجارية مكّنتهم من التحضر.

إنّ هذا التقييم القصير يُظهر علاقة الإسلام بمفهوم التجارة من ناحية الهوية الإيديولوجية والتمأسس العسكري والسياسي أيضاً، فظهور الإسلام وصعوده يمثل قوّةً وهيبةً للتاجر وذكاءه والتزامه بالقواعد، وتعتبر أوّلَ عملية للأسرة التجارية التي تخلق قوة ضاربة كبيرة، ودولةً وحضارةً جديدتين بهوية إيديولوجية مستقلة، وهي انفجار كالبركان لتراكم تجاري تحقق عبر آلاف السنين في شبه الجزيرة العربية، وأدّى إلى التأثير على جميع أنحاء العالم بعد التجربة الملكية للقبائل العبرية في القدس، وذلك يمثل حملة دينية وعسكرية وسياسية واقتصادية كبيرة مستندة إلى تجارة القبائل العربية لتحوّلها إلى دولة أساسية وقوة حضارية، وتظهر سنة محمد وعدة آيات قرآنية المديح للتجارة وتقديسها كقيمة إلهية، بينما نرى أنّ الغذاء النباتي والفواكهة والحيوانات الأليفة كانت مقدسة في العصر النيوليتي وفي المجتمع السومري الذي كان يعتمد على الزراعة، والمصري الذي كان يعتمد على العبودية، فكلمة مقدس «كاووتا» بالسومرية تعني الغذاء، وإن طبقة التجار هي القوة الاجتماعية الكبيرة الثانية التي اعتمدت عليها الحضارة بعد الطبقة الزراعية القروية، وانتشرت العبودية بين تلك الطبقتين، ويأتي الحرفيون المرتبطون بالتجارة بعد التجار على الأغلب، ويطلق على هذه الطبقة اسم طبقة التجار المرابين في الشرق الأوسط، وهؤلاء روّاد تطور الفائدة والربا، كمؤسّسةٍ تتصدّر التجارةُ الدورَ الأوّلَ في تطوّرِ النقد والعمليات الحسابية والرياضيات، ويظهر التفكير المجرّد وتحميل الكلمات معانيَ مختلفة تطوراً يعبّر عن

انعكاسٍ لتغيير الحياة الاقتصادية والتجارة.

يمكننا القول: إنّه كما كانت الحضارة المصرية والسومرية مدينتين لهبة النيل ودجلة والفرات، فإنّ الإسلام كان هبة التجارة التي كان مركزها مكة في شبه الجزيرة العربية. والإرث العبري هو ثمار تجارة تطوّرت بين المراكز الحضارية في الأساس، وعندما نأخذ بعين الاعتبار الهيمنة اليهودية على التجارة والتمويل العالمي يمكننا فهمُ دورِ التجارة العظيم في التطور الحضاري بشكل أفضل.

العثمانيون حراس القبور

إذا قيّمنا المرحلة الواقعة بين القرن العاشر والخامس عشر نراها مرحلة الرعشة الكبيرة والأخيرة، حيث تم صب الأسمنت على القيم الثقافية التي يزيد عمرها عن ١٥٠٠٠ سنة، بعد القرن الخامس عشر، وقام المغول بدفن ما تبقى بسرعة وبعنف، ولم يقم العثمانيون بأيّ دور سوى دور «حراس القبر»، أمّا السلطان محمد الفاتح فقد أدى الدعاء على المقابر فقط بعد عدة رعشات، وما تبقى يشبه قيام العرب البدو بإهمال آثار الحضارة المصرية، أو كان يتم الرقص بغباء مثل الرقصات الإفريقية البدائية، إنّ نظام القصر العثماني كان مثل سكون القبر، وذلك واضح إلى درجة كان يتم قتل الأطفال فيه من أجل سلامة السلطة، ولا يمكن أن يكون لذلك علاقة بالإسلام، فقد كان مفهوم أهل البيت هو المحافظة على حب كل أفراد العائلة إلى درجة التقديس، وكانت الأنماط المتردية التي استلمت الحكم، تعتمد على تطوير الموت وليس الحياة على هذا الشكل دائماً، فكان نيرون الروماني رمزاً لسلطان الموت الذي تم تنفيذه على عيسى عند ظهور المسيحية، وتم الالتزام بذلك عند البيزنطيين بظلام دامس، وقام العثمانيون المتبرجين بالإسلام مظهراً بلعب آخر المشهد الثالث والأخير من مسرحية

لم يقم العثمانيون بأيّ دور سوى دور «حراس القبر»، أمّا السلطان محمد الفاتح فقد أدى الدعاء على المقابر فقط بعد عدة رعشات

الموت، إن كل أنواع موسيقى وشعر القصر العثماني كانت تعبر عن ازدواجية غير مشروعة للبكاء واللذة الرخيصة، وما أريد أن أقوله: أنه في الوقت الذي كانت تبكى فيه القيم الحضارية الكبيرة المفقودة، كانت الحياة السفيهة تمارس فوق قبورها الرقصة البدائية على الأموات، إن القهر الذي لا يحتمل للحياة في الشرق الأوسط، ليس نابعاً عن حرارته أو بطالة العمل أو التناقضات التي لا معنى لها، أو الجهل، بل ينبع من انتقام الماضي الذي تعرض للخيانة والذي لا يعفو.

تشتت العبريين

وبالنسبة لليهود فقد جرّوا على أنفسهم أكبر الكوارث، ففي الوقت الذي كانوا يحضرون فيه لانهيار روما بفتحهم الطريق أمام عيسى، تشتتوا في كافة أنحاء الأرض، وفي الوقت الذي كانوا يسعون فيه لتعليم العالم في كل مكان كانوا يعرضون أنفسهم للمجازر بسبب شوفينية الشعب المتفوق، وبينما كانوا يلعبون دوراً ثقافياً أساسياً أثناء ولادة الإسلام ومحمد في الجزيرة العربية، تلقوا الضربة القاسية من الإسلام ذاته، وبينما كانوا من القوى الخلاقة في العصور الوسطى؛ أوقعوا أنفسهم في موقع تعرضوا فيه لكل أنواع المجازر، وبينما كانوا يأخذون مواقعهم على رأس القوى الطبقية والمثقفة التي لعبت دوراً أساسياً في فكر وقوة رأس المال الأساسي الذي وضع الأسس لعصر

الرأسمالية لم يستطيعوا أن ينقذوا أنفسهم من المجازر والضربات التي تلقوها من الرأسمالية ومن الماركسية فيما بعد، هؤلاء هم العبريون أصل القوة والقومية والثقافة.

تجديد دين النبي ابراهيم

لقد ظهر العرب كآخر جيل للقبائل الصحراوية على ساحة التاريخ بعد أن قاموا بانفجار كبير مع قيام النبي محمد بتجديد دين النبي إبراهيم، ويشكل الإسلام والله والقومية العربية هوية ونسيجاً إيديولوجياً مترابطاً بإحكام، وفي الواقع وكما يتضح من الناحيتين العرقية والدينية، فإنهم أقرباء لليهود، ويأتي ازدياد التناقض فيما بينهم من التمايز الطبقي. وتقدم الصراع خطوة إلى الأمام بين اليهود الذين أصبحوا أثرياء من التجارة، والعرب الذين يعبّرون عن آخر اتحاد للقبائل الصحراوية مع ظهور الإسلام. في الحقيقة لقد بدأت هذه المرحلة مع النبيّ إبراهيم الذي قام بإنطلاقات ضد ملوك المدن السومرية الأغنى من العبريين، كما وجه موسى نفس القبائل العبرية الفقيرة ضد الملكية المصرية. ويتواصل هذا النوع من الصراعات في إسرائيل الحالية، ولم يكن هذا الصراع أقل من صراع الهلينيين مع الرومانيين، والبابليين مع الآشوريين. إذ تعود الخبرة اليهودية الكبيرة في التاريخ إلى الدروس التي تلقوها من هذا الصراع وقوة التجارة. لقد تعرض اليهود إلى أكبر تهجير من قبل الرومانيين بعد الذي تعرضوا له على يد البابليين، وانتشروا في جميع أنحاء العالم بعد عام ٧٠ م.

إنّ امتلاك اليهود الذهن التجاري الأكثر مكراً في العالم، قد حرّض المجتمعات التي أقاموا فيها وهذا ما أدّى إلى تعرّضهم إلى الإبادة بشكل متكرر. وأصبح ظهور الدولة الإسرائيلية أمراً لابدّ منه مع الفاشية الألمانية الهتلرية، إنّ إسرائيل هي تسدّد الأوساط المحيطة وفي مقدمتها العرب فاتورة الإبادة التي مارستها الفاشية الألمانية بحق اليهود. ويأتي اليهود في مقدمة قائمة المجموعات المؤثرة في تطور وانتشار الرأسمالية ولا سيما في الحضارة الأوروبية وأمريكا. ولهم تأثير في التجارة والمال والعلم والفن وحتى في الأماكن الحسّاسة في السياسة في جميع أنحاء العالم، حيث تقف وراءها الرأسمالية، وقد ازدادت تناقضاتهم مع العرب حول موضوع الأرض، ولا يمكن إزالة إسرائيل لكن تحول شكلها الموجود يمكن أن ينتج وسائلاً للحل، كما أنّ تحوّل القومية العربية أيضاً شرط. وفي حال العكس فإنّ وجود قوميتين قد يؤدي حتى إلى استخدام قنبلة ذرية جديدة. ولإسرائيل تفوّق إستراتيجي في هذا النمط من الحرب، لكن ذلك لن يفيد في المجريات العملية.

وفي القدس تم تعقيد المشكلة لتتحول الى ظلم كبير، والذي أدى الى ذلك هو التشبث بالقومية التي وصلت إلى طريق مسدود في جميع أنحاء العالم، وكأنّ هذه المدينة المقدسة تحمل لعنة القومية والقبائلية السابقة، إلّا أن اسمها يعني القدسية وديار السلام. فكما لعب اليهود دوراً في ظهور أبوية الأديان التوحيدية، كذلك لعبوا نفس الدور في ظهور القومية، مع أنّهم يعتبرون من أكثر الذين تضرروا وأصبحوا ضحية لهذين المفهومين. بالإضافة الى ذلك أدّت التجارب التي عاشها اليهود بين الحضارات إلى نشأتهم على قيم قوية في مجالات العلم والفن والاقتصاد، وابتداءً من كتابة الكتب المقدسة والكثير من المؤلفات لرجال العلم والفنون، فقد وصلوا إلى قوّة كبيرة من الناحية المادية والمعنوية، حتى كأنّهم يحركون كل الإيديولوجيات والمؤسسات الأساسية على أصابعهم.

القضية الكردية هي من أشد القضايا تعقيداً في الشرق الأوسط، وتتخذ طابعها من نمط تكوّن الواقع الذي تستند إليه، ولا مفر من أن تشابك القضية الكردية بشكل أكثر في المستقبل

أمّا بالنسبة للعرب، فقد ظلوا متخلفين باعتبارهم آخر المجموعات الصحراوية السامية. لكن انتشارهم في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية وأفريقيا الشمالية، أدى إلى وصولهم إلى ثروة وقوة نوعية من الناحية الجغرافية على الأقل، بذلك وقعت مجموعتان ساميتان في وضع المواجهة على الصعيد العالمي، فغدَوا ضحايا ما خلقوه من دين وقومية، وبدأت تبتلعهم الوحوش التي خلقوها بأيديهم، ولذلك فإنّ تجاوز مواقفهما المعتمدة على الدين والقومية هو الحل الوحيد. إذ يجب على هاتين المجموعتين اللتين يمكن أن تلعبا دوراً مهمّاً في الشرق الأوسط أن تتفقا في إطار مقاييس الحضارة الديمقراطية، وهكذا فإنّ المخرج الوحيد هو الفيدرالية المرنة بدلاً من الانقسام القومي والديني، ويجب برمجة فيدرالية عربية إسرائيلية تحت نظام اقتصاد السوق الحر مع حرية الكيانات الثقافية ولأمد طويل، علماً بأنّ الفيدرالية ضرورية أيضاً من أجل العرب المنقسمين إلى ثلاثة وعشرين دويلة. فليس للاتحاد العربي الموجود «الجامعة العربية» دورٌ وظيفيٌّ كما يجب، بل إنّ فيدرالية ديمقراطية عربية ـ إسرائيلية ترغم العرب على التوحد تحت سقف واحد، ومن الواضح أنّ الشرق الأوسط برمّته سيستفيد من هذه الفيدرالية عدا بعض الأطراف الرجعية، ويظهر أنّه لا مفر من سير العلاقات العربية الإسرائيلية نحو الحل تحت ظل فيدرالية في القرن الواحد والعشرين، ويمكن للتجربة الديمقراطية لإسرائيل في العالم أن تلعب دوراً تاريخياً في دمقرطة العرب.

أهمية الوفاق العربي ـ الإسرائيلي

سيكون الوفاق العربي ـ الإسرائيلي خطوة كبيرة على طريق السلام والوحدة الديمقراطية في الشرق الأوسط، وستكتسب الأطروحة المضادة لأطروحة الحضارة الديمقراطية الأوروبية التي تستمد غذائها من الشرق الأوسط، قوة كبيرة من خلال الوفاق المذكور، وسيكون لها تأثير تسلسلي في العالم اجمع، كما ستساهم المرحلة الجديدة التي تُبنى على أساس الفيدرالية الديمقراطية في أن يسير الشرق الأوسط نحو تركيب الحضارة الديمقراطية وإلى مرحلة حضارية تليق بتاريخه. حقاً إنّ النتائج التاريخية للاتفاق العربي ـ الإسرائيلي مهمة جداً، لأنّ ذلك سيسرّع من حلّ التناقضات الأخرى في المنطقة وسيضغط من أجل الحل الديمقراطي، فالتطور في هذا الاتجاه والذي نرى تأثيره منذ الآن سيكتسب طابعاً سائداً، ولا يمكن انتظار استمرار مرحلة الصراع في جوّ من عدم الوفاق مطوّلاً، لأنّ الظروف المحلية والإقليمية والدولية لن تتحمل هذا الوضع طويلاً، وسنرى أنّه لا مفرّ من السلام المستند إلى التحول الديمقراطيّ بين العرب أنفسهم، وبين العرب وإسرائيل وكل المنطقة في القرن الواحد والعشرين وتصاعده عبر حملة اقتصادية وفنية متطورة، هكذا سيكون للشرق الأوسط الذي سيكتسب قوّة على هذا الأساس، إمكانية خلق تطوّرات تليق بتاريخه في كل العالم وتطوير الحضارة الديمقراطية نحو تركيبات جديدة.

الآريون

ومن ذلك نرى أنّ علم المصطلحات يرى وجود علاقة قريبة بين « AR « و»ARD» والتي تعني المحراث. وبعد ذلك استخدم العرب كلمة أرض، ويستخدم الكرد في أيامنا هذه كلمة «أرد» بمعنى الأرض أو الحقل. وبذلك نرى أن مصطلح آري «ARYEN» يعني التجمّع والشعب الذي يملك الأرض والتراب ويحرثها. وبالتالي نستطيع أن نستنتج أنه أطلق مصطلح آري على كل تجمعات الشعوب التي شهدت الثورة الزراعية، ويتبين لنا من هذا أنّ وجهات النظر المتأخرة والتي ترى أنّ «ARI» العظمة و»AR» تعني النار، هي وجهات نظر غير واقعية كثيراً. ولأنّ هذه التجمعات كانت أكثر تقدماً حسب مرحلتها، فإنّه من غير الصحيح استنتاج نتائج عرقية من تقييمها على أنّها آرية وعظيمة. وقيام الفاشية الألمانية بتحريف هذا المصطلح لا يمت إلى العلمية بصلة ويستهدف من ذلك الدعاية الإيديولوجية. وعندما نستخدم هذا المصطلح من الآن فصاعداً، فإنني أشعر بوجوب إظهار أهمية ضرورة فهمه بهذا المحتوى.

لقد تعرض الكرد وبلادهم لجميع غزوات العصر العبودي، وإذا بدأنا من كلكامش السومري نرى أن البابليين والآشوريين والبارسيين والهلينيين والرومان والساسانيين والبيزنطيين والعرب والأتراك والمغول قد قاموا باحتلال المنطقة تسلسلياً، لكن النظام الأساسي هو النظام العشائري، وواصلوا هذا الميراث حتى يومنا هذا بالصراع فيما بينهم والتوحد في بعض الأحيان.

إنّ القضية الكردية هي من أشد القضايا تعقيداً في الشرق الأوسط، تتخذ طابعها من نمط تكوّن الواقع الذي تستند إليه، ولا مفر من أن تشابك القضية الكردية بشكل أكثر في المستقبل ـ مثلما كان في التاريخ وحتى يومنا هذا ـ سيؤدي إلى كثير من المشاكل الجديدة إذا لم يجر تناولها بطريقة صحيحة، وتمتلك القضية الكردية صفة أكثر شمولية من قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي التي تشغل العالم كثيراً، كما أنها وجدت في موقع أكثر عمقاً منها من حيث الشكل، ويؤدي عدم ظهور هذه المشكلة كلياً إلى تقييمات ناقصة وخاطئة، نظراً لوجودها في أكثر المناطق إستراتيجية من زاوية تعداد السكان والجغرافيا والظروف الاجتماعية والسياسية، وتأتي في المقدمة من حيث نوعية القضايا وثقلها. ويؤدي تقسيمها بين الفرس والعرب والأتراك كقوميات أساسية في المنطقة، إلى تأثير واسع لها على مستوى المنطقة بأكملها، وحل هذه المشكلة في جزء من الأجزاء يسفر عن الضغوط على الدول لحلها في الأجزاء الأخرى، مثلها مثل الأواني المستطرقة، ويكون التأثير مشابهاً في حال حدوث عكس ذلك. إنّ الظروف الجغرافية الوعرة جعلت عامل الكفاح المسلح مندرجاً على جدول الأعمال دائماً، فقد خلق الاحتلال الذي حدث في جميع مراحل التاريخ مقاومة بشكل أو بآخر، وكأنّ الحياة تسير مع حالة نفسية التمرد الطبيعية، وقد وصل تعداد السكان إلى أربعين مليون نسمة لوجود الإمكانيات الطبيعية المتطورة، ويشكل هذا الرقم كمّاً كبيراً من أجل إقامة الحسابات الإستراتيجية عليه.

وفي هذا الوضع فإنّ تعريف الظاهرة الكردية يحظى بأهمية كبيرة، وأكبر خلاف يتمركز حول كيفية تعريف هذه الظاهرة، هو بقاء العرب تسمية الكرد بـ «عرب اليمن»، والأتراك يسمونهم بـ « أتراك الجبل»، والفرس يعتبرونهم من أنفسهم، أو أن يرى الكرد أنفسهم أصفى الشعوب وأنقاها. لا يمكن أن تكون هذه المواقف السياسية الناتجة عن ذلك مختلفة عن غيرها، ولا مفر من أن تجلب المواقف

لم يستطع الكرد جعل الدين الإسلامي أو الإيديولوجية القومية الرأسمالية دليلاً قومياً لهم، كما لم تسفر محاولاتهم سوى لترويضهم. ويعيش الكرد كشعب فقير تعرض لخيانة الحضارات أكثر من غيره.

السياسية المميزة معها ممارسات مميزة، إذ لا يؤمل سوى أن تجلب معها صراع العميان ومآسي ومآزق لا يمكن الخروج منها.

إنّ المساعي تبذل في يومنا الراهن لإبقاء الشعب الكردي في موقعه المسحوق في الشرق الأوسط، ويعتبر تمزقهم ووجود النظام الإقطاعي والعشائري أكبر سبب لبقائهم متخلفين، ولم يستطيعوا التخلص من كماشة الضغط الداخلي والخارجي، ولم تلعب الإيديولوجية الدينية والقومية دوراً إيجابياً في تطورهم السياسي كما حدث عند الشعوب المجاورة، ففي الوقت الذي حول الدين ومفهوم القومية كل من العرب والفرس والأتراك الى دول بتقويتهم كقومية ووطن، أما بالنسبة للكرد، فإنها لعبت دوراً أساسياً في اضطهادهم وتذويبهم، ولم يستطع الكرد جعل الدين الإسلامي الإقطاعي أو الإيديولوجية القومية الرأسمالية دليلاً قومياً لهم، كما لم تسفر محاولاتهم سوى لترويضهم. ويعيش الكرد كشعب فقير تعرض لخيانة الحضارات أكثر من غيره، وتتم تغذية الضعف القومي والاجتماعي بالقيم الإقطاعية والعشائرية دائماً، حيث لم يستطيعوا الارتقاء إلى مواقع قومية واجتماعية أكثر سمواً.

ندخل في مرحلة تتطلب تناولاً أكثر واقعية للظاهرة الكردية والقضية الكردية في ظل هذه الانتقادات المتعلقة بالمنهج، ويجب على جميع الأطراف والأوساط العالمية المعنية بالمشكلة تحديد مواقفها وجعلها قادرة على عدم خلق بوسنة أو كوسوفو أو شيشان جديدة كي لا تستمر حالة التعقيد كحل قائم، ويجب على هذه الأطراف أن تقوم بتطوير الحلول على أساس الوقائع وتطلعات الكرد التي لا يمكن تأجيلها، والتي تأتي من عمق التاريخ، كما يجب أن ترى أن مصالحها السياسية والاقتصادية تمرّ عبر حل هذه القضية حتى وإن لم تكن تدرك أنّ ذلك كان يناسب مصالحهم في الماضي، فتحقيق سلام كردي مشرف في القرن الحادي والعشرين يحظى بأهمية كبيرة لجميع الأطراف، إن مناهج تعفين المسألة وتأجيل الحل لفترة طويلة سيشغل المنطقة بكاملها أكثر من انشغالها بالصراع العربي الإسرائيلي والحرب العراقية الإيرانية، كما أن وضع وقف إطلاق النار الحالي القائم يرتبط بتوازنات غير موثوق بها، يمكن أن تنهار في أية لحظة، كما أن الجغرافيا والتضخم السكاني والأزمة الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة تقدم كل الخامات للتمرد والحروب الشاملة، وأي انفجار جديد يعني خسارة ربع قرن والعودة بالنتيجة إلى نفس النقطة،ان إنعدام الثقة الموجود في جذور المشكلة والمواقف الجبانة والدوغمائية المفرطة، جعلت التناول المعاصر للقضية بعيداً عن الساحة طوال القرن العشرين وحتى في القرن التاسع عشر، وبات واضحاً الآن أنه لا يمكن أن يستمر القرن الحادي والعشرين على هذه الوتيرة، حيث لا يمكن للعصر أن يقبل هذا الوضع القائم، و كل من يحاول أن يجرب ذلك لن يستطيع تخليص نفسه من العزلة التي يعيشها النظام العراقي.

الشرق الأوسط، جغرافية حب الحقيقة

هناك سؤال هام يجب طرحه وهو: ألا تستطيع الأنظمة الحضارية ذات الجذور

سيكون دور الإسلام إيجابياً في التحول القومي للعصور الوسطى إلى حين توحيده للقبائل، لقد لعب الإسلام دوراً مهمّاً في تكوين الأمة والقوم، مثلما أدّت الرأسمالية إلى تشكل القومية والأمة

الشرق أوسطية إحداث هذه الانطلاقة من ذاتها؟، هذا هو السؤال الذي يبحث عن جواب في يومنا الراهن، ونجد بأنّ كلاً من الكندي والفارابي وابن سينا والسهروردي ومنصور الحلاج قد بذلوا جهوداً وتضحيات كبيرة من أجل تنوير الشرق الأوسط، منذ القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر. وكان الحب الشديد لديهم هو البحث عن الحقيقة، ومن المعروف أنّ ذلك يتفوق من حيث القيمة على المصالح الاقتصادية والسياسية، وتعالى صوت حب الحقيقة في جغرافية الشرق الأوسط أكثر من أيّ وقت مضى، وظهر المرشدون الكبار أمثال مولانا جلال الدين الرومي، ومحيي الدين ابن العربي كمرشدين للحقيقة، وكان هناك تقدم في العلم أيضاً، حيث تمّ إحراز تقدم في الرياضيات والطب وعلم الفلك والأبحاث النباتية والحيوانية، وكان الشرق الأوسط يتفوّق على أوروبا في كل ذلك، وكان التفوق في مجال الآداب مذهلاً، فقد أثبت أدب الملاحم نفسه في القرون الوسطى من خلال الشاهنامة ومجنون ليلى، أمّا الفلسفة التاريخية لابن خلدون، فقد كانت قريبةً إلى المادية الجدلية، ورغم ذلك لم تتطوّر حركة التنوير في الشرق الأوسط. إنّ سبب عدم تطور حركة التنوير ـ التي تعتبر حجر الأساس للهوية الأوروبية الجديدة ـ في الشرق الأوسط على الرغم من جميع الإمكانيات الملائمة أمر مهم جداً. فقد نتحدث في هذا الصدد عن غزوات المغول ولكنها لم تكن السبب الأساسي، وإنّ البحث عن السبب الأساسي يكمن في تحكّم الإيديولوجية المتخلفة والدوغمائية التي كانت تشكل ثقلاً كالأسمنت على العقل وفي عمق التمأسس السياسي، ويكون ذلك هو التناول الأصح من غيره.

دور الإسلام في تكوين الأمة

سيكون دور الإسلام إيجابياً في التحول القومي للعصور الوسطى إلى حين توحيده للقبائل، لقد لعب الإسلام دوراً مهمّاً في تكوين الأمة والقوم، مثلما أدّت الرأسمالية إلى تشكل القومية والأمة. وقد لعب الأشخاص الموجودون في السلطة والذين كانوا من أقوام مختلفة دوراً ناجحاً في تطوير أقوامهم. وإنّ أكثر الذين بقَوا في السلطة هم من القومية العربية والفارسية والتركية، ولهذا حصة كبيرة في أن يكون العرب والفرس والأتراك هم القوميات الإسلامية البارزة في يومنا هذا، حتى إن لم يتم ذلك عن معرفة، ومن الواضح أنّ مصيرها كان سيصبح مختلفاً لولا وجود الإسلام. ومن المفيد تحليل العلاقة الموجودة بين الوطنية والطبقية بعمق، إذا لم يجرِ التركيز على هذه المسألة كما يجب. إنّ الوصول إلى الأممية والإسلامية المنفتحة على الأخوة والسلام وتجاوز الشوفينية القومية والدينية بهذا الصدد، سيلعبان دوراً بنّاءً في تجاوز كثير من القضايا. إنّ في جوهر الإسلام كما المسيحية مفاهيماً إنسانية تتيح إمكانية كبيرة للعدالة والسلام، وهناك وظائف مهمّة يجب أن يقوم بها كالتوجه للأممية.

حولَ مفهوم المواطنة، والوحدة الوطنيّة

سليمان محمود

قالَ الباحثُ القوميّ العربيّ «غسّان سلامة»: **إنّ العربَ إذا لم يهتمّوا بأقلّياتهم اهتمّ بها غيرهم، وإن لم يحسبِ العربُ حسابها حلّت مشكلةُ الأقلّيات على حسابهم.**(١)، وبرأي الدكتور سالم زرنوقة فإنّ العلاقةَ بين الكُرد والعرب لم تشهد نوعاً من التضاد بالمعنى القوميّ(٢)، وذهبَ الدكتور جمال الأتاسي إلى أبعد من ذلك، فكتبَ يقولُ: **إنّ المسألةَ الوطنيةَ الكرديّةَ واحدةٌ من المسائل الوطنيّة الأساسية لهذه المنطقة، وفتحُ ملفّها ودعوةُ السياسة العربيّة إلى الحوار من حولها وتحديد الموقف منها، إنما يتناولُ بالضرورة قضيّتنا القومية العربيّة ذاتَها، ومُقوّماتها ومبادئها، كما يتناول وحدتنا العربيّة وسُبل تحقيقها**(٣).

وقال الدكتور جمال الأتاسي: «**إنّ جمال عبد الناصر كانَ في طليعة القادة العرب القوميين الذين أكّدوا على حقّ الشّعب الكرديّ في الحصول على حقوقه**»(٤)، وقيلَ على لسان عبد الناصر «**إنّ القوميّةَ العربيةَ قد تتقوّى بضمان مُساندة الكرد ووقوفهم ضدّ أعداء العرب**»(٥). وكتبَ منذر الموصلّي مؤلّف كتاب (عربٌ وأكراد) إنّ كلَّ قوميّ عربيّ مُنفتح الفكر ومُحبّ لأُمته العربية ومُستوعبٌ لرسالتها التحرريّة، لا بدّ أن يكونَ مع جميع الشعوب في طموحها للحصول على حقوقها الوطنيّة، وبالخاصّة الشّعب الكرديّ الصديق، بل الشقيق.(٦)

وإذا ما تمّ التغلّبُ على العوامل الطبيعيّة التي وقفتْ حجرَ عثرةٍ في طريق الاندماج، فإنّ بالإمكان تحقيقُ إقامة المُساواة التامة أمام القانون ما بين المواطنين، بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقيّة ولغاتهم وألوانهم وأديانهم ومذاهبهم. وهذا ما حصلَ في فترة القرنين الماضيين في بلدان أوروبا الغربية وأمريكا الشماليّة، تلبيةً لحاجاتٍ أملتها عواملُ اقتصاديّة أساسيّة. ويسيرُ القطارُ في الطريقِ المُعاكسة إذا

فإنّ العلاقةَ بين الكُرد والعرب لم تشهد نوعاً من التضاد بالمعنى القوميّ

عمدَ الحُكّامُ إلى إقامة السدود والحواجز، بمُباركةٍ مُعلَنةٍ أو مُستترة من الدوائر الاستعماريّة، إنْ كانَ في تجاهُل مطالب بعض الناس بسبب انتماءاتهم العرقيّة، أو في فرض التمييز ضدّهم، أو في محاولات دمجهم بالقوّة، وحينئذٍ لا يعودُ الأتراكُ المُهجّرون إلى كردستانَ الشماليّة أتراكاً بكلّ معنى الكلمة، وكذلكَ العربُ المهجّرون إلى كردستانَ الجنوب وغيرها.

وقد كتبتِ السيّدةُ «دانييل متيران» إن قُلتم يوماً بأنني، باعتباري فرنسيّة، لا يحقّ لي أن أكونَ بورغونيّة، وإنّ بورغونيا لا وجودَ لها، فإنني مباشرةً سأتعلّمُ لغةَ منطقتي، وأنمّي تُراثَها وسأطالبُ ببقاء بورغويّتي(٧). وبالتالي فإنّ حلَّ المسألة الكرديّة أو حلّ أية مسألة تواجهها بلداننا، بحاجةٍ ماسّةٍ أولاً إلى ممارسة الديمقراطيّة داخلَ الأحزاب والتنظيمات والحركات السياسية الكرديّة والعربية وغيرها، وثانياً إفساحُ المجال رحباً أمامَ النقد والتفاعل تفاعُلاً إيجابياً، والارتقاء به إلى مستوى نقد الذات علناً وعلى رؤوس الأشهاد، ودعوةُ الأعضاء العاديين إلى المشاركة في الكفاح ضدّ الأخطاء المُقترَفة، والتخلّص من نتائجها الوخيمة. وإذا ما تمّ السيرُ في هذا السبيل، ينفتحُ أمامَ الأحزاب والتنظيمات والحركات السياسيّة العربية والكردية والتركية والفارسية المجالَ رحباً للحوار والتفاهم والتعاون والتحالف والوحدة. وفي مثل هذه الأجواء يمكنُ إيجاد الحلول المبدئيّة للمسائل المُعقّدة على اختلافها. ويجبُ أن لا يُضعِفَ كفاحُ الكرد من أجل حقوقهم المشروعة مركزيّةَ الدولة التي يعيشونَ ضمنها. كما لا يمكنُ لأيّ كيانٍ كرديّ، صغيرٍ أو كبير، أن يتنفّسَ بصورةٍ صحيحةٍ، ويتمتّعَ بصحّةٍ جيّدة ويدومَ، إلاّ إذا كانت أوسعُ الشعوب العربية والتركيّة والفارسيّة تؤيّدهم وتدعمُ كفاحَهم المشروع.

ولن يكونَ ذنبَ هذه الشعوب، إذا فعلتْ غيرَ ذلكَ، بل ذنب القادة الكرد الذين لم يُحسنوا صياغةَ خطابهم الذي يجبُ أن يكونَ حريصاً أيضاً على مصالح هذه الشعوب. وهكذا فإنني أنطلقُ من وحدة كفاح الكرد مع الشعوب التي يعيشون معها في هذه الدولة أو تلكَ، ضدَّ العدوّ الأوّل المُتمثّل بالجهل والأميّة والتخلّف بمختلف أشكاله وألوانه، وضدّ العدو الثاني المتمثل بكلّ مَن يقفُ حجرَ عثرةٍ في طريق تحرّر الشعوب من جهلها وأمّيتها وتخلّفها(٨).

الفكرُ العربي، والمسألةُ الكرديّة:

مبدئيّاً يجبُ أن نشيرَ إلى أنّ العربَ والكردَ يشتركونَ في مساحاتٍ تاريخيّة وجغرافيّة وحضاريّة ودينيّة واسعة للغاية، ويقرّ الكردُ كما العربُ أنّ الإسلامَ أردفَ شخصيتَهم ووجودَهم بكثيرٍ من المفردات والمعاني، ولذلكَ يمكنُ جعله قاسماً محوريّاً بين العرب والكرد، ولا زال العربُ يتذكّرون، بكثيرٍ من الاعتزاز والسموّ، ما قدّمهُ صلاحُ الدين الأيوبي- الكرديّ- للعرب

والمسلمين، عندما دافعَ عن الدين الإسلاميّ وردَّ هجماتِ الصليبيين عن العالم العربي والإسلاميّ. ويُعتبَرُ الإسلامُ أهمَّ صائغٍ للرؤية الكونية والعقائدية التي من خلالها ينظرُ الكردُ والعربُ على السواء إلى الكون وماهية الوجود. وفي ذلكَ خلفيةٌ مركزيةٌ يجبُ أن يُبنى عليها أيُّ خطابٍ سياسي أو فكريّ لصياغة أيّ علاقةٍ كرديةٍ- عربية. وغير الإسلام، فإنّ عاملَ الزمن قد ساهمَ إلى أبعد الحدود في تلاقي وتمازُج الكردِ بالعرب وبالعكس. وقد تكرّسَ هذا التمازج من خلال التداخُل الجغرافيّ لموقع الكرد ومواقع العرب المكانيّة، فالكردُ وجودُهم تاريخيٌّ في المنطقة التي نصطلحُ على تسميتها بالعالم العربي والإسلامي، والعربُ وجودُهم تاريخيّ أيضاً. وحتى إذا تمكّنَ الكردُ من إقامة مشروعهم السياسي، فإنّ أقربَ حلفائهم المركزيين سيكونون العرب والمسلمين، لأنهُ من غير المنطقي إهمالُ حقائقِ التاريخ والجغرافيا في مجال المشاريع السياسية الكبرى، ولا يمكنُ أن تكونَ (واشنطن على سبيل المثال) هي الحليفةُ المُرتقبةُ للمشروع الكرديّ، وهي التي جيّرتِ القضيّةَ الكردية لصالح حساباتها السياسية والاستراتيجية، وساهمت مع حلفائها في العالم العربي إلى وأدِ القضية الكردية ومُلاحقة رموزها بأثمانٍ باهظةٍ مدفوعةٍ من قبل عواصم المحور الأمريكي في خطّ طنجة- جاكرتا(خط عرض العالم الإسلامي)، كما لا يمكنُ تصوّر أن يقيمَ الكردُ علاقةً استراتيجية مع عواصم القرار الدولي المتورّطة في وأد القضيّة الكرديّة والمزوّدة الأساسية للأسلحة للمَحاور الجغرافية التي يتمركزُ الكردُ في نطاقها. ويبقى القولُ بأنّ الحليفَ الطبيعي للمشروع الكرديّ هي

الكردُ لم يُطالبوا يوماً بتغيير هويّة الأرض التي هم عليها، أو الانفصال عنها، ذلك لأنهم أصحابُ هذه الأرض وهذا الوطن، ولا يحقّ لأحدٍ أن يمنَّ بوجودهم عليها

الشعوبُ العربية والإسلاميّة، وعلى هذا الأساس يجبُ أن تُعيدَ الحركةُ الكرديةُ بكلّ شقوقها بناءَ خطابها السياسي والفكري ربما ينسجم مع حقائق التاريخ والجغرافيا، كما أنّ هذه الحركة عليها أن تعيدَ الاعتبار للإسلام الذي أعطى الكردَ الكثير، وليسَ روّجَ لهُ بعضُ يساريّو الحركة الكرديّة من أنّ الإسلامَ استأصلَ الكردَ من واقعهم الجغرافي والتاريخي والشخصانيّ. كما أنّ العربَ عليهم أن يتخلّوا عن عصبيتهم القوميّة والتي تحولُ بينهم وبين الإقرار بحقوق الثقافات الأخرى التي كانت مُتجذّرةً في الواقع العربي والإسلاميّ...

إنّ الإسلامَ من أكثر العناصر قدرةً على إجراء مُصالحةٍ تاريخيّة بين العرب والكرد، ومثلما جمعَهم في حقبٍ تاريخيّة سابقة في ساحات جهادٍ واحدة وفي ساحات بناءٍ حضاريّ واحدة، قادرٌ اليومَ أن يصيغهم في مشروعٍ متكاملٍ، ولهذا وجبَ على الكرد كما العرب إجراء مُصالحة مع النفس ومع الذات، وإجراء مراجعة شاملة لمفردات الخطاب الفكري والسياسي الذي صاغ المسلكية السياسية للعرب أو للكرد. ومن ثمّ الانطلاق نحو خطابٍ انفتاحي يستوحي مقوّمات الموروث الحضاري الإسلاميّ القائم على مبدأ العدل والمساواة في الحقوق والواجبات من أجل

ويُعتبَرُ الإسلامُ أهمَّ صائغٍ للرؤية الكونية والعقائدية التي من خلالها ينظرُ الكردُ والعربُ على السواء إلى الكون وماهية الوجود

رؤيةٍ مستقبليّة أكثر إشراقاً. وفي هذا السياق قد يبادرُ بعضُ الكرد إلى طرح إشكاليةٍ من قبيل أنّ العربَ أولى بصناعة خطابٍ جديدٍ يستوعبُ الكردَ كأمّةٍ ذاتِ استقلالية في الخصوصيّة على اعتبار أنّ العربَ في مرحلة الدولة والكرد في مرحلة النضال من أجل الحرية أو من أجل المشروع المستقلّ، وهذه الإشكالية وإن كانت وجيهةً إلى حدٍّ ما إلاّ أنه لا ينبغي المزج بين حركة الأنظمة والشعوب وتحديداً عندما يتعلّقُ الأمرُ بالعالم العربي والإسلامي، لأنّ النظُم العربية والإسلامية كانت على الدوام في الاتّجاه المعاكس لتطلّعات الأمّة وآمالها ومشروعها الحضاريّ.

ومثلما ينافحُ الكردُ عن مشروعهم السياسي والثقافيّ وهذا من حقّهم، تناضلُ الشعوبُ العربيةُ والإسلاميةُ من أجل حقوقها في الديمقراطية ومبدأ التداول على السُلطة وغير ذلك من الحقوق التي باتت في الألفيّة الثالثة من البديهيّات، لكنها في العالم العربي والإسلامي من المُحرّمات.

وبدل الدخول في جدلٍ عقيمٍ حولَ مَن أولى بإنصاف مَن! وفتح ملفّات الماضي، فإنه من الضرورة بمكانٍ إعادة رسم معالم استراتيجية كردية- عربية في الفكر والسياسة والحركة وكلّ ذلك من أجل الأجيال القادمة التي يُرادُ لها أن تنسى خصوصيتها في زمن العولمة والكوكبية، ولن يتأتّى إحقاقُ هذه الخطوة بدون فتح حوارٍ موسّع بين الأنتليجانسيا العربية والكردية والتي بيدها القدرة على نسج هذه الاستراتيجية في ضوء تراكمات التجارب السابقة. وعلى الأنتليجانسيا العربية أن تقرَّ بأنّ الشعبَ الكرديّ قد تعرّضَ إلى مظلوميّةٍ عزّ نظيرها وأنّ المثقّف الذي يرفضُ الظلمَ في كمبوديا وفيتنام والجزائر والصومال عليه أن يرفضهُ في كردستان حتى لو كان الذي يمارسُ لعبةَ إبادة الشعب الكردي نظاماً يدّعي أنهُ على صلةٍ بالعروبة.

فالظلمُ لا إيديولوجيّة لهُ ولا قاعدة فكريّة له، الظلمُ ظلمٌ وهو مُستنكَرٌ في كلّ الشرائع والأديان والفلسفاتِ البشرية، ومثلما اهتمّتِ الأنتليجانسيا العربية بكبريات القضايا السياسية والفكرية في القارات الخمس، فمن بابٍ أولى إيلاء القضية الكردية اهتماماً من نوعٍ خاصّ، لما لهذه القضية من تداخُلٍ عميق بواقعنا العربي والإسلامي، وفي الظرف الراهن لا يمكنُ المُراهنة على الأنظمة العربية لإيجاد حلولٍ جذريّة لها باعتبار أنّ النظامَ العربي الرسمي يسجّلُ باضطراد انهياراتٍ خطيرة في كافة المجالات. ولا يمكنُ منطقياً المُراهنة على المريض في تفعيل أيّ موقفٍ، المُراهنةُ الوحيدةُ يجبُ أن تكونَ على الأنتليجانسيا العربية والكردية والتي بدورها يجبُ أن تتفاعلَ وفقَ الأسس الآنفة الذكر، وخلق خطابٍ مُنسجمٍ ونشره بين الجماهير العريضة... إنها خطوةٌ كبيرةٌ ومغامرةٌ غير مسبوقة. لكن يجبُ أن نبدأَ!!!(٩)

بدل الدخول في جدلٍ عقيمٍ حولَ مَن أولى بإنصاف مَن!، فإنه من الضرورة بمكانٍ إعادة رسم معالم استراتيجية كرديةـ عربية في الفكر والسياسة والحركة وكلّ ذلك من أجل الأجيال القادمة

الكُردـ كالعربـ أصحابُ هذه الأرض وحُماةُ هذا الوطن:

كثيرٌ من عُلماء التاريخ والأجناس، ومن ضمنهم العُلماء العرب، كتبوا في كتبهم وأبحاثهم عن الشّعب الكرديّ وأصله وتاريخه، الذي يمتدّ لأكثر من خمسة آلاف سنة في هذه المنطقة بالذات، وتحديداً بين بُحيرتَي «أورمية ووان»، كما كتبوا الكثيرَ عن أسلافهِ من الميديين والميتانيين، وعن ثقافته وتقاليدهِ وفلكلوره الشعبيّ الغنيّ، وعن دور الكُرد المُشرّف في نشر الإسلام وفي ترسيخ دعائمه، وردّ كيد الأعداء عنه، وكذلكَ الدول والإمارات التي شكّلوها في العهد الإسلاميّ وقبله.

ربّما إننا لا نملكُ إحصائيّةً دقيقةً عن عدد الكُرد المُشاركين في الحروب الصليبيّة إلى جانب صلاح الدّين، لكنّ الذي نعلمهُ جيّداً هو أنهُ كانَ لهم دورٌ مُشرّفٌ في الدفاع عن الإسلام والعرب، بغضّ النظر عن عددهم يومئذٍ، وما آلوا إليه اليومَ، وهذا الأمرُ ليس بخافٍ على أحدٍ، سواءٌ في المشرق أو في المغرب، ورغمَ ذلكَ فإننا نوردُ هنا بعضَ الوثائق التاريخيّة حول ذلكَ. يقولُ ن. ه نيوباي، في كتابه(صلاح الدين وعصره) ما يلي: «**جاءَ إلى صلاح الدين الدعمُ من الشمال والشرق. من مدن الجزيرة والموصل وديار بكر. خمسةُ آلاف خيّالٍ...**(ص١٣٦)». ومن المعروف أنّ مدنَ الجزيرة (جزيرة ابن عمر) وديار بكر، جميعُ سكّانها من الكرد، والموصلُ كذلك كان الكردُ يُشكّلون نسبةً تفوقُ النصفَ، حتى وقتٍ قريب.

وعن معركة يافا، يذكرُ نفسُ المصدر، وبوضوحٍ أكثر، ما يلي: «**فأرسلَ صلاح الدين ابنهُ الفاضل. لكي يجلبَ فرقَ الموصل وسنجارَ وديار بكر التي كانت ما تزالُ في دمشقَ من أجل الدفاع عن بيروت. وقامَ هو. مع قوّاته الكردية والتركيّة والمملوكيّة. بالتوجّه إلى يافا التي اقتحمها بعدَ قتالٍ عنيفٍ**».

وحولَ الموضوع نفسه، يذكرُ «ميخائيل زاباروف» في كتابه (الحروب الصليبيّة في الشرق) ما يلي: «**اعادَ صلاحُ الدين تنظيمَ القواتِ المُسلّحة. ومنذ ذاكَ صارَ المقاتلون من الكرد والسلجوقيين...**»(ص١٨٩). وتشيرُ الأرقام التي أوردها البحّاثةُ والمؤرّخين بأنّ جيشَ صلاح الدين كان يتجاوزُ عشرات الآلاف، حسب جميع المصادر التاريخية والتقديرات المختلفة، وما كان يتطلّبه حجم المعارك التي خاضها، كما كان الكردُ يشكّلون جزءاً هاماً ورئيسياً من هذا الجيش، نظراً لاعتماد صلاح الدين على العنصر الكرديّ، لأسباب عديدة حسبما تؤكّدُ المصادرُ المذكورة آنفاً.

الكردُ كانوا ولا زالوا حريصينَ على هذه الأرض، ليسَ بأقلّ من العرب وغيرهم، من

فالظلمُ لا إيديولوجيّة لهُ ولا قاعدة فكريّة له، الظلمُ ظلمٌ وهو مُستنكَرٌ في كلّ الشرائع والأديان والفلسفاتِ البشرية

دُعاة التعصّب القومي، الذين يجعلونَ من أنفسهم أوصياءَ على هذه الأرض، ومن غيرهم غُرباء. وأقولُ بأنّ امتلاكَ الكردِ للأرضِ لا يغيّرُ من طابعها الوطنيّ كما يزعمُ المُتحذلقون.

إنّ تاريخَ سوريا مليءٌ بالشواهد الحيّة على تفاني الكردِ في سبيل الوطن وعزّته، وسجلّهُ يفخرُ بأبنائه الكُرد الذين ساهموا في رفعِ كلمته في جميع المراحل والأوقات، فالكُردُ لهم أيادٍ ناصعة بيضاء في خدمة الإسلام والعرب.

الكُردُ ما كانوا يوماً جسماً غريباً على هذه الأرض، بل كانوا دوماً عنصراً إيجابياً في بناء الوطن، يساهمونَ بإخلاصٍ وشرفٍ في تقدّمهِ وازدهارِه، وهم- كغيرهم من المواطنين- أصحابُ هذه الأرض وحُماةُ هذا الوطن.

الكردُ، في هذا البلد، لا يوجدُ ما يُميّزهم عن غيرهم من المواطنين، فهم لم يقدموا على ما من شأنه الإساءة للوطن ووحدة أرضه، وإنّ التشبيهَ المشوّهَ الذي يقدّمهُ البعضُ عن الشعب الكردي، إنما أصبح من مُخلّفات الماضي وبالياً، وإنّ أفكارَهم هذه سوفَ تُكتبُ في زاويةٍ مهملةٍ ومظلمةٍ من صفحات التاريخ، باعتبارها نموذجاً للظلم والاضطهاد القوميّ، والتخلّف الفكري الذي لفظَتهُ الشعوبُ منذ زمنٍ بعيد.

الكردُ لم يُطالوا يوماً بتغيير هويّة الأرض التي هم عليها، أو الانفصال عنها، ذلك لأنهم أصحابُ هذه الأرض وهذا الوطن، ولا يحقّ لأحدٍ أن يمنَّ بوجودهم عليها.

مُساهمةُ أكراد سوريا في الدّفاع عن أرضهم:

قدّمَ الكردُ تضحياتٍ جسامٍ في سبيل استقلال سوريا الحديثة، وكان لهم دورٌ كبيرٌ في تأسيس الدولة السوريّة الحديثة، والتصدّي للاستعمار الفرنسي آنذاكَ، مُشكّلين ملحمةَ نضالٍ إلى جوار الشعب السوريّ بكافة أطيافه، وما أن استقرّتِ الأحوالُ في سوريا الاستقلال، حتى بدأتِ الأوساطُ الشوفينية منذُ أوائلِ الخمسينيات تدعو المسؤولين للقيام بتطبيق سياسة التمييز القوميّ حيالهم بهدف القضاء على تطلّعاتهم المشروعة، وذلكَ عبرَ إجراءاتٍ استثنائيّة من شأنها العمل على هجرة الكرد من مناطقهم في الجزيرة إلى المحافظات الأخرى بهدف تشغيلهم.

شاركَ الكردُ في سوريا في كلّ الثورات السوريّة، ومن أهمّ ثوراتهم: ثورة البرازيين في حماةَ، وانتفاضات عامودا ضدّ الانتداب الفرنسي، وللأكراد شخصياتٌ بارزةٌ على مرّ التاريخ الإسلامي، مثل الفارابي وابن خلكان وابن كثير وعبد القادر الكيلاني وخالد النقشبندي والدينوري وابن تيمية وبديع الزمان الهمذاني وأبو الفداء.

ومن الشخصيات الأدبية والثقافية الذين أغنوا المكتبةَ العربية عباس محمود العقّاد وأحمد ومحمد تيمور وأحمد شوقي ومحمد كرد علي وعائشة التيمورية وقاسم أمين وحسين مروان وبلند الحيدري وسليم بركات، كما كان لشخصياتٍ كرديةٍ دورٌ بارزٌ وكبير في كتابة تاريخ سوريا،

ومنهم وزيرُ الحربية يوسف العظمة بطل معركة ميسلون، ومحو إيبو شاشو أولُ سوري أطلقَ رصاصةً في وجه المستعمر الفرنسي، وإبراهيم هنانو وأحمد البارافي، أول سوري يرفع العلمَ السوري فوقَ سرايا الدفاع الفرنسي، ومحمد سعيد آغا الدقّوري قائد ثورة الشمال في عامودا، ومحمد علي العابد أول رئيس لسوريا، وحسني الزعيم رئيس الجمهورية، وأديب الشيشكلي رئيس الجمهورية، ومحسن البرازي رئيس الوزراء، وعبد الرحمن الأيوبي أيضاً رئيس الوزراء، وسليمان الحلبي قاتلُ الجنرال الفرنسي كليبر في مصرَ، والمفكّر التنويري عبد الرحمن الكواكبي.

لا يستطيعُ أحدٌ أن ينكرَ أو يُغيّبَ النضال الوطني المشترَك بين الكرد والعرب والمسيحيين معاً في معارك الشرف والتي قامتْ ضدّ الاحتلال الفرنسي في معظم مدن وقرى وروابي الجزيرة، حيثُ لم يتمكّن الفرنسيونَ من بسطِ حُكمهم المركزيّ على الجزيرة السوريّة، وعندما حاولَ الفرنسيون إنشاءَ مخفرٍ في قرية «بياندور» قامَ السيّد حاجو آغا بشنّ هجومٍ على القاعدة الفرنسية في بياندور ومعهم عددٌ من الوطنيين الغيورين، قابلَ ذلكَ انتقامٌ فظيع من قبل الفرنسيين ضدّ الأهالي العزّل، بالإضافة إلى واقعة «كري تبي» في منطقة الجوادية التي دحرَ فيها الكردُ الفرنسيينَ، وأيضاً ما يُعرفُ بـ «طوشا عامودى» عام ١٩٣٧م، حيثُ قامَ الفرنسيون على إثرها بقصف مدينة عامودا.

وكان من أهمّ الشخصيات الكردية المجاهدة ضدّ الفرنسيين في منطقة الجزيرة ذات الغالبة

لا يستطيعُ أحدٌ أن ينكرَ أو يُغيّبَ النضال الوطني المشترَك بين الكرد والعرب والمسيحيين معاً في معارك الشرف ضدّ الاحتلال الفرنسي في معظم مدن وقرى وروابي الجزيرة

الكردية: محمد جميل باشا وحاجو آغا وعيسى آغا مسلم وعيسى عبد الكريم أحد مؤسسي الكتلة الوطنية، بالإضافة إلى فرحان آغا العيسى، وزوجته من أوائل النساء اللواتي رفعنَ العلمَ السوريّ فوقَ بيتهم.

الهوامش:

١- كاميران قره داغي، جريدة الحياة اللندنية، ١٩٩٢

٢- صلاح سالم زونوقة، (الكرد والعلاقة مع القوميات المجاورة)

٣- منذر الموصللي(عرب وأكراد- رؤية عربية للقضية الكردية)، دار الغصون، ١٩٩١

٤- المصدر نفسه

٥- القذافي والقضية الكردية، دار الملتقى ١٩٩٢.

٦- منذر الموصللي، من مصدر سابق،

٧- دانييل متيران، بكل الحريات، ترجمة ميشال خوري، دار عطية، ١٩٩٧

٨- الباحث نذير جزماتي.

٩- يحيى أبو زكريا(كاتب جزائري مقيم في استوكهولم)

العلاقات العربية الكردية بين أطماع اسرائيل وايران

د. جلال زناتى

أستاذ التاريخ والفكر السياسى
كلية التربية - جامعة الاسكندرية

لاشك أنه منذ أحداث ثورات الربيع العربي، والتى عصفت بمنطقة الشرق الأوسط والمشهد السياسى في المنطقة العربية يأخذ مسارًا يتّسم تارة بالهدوء وبالضوضاء، تارة أخرى ما بين مطالب لقوميات وأقليات سعت لنيل حريتها، أو لشعوب طالما آثرت أن تحصل على حريات كثيرًا ما سُلبت منها فى ظل الأنظمة سادت أو تلك التى قدّر لها أن تتغير بقيت أو بقدر محدود، ولاسيما فى المنطقة العربية والتى تزخر بأطماع استعمارية لكلٍّ من إسرائيل وإيران.

ومن بين تلك القوميات التى سعت إلى هذا الأمر القومية الكردية، فالشعب الكردي في المنطقة العربية والشرق الأوسط جزء من أمة عظيمة هي (الأمة الكوردية)، المجزّأة والمغبونة تاريخيًّا وسياسيًّا، حيث يبلغ عدد نفوس هذه الأمة ما يقارب ٤٠ مليون نسمة، موزّعة بين خمسة دول، وهو شعب توّاق إلى الحرية والحياة الحرة القائمة على أساس حقوقه الثابتة في الديانات والمواثيق الدولية، وحقوق المواطنة، والتطلّع نحو المستقبل المشرق في تحقيق أمانيه القومية الثابتة والمشروعة، وهو شعب عاشق للجبال لأنها ملاذه الآمن من سلاح العنصرية، ومن اضطهاد الفكر الشوفيني الضيق، ومن ممارسات مختلف الأنظمة التي تعاقبَت على ارض الشرائع في المناطق التى ينتشر فيها أبناء تلك الأمّة.

وقد كان للطبيعة الوعرة والجبلية الجبالُ أصدقاء الكورد دائمًا في المحن وعند الشدائد، إلّا أنّها لم تكن وحدَها في قلوب الكثيرين من محبِّي هذا الشعب، والمدركين قضاياه المصيرية، وحقوقه الثابتة تاريخيًّا. وقد حان الوقت لتوطيد أواصر العلاقات بين الشعبين العربي والكوردي في العراق، ليكون أنموذجًا

تعرض شعب كوردستان، إلى أبشع صنوف الظلم والاضطهاد نتيجة سياسة القمع القوميّ والطائفيّ والفكريّ

يُحتذى به بعد سنوات الظلم والقهر والجرائم، التي تعرّض لها الكورد، من الأنظمة المختلفة، وبخاصة من النظام السابق، لما للحوار بين العرب والكورد من تأثير على صنع السلام الذي هو قانون الحياة الأول وتجاوزٍ للماضي، ولما فيه من ارتباط بين تاريخنا العربيّ والكرديّ معًا.

لاشكّ أنّ هذه الخطوة تُعدّ من الخطوات المهمّة الأساسية لفهم الآخر، وبناء السلام والتعايش الأخوي بين كل القوميات ومكوّنات الطيف العربيّ الكرديّ قوميًّا ودينيًّا وفكريًّا، وفق أسس التسامح واحترام الآخر، وبصورة متساوية ومتكافئة. والحوار المطلوب هو حوار الأخوة، والقائم على حسن النوايا، لأنّ الجميع وبخاصة شعب كوردستان ، قد تعرّض إلى أبشع صنوف الظلم والاضطهاد نتيجة سياسة القمع القوميّ والطائفيّ والفكريّ بكلّ بشاعة.

وممّا يذكر في هذا الشأن محاولة الكيان الصهيوني استغلال هذا الخلاف والترويج لزيارات عدة قام بها نشطاء يمثلون أطياف من الأكراد، ومنها تلك الزيارة التى أفردت لها الصحافة العبرية تفصيلات من زيارة الصحفي الكردي السوري؛ سروان كاجو ودعوته إلى إنشاء منطقة عازلة بعيدًا عن نظام الأسد فى سوريا، وتوسيع العلاقات بين دولة الكيان وكردستان سوريا، وقد انطلقت العديد من الأقلام والتي تتخوف من التحولات الديمقراطية، ومن نيل الكورد حقوقهم بعد نضال وتضحيات طويلة، وذلك من خلال نشر العديد من تلك الاخبار باتهام الكورد بإيواء الوجود الإسرائيلي في كوردستان، من خلال استثمارات أو شراء الأراضي، أو من خلال الادعاء بتوطين اليهود العراقيين، الذين هم من أصل كوردي، في كوردستان، أو الزعم بوجود عملاء للموساد الإسرائيلي يقومون بتدريب ميليشيات كوردية، للقيام بعمليات تخريبية، أو اغتيال شخصيات علمية، أو بحجة التجسس على بعض دور الجوار، وغيرها من التهم التي لا صحّة لها ولا دليل عليها.

ولاشك أنّ مصادر هذه الاتهامات معروفة دوافعُها للجميع، التي تتلقّف هذه الأخبار (وإن كان بعض الأطراف فرادى يحاولون إجراء تلك الاتصالات)، وتوظّفها ضدّ الأخوة الكورد، في محاولة منها لتشويه صورتهم إقليميًّا ودوليًّا، وبالتالي إنّ مثل هذه التصرفات غير المسؤولة، تسيء إلى الأخوّة العربية – الكوردية، ممّا يوجب التصدي لها. وعلى المثقفين العرب مسؤولية أخلاقية وإنسانية في فضح هذه الادعاءات الزائفة، وعدم السماح مطلقًا لكلّ ما يسيء إلى الأخوة العربية – الكوردية. لأنّ الوحدة الوطنية وهذه الأخوة هي من الخطوط الحمراء التي لا يجوز بتاتًا المَساس بها.

كما أنّ الهدف من وراء الحملة الظالمة ضدّ الكورد؛ هو خلق حالة التوتر بين الشعبين الكوردي والعربي، وكذلك الشعب الكوردي، لا يمكن أن يضحيّا بالعلاقات والروابط التاريخية

من حق الكورد إقامة دولة مستقلة، إلّا أنّهم اختاروا الاتحاد الاختياري داخل الوطن الواحد مع إخوتهم العرب وباقي القوميات

والمصيرية مع الشعب العربي، ولا يمكن أن يحرجوا، أو يجرحوا المشاعر العربية. إذ ليس من الحكمة التضحية بهذه الروابط الأخوية التاريخية على الرغم من أنّ الجميع يعلم بوجود العلاقات، الرسمية وغير الرسمية، بين العديد من الدول العربية ودولة إسرائيل، وأملي الكبير من المثقفين العرب في الانتباه إلى مثل هذه المحاولات الهادفة إلى الإساءة للأخوة العربية – الكردية، وضرورة الارتفاع إلى مستوى المسؤولية الوطنية، فالكورد هم جزء من الأمة الكوردية المجزأة، والمغبونة تاريخيًّا. وكانت الحركة التحررية الكوردية تناضل من أجل إثبات الهوية للشعب الكوردي، والدفاع عن الوجود، ضدّ حملات الإبادة. وهذا ما دفع بالعديد من العقليات العربية العنصرية إلى توجيه التهم الباطلة في أن الكورد هم دعاة للانفصال، وعملاء للأطراف الخارجية، بينما الحقيقة هي أنّ الشعب الكوردي مثل أيّ شعب على الأرض، من حقّه أن ينشىء دولته المستقلة. وهو شعب بلا دولة. ومع ذلك ورغم حق الكورد في إقامة دولة مستقلة طبقًا لقواعد القانون الدولي، والاتفاقيات ذات الصلة، ومنها معاهد سيفر ١٩٢٠، إلّا أنّهم اختاروا الاتحاد الاختياري داخل الوطن الواحد مع إخوتهم العرب وباقي القوميات. غير أنّ العقليات العنصرية تستكثر عليهم حتّى هذا الحقّ الذي يشكل الحد الأدنى من حقوقهم، والمطبق في كثير من دول العالم التي تتضمن قوميات متعددة.

ولذلك نحن مع الكورد في خياراتهم، ومعهم في تقرير نوع الشراكة في الوطن، وإلى جانب حقهم في تأسيس الصيغة الفيدرالية للحكم كضمان لوحدة الدولة العراقية، فإنّ لهم الحقَّ في إدارة الدولة المركزية في العراق أيضاً. ولابدّ لنا من أن نبارك جهود وحكمة الأخوة في القيادة للحزبين المناضلين (الديمقراطي الكردستاني، والاتّحاد الوطني) في دعم وترسيخ الاستقرار، وتفعيل القانون في كردستان. فطالما انتظر إخوتهم العرب ترتيب البيت الكوردي، وتقوية وضعهم الإستراتيجي في كردستان، لتحقيق طموحات الشعب الكوردي في بناء مجتمع مدني ينعم بالاستقرار والأمن والرخاء، ويخدم الإنسان ويضمن حقوقه، بدعم مقومات النظام المؤسسي الدستوري، و بناء السلام.

كما نشير إلى أنّه لا يمكن نسيانُ الدماء التي سالت من العرب والكورد في حروب ومعارك فلسطين، ومن أبطال النضال الذين نعتزّ بهم كانوا من الكورد صلاح الدين الأيوبي من القادة الكورد الذين دخلت أسماؤهم التاريخ، وهو يقود العرب والكورد فاتحًا القدس إبّان الحروب الصليبية. ولا يمكن نسيان دور العلماء الكورد، في مختلف العلوم، وبخاصة في علم اللغة العربية، والعلوم الشرعية، والثقافات والعلوم الأخرى.

إن مستقبل العلاقات بين أكبر شريكين في وطن واحد، و هما: (الكورد و العرب)،

إذْ يجب توحيد الجهود لبناء دولة المؤسسات الدستورية، واحترام الحقوق القومية المشروعة للكرد، وكذلك الاعتراف بحقوق جميع الأقليات الأخرى، وتطبيق القانون بصورة عادلة بما يحقق المساواة، وفي احترام حقوق المرأة وتعديل وضعها الحقوقيّ، وفي إطلاق الحرّيّات العامة، ومعاقبة كلّ من ارتكب ويرتكب جرائم ضد الكورد والقوميات الأخرى، وفقًا للقانون، وبضرورة تعويض كلّ الأشخاص الذين تضرّروا من الجرائم الدولية التي ارتكبت ضدهم من طرد وتهجير، ومصادرة الأملاك، وقتل وغيرها، وإعادة المهجّرين والمهاجرين إلى العراق، وفي ضرورة وضع سياسة تعليمية جديدة من المراحل الدراسية الأولى، تشييع ثقافة حقوق الإنسان ونبذ العنف، وترسيخ التسامح وقيم الفضيلة، وفي تعليم اللغة الكوردية في المناطق العربية، وتدريس اللغة العربية في المناطق الكوردية، وفي فتح قنوات تلفزيونية ووسائل الإعلام الأخرى، الناطقة باللغة الكردية في المناطق العربية.

ونعتقد أنّ حكمة القيادة الكوردية وتجربتها النضالية المريرة والطويلة، ستوظف ليس للكورد فقط، وإنما لخدمة وبناء عراق المستقبل بكل أطيافه القومية والدينية والسياسية. كما نعتقد أنّ الآفاق المستقبلية للشراكة بين العرب والكورد، ستتعزّز أكثر مع بناء عراق ديمقراطي برلماني تعدّديّ ومؤسّسات دستورية، في ظل مجتمع مدنيّ، يقوم على احترام حقوق الإنسان والنظام الفيدراليّ بجهود مشتركة، وكذلك في توظيف الثروات وتوزيعها بصورة عادلة لمصلحة الإنسان العراقي ومستقبله.

في نفس الوقت فإنّ القوى الاستعمارية

على المثقفين العرب مسؤولية أخلاقية وإنسانية في عدم السماح مطلقًا لكلّ ما يسيء إلى الأخوة العربية ـ الكوردية

ومنها إيران تحاول أن تستغلّ تلك الأوضاع لتحقيق نوع من النفوذ على حساب العرب والأكراد فى المنطقة، لاسيما فى ظلّ الإدارة الأمريكية الجديدة للرئيس الأمريكى؛ ترامب، والتي تبشّر بنتائج وخيمة على الخريطة السياسية فى الشرق الأوسط على وجه التحديد.

وبناءًا على ما سبق لدينا عدد من المقترحات لبناء أسس الحوار الناجح في ظل اتحاد اختياريّ وشراكة عادلة نُجْملها فى النقاط التالية:

١- يتعين على الشعب العربي في العراق أن يحترم حق الشعب الكوردي في تقرير المصير، وأنّ يؤمن بأنّ الشعب الكوردي هو جزء من الأمّة الكوردية، وأنّ الكورد يعيشون على أرضهم منذ آلاف السنين، وأنّ للكورد خصوصية تاريخية، وقومية، واجتماعية، ولغوية يجب احترامها.

٢- إنّ الشعب العربي هو جزء من الأمة العربية، وإن هناك روابط تاريخية ولغوية ودينية وجغرافية مشتركة بين الشعبين وبين الأمتين تحتم عليهم مواجهة تلك القوى فى المنطقة مثل داعش التى تجاوز تعداد مقاتليها ٣١ ألفًا، وعلى الرغم من ١٣٥ ألف طلعة جوية لم يتم القضاء عليه نظرًا لمؤامات المصلحة بين القطبين الروسى والامريكى فى المنطقة

أنّ الآفاق المستقبلية للشراكة بين العرب والكورد، ستتعزّز أكثر مع بناء عراق ديمقراطي برلماني تعدّديّ ومؤسّسات دستورية

وغيرها من التنظيمات الإرهابية التى تهدّد بقاء تلك القوميات.

٣- ضرورة التخلص من الفكر العنصري الضيق، الذي جلب الكوارث على البلاد والعباد، والتخلي عن سياسة إلغاء الآخر، وصهره، ولا بدّ من الإيمان بقيم التسامح، لاسيما في ظل العولمة واحترام حقوق الإنسان وبناء الديمقراطية والمجتمع المدني.

٤- تقع على العرب والكورد مسؤولية تطوير العلاقات وتنميتها والاعتراف بالآخر، وأنّ من حق الكورد الاستقلال إذا رغبوا في فكّ الشراكة والاتحاد الاختياري، لأنه حق مشروع قانونًا لهم اذا استحال العيش المشترك. ولا يمكن اللجوء إلى القوة لفرض التعايش، فالشراكة لا تقوم إلا بالتراضي والفهم المتبادل، والأهمّ من ذلك هو خيار الشعب الكوردي في تحديد نمط العلاقة داخل الوطن الواحد بالرجوع إليه، لأنّه هو المرجعية في هذا الميدان. ولابدّ من الاعتراف أنّ الذي يستفتي على نمط العيش والشراكة هم الكورد.

٥- إقامة ندوات توعية متواصلة عن مفاهيم الفيدرالية، والعيش المشترك، وحقوق الإنسان والثقافة الجديدة غير العنصرية.

٦- منع تداول مصطلحات تضرّ بالأخوة العربية – الكوردية مثل وصف البشمركة بالمليشيات، ووصف الأحزاب الكوردية بالجماعات، بينما هي جزء من حركة تحررية قدّمت الآلاف من الضحايا من أجل قضية الكورد.

٧- الابتعاد عن النسب والمحاصصة في الوظائف والمناصب، والتركيز على الأكفّاء لأنّ الكرد شركاء في الوطن، وتاريخ شراكة عادلة ومنصفة.

٨- على المثقفين العرب، ووسائل الإعلام العربية، واجبات أخلاقية وإنسانية في تطوير العلاقات بين الشعبين العربي والكوردي في العراق، وفي نقل الحقيقة كما هي، وفقًا لقواعد أخلاقيات المهنة في العمل الصحفي، ووفقًا لدور المثقفين العرب في ضرورة ترسيخ قيم التسامح والتفاهم واحترام الخصوصيّات لكل شعب. فقد عانى الكورد من التعتيم الإعلامي، والغبن الكبير من وسائل الإعلام العربية – وحتى الإسلامية - وهو تقصير واضح يمسّ شرف المهنة.

كما نقترح بإعداد ميثاق شرف للشراكة العادلة، وللحوار العربي - الكوردي، من أجل توثيق العلاقات العربية - الكوردية، وبناء السلام والديمقراطية والمجتمع المدني، في ضوء قواعد الاتحاد الاختياري في العراق الجديد، هذه الاقتراحات إن أراد العرب والكرد العيش معًا بتحكيم العقل، وإلّا لن يتبقّى لكلا الطرفين أوطان قد عاشوا فيها وتفتت، أو أوطان حلموا بها ولمّا تتحققْ تلك الأحلام.

العرب والكُردُ.. حديثُ الخنادق أم رصاصُ البنادق

دانا جلال

منذ دخول الكرد الدين الإسلامي بعد احتلال بلادهم في زمن الخليفة عمرَ بن الخطاب، اختارَ الكرديُ رتبةَ المقاتل المؤتَّمر والتابع لقادة العرب والفرس والأتراك لإنشاء خلافاتهم وإمبراطورياتهم القومية المُغلَّفةِ بالخطاب الديني ورايات.

الإنجاز الكردي في علاقة الكرد بالإسلام وإن كان على حساب تشويه عملية تطوره الطبيعي و التاريخي كأمّة ومن ثم بناء دولته القومية؛ تمثل بإبعاد العامل القومي عن الديني من خلال إنشاء الدولة الأيوبية التي ابتعدت كثيراً عن مفهوم (الخلافة – القومية).

إنّ تجربةَ الدولة الأيوبية تؤكد بأن الكردي قد فهم الدين الإسلامي من خلال قراءته الخاصة، لدرجة يمكننا القول إنه تمكن من تكريد الدين ليصبح الكردي أكثر تفهماً لجوهر الإسلام، بل وأكثر إسلامية من الذين أنشؤوا خلافاتهم وإمبراطورياتهم تحت راياتها.

لا يمكن الحديث عن العلاقات (العربية – الكردية) دون التطرّق إلى مشترك ديني جمعَ الشعبين، أي الإسلام وأحزابها، باستثناء حالات نادرة كما هو عليه موقف آية الله العظمى السيد محسن الحكيم، الذي أصدر فتواه في أواسط الستينات، والتي تدعو الجنود العرب بعدم مقاتلة إخوانهم الكرد في حرب ظلت مشتعلة منذ أيلول ١٩٦١م فإن الكردي ووفق الموروث الاسلامي هو ابن الجنِّ ونِتاج زنى، كما وإن من علامات ظهور الساعة الذي يسبقه ظهور المُنتَظر حصول الكرد على حقوقهم القومية.

إن الخاسرَ الأكبر في العلاقات (العربية – الكردية) من خلال المشترك الديني هو الكردي. فالكردي المُسلم كان يَقمع شقيقه الإيزيدي (مجازر مير محمد كور)، العلوي، الكاكائي، المسيحي، الشيعي، اليهودي نصرة لمذهب الأغلبية الكردية والأكثر تمذهباً فيه وهي «النقشبندية»، التي لا يمكن فصلها عن حضانتها الأموية الأكثر تطرفاً وتشدداً على الصعيد القومي والمذهبي في التاريخ الاسلامي.

الكردي حينما يلتحق بالإسلام السياسي يتوهّم في عملية تضليل يتعرض له بأن قوميته عائق لدخوله الجنة فيدخل في مجال الاختيار والتراتيبية؛ الكردي الذي عُرِف عنه روح التسامح والابتعاد عن كل فعل إرهابي، يخضع للإرهاب ويمارسه من خلال

الرئيس العراقي الشهيد عبد الكريم قاسم اعترف بوجود الشعب الكردي، إذ قال: «العراق هو عراق العرب والأكراد»، وصاغ نصاً دستورياً يؤكد «شراكة العرب والأكراد»

انتمائه للقاعدة وداعش.

إن الاختلافَ الشكلي في مواقف التنظيمات الإرهابية مع المنظمات والجمعيات الإسلامية ناهيك عن قادة أحزاب الإسلام السياسي وحماس وحزب الله نموذجاً؛ يؤكد بأن العامل الديني ومن خلال واجهاتها السياسية قد أضرّ بالعلاقات (العربية – الكردية)، بل وبالعلاقات (الكردية-الكردية)، وهذا ما حدث ويحدث بقيام أردوغان بالاستفادة من العامل الديني لدى الكرد للتصويت لصالح حزب العدالة والتنمية التركي الفاشي.

إن المواقفَ السلبية وعبر التاريخ من قبل دعاة الإسلام العروبيون تجاه الكرد لا يعني أنه ليس هناك أمل بتوطيد العلاقات (العربية الكردية) من خلال العامل الديني، فموقف السيد مقتدى الصدر الذي كان يرفع شعار (لا إله إلا الله كوردستان عدوّ الله) في كركوك، قد ارتقى لدرجة الاعتراف بحق الكرد لإنشاء دولتهم القومية في جنوب كردستان ورغبته بجيرة جيدة مع تلك الدولة.

البُعد الآخرُ الذي كان له تأثيرٌ في العلاقات (العربية – الكردية) هو البعدُ القومي، كان له تأثير قبل وأثناء وبعد نشوء الدول القومية في (العراق وسوريا). لقد لعب الكرد دورهم، بل وفي كثير من الأحيان القيادي في حركات التحرر الوطنية في العراق وسوريا والذي انتهى بإنشاء دول قومية، بل وعنصرية صادرت الحقوق القومية الكردية ومارست حروبَ إبادة متعددة الأشكال بحق كرد سوريا والعراق، وبلغت ذروتها في فترة حكم البعث في دمشقَ وبغداد.

باستثناء موقف الرئيس العراقي الشهيد عبد الكريم قاسم الذي أعاد البارزاني الأب من منفاه، واعترف ولأول مرة بوجود الشعب الكردي، وأطلق مقولته المشهورة (العراق هو عراق العرب والأكراد)، وصياغته لنص دستوري يؤكد «شراكة العرب والأكراد» في الوطن العراقي في دستور ٢٧ تموز ١٩٥٨. إن الاحزابَ القومية العربية السلطوية كانت مواقفها بين العداء المطلق والصمت الجبان تجاه ما تعرّض له الكردُ من مآسي وويلات.

موقف الرئيس الليبي السابق معمر القذافي الذي دعم وبشكل مادي ومعنوي حركة التحرر الكردية في جنوب كردستان، وعلى وجه الخصوص الاتحاد الوطني الكردستاني، ناهيك عن تصريحاته الشجاعة بأن الكرد حالهم حال الشعب الفلسطيني لهم حق الدولة، يمثلُ موقفاً ثورياً وشجاعاً.

أما موقف الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر الذي استقبل مصطفى البرزاني بعد عودته من منفاه بعد ثورة ١٤ تموز من العام ١٩٥٨ في العراق، واستقباله للرئيس العراقي السابق جلال الطالباني في العام ١٩٦٣ يمثل موقفاً ايجابياً تجاه الكرد ومن ثم موقفاً لصالح العلاقات العربية الكردية.

إن التيارَ القومي العروبي وباستثناء حالات فردية لعبَ دوراً سلبياً في تطوير العلاقات (العربية – الكردية) على خلاف الأحزاب القومية الكردية التي بقيت مرتبطة بقضايا العرب وجدانياً وسياسياً وعلى وجه الخصوص قضية فلسطين التي تعتبرُ مركزية عند العرب.

أما التيار الليبرالي الذي كان ناشطاً في أربعينات وخمسينيات القرن الماضي، فمواقفه كانت مترددة، وإن كان بأفضل من التيار الديني والقومي. التيار الليبرالي العراقي المتمثل بموقف أبرز رموزه كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي ومنهاج حزبه المتطور بشأن القضية الكردية يمثل الأكثر تطورا في هذا المجال.

أما التيار اليساري وبطليعته الأحزاب الشيوعية، فإن مواقف تلك الأحزاب لا تقارن

بمواقف بقية التيارات مع الأخذ بنظر الاعتبار إلى اختلاف المواقف في هذا التيار، فعلى نقيض الحزب الشيوعي العراقي الذي رفع شعار حق تقرير المصير للكرد، وطالب بالفيدرالية حتى قبل الأحزاب الكردية في جنوب كردستان، ناهيك عن دماء آلاف الشهداء الشيوعيين العراقيين في جبال جنوب كردستان، نجد أن الحزبَ الشيوعي السوري اعتبر انتفاضة قامشلو في ٢١ اذار من العام ٢٠٠٤ مؤامرةً إمبريالية رجعية ضد النظام في دمشق.

تمثلُ سوريا والعراق بوابة العلاقات (العربية الكردية)، لأنهما تضمان أجزاء من كردستان، لذا فإن مواقفَ المعارضة فيهما لها أهمية كبيرة على صعيد ترسيخ أو تغريب العلاقات العربية الكردية.

المعارضة العراقية فترة النضال ضد فاشية البعث كانت لها مواقفٌ شجاعة، فقد اعترفت منذ العام ١٩٩٢ بحق تقرير المصير للشعب الكردي (مؤتمر فينّا) وبالفيدرالية (مؤتمر صلاح الدين)، على خلاف المعارضة السورية الحالية التي وصفتِ الكردَ من خلال قادته اليساريين والليبراليين قبل الإسلاميين المتشددين؛ بأنهم غجرٌ وبلا وطن، كما قال موفق مصطفى السباعي، ومالحهم هيثم الذي اكتشفَ أنّ الكردَ هم عربٌ نسوا انتماءهم القومي عبر متاهات التاريخ .

يمكن اعتبار العلاقة بين الكرد وثوراتهم مع الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية نقلةً نوعية ضمن العلاقة بين الشعبين. فالمقاومةُ الفلسطينية التي شهدت انتماء الكرد لها، إضافة إلى مشاركتهم في الحروب (العربية - الإسرائيلية) وملحمة قلعة شقيف، واستشهاد عدد من مقاتلي حزب العمال الكردستاني أثناء الاجتياح الإسرائيلي علاماتٌ بارزة في تلك العلاقة. بالمقابل فإن الكردَ وبالأخص كرد الجنوب لم ولن ينسوا قيام منظمة التحرير الفلسطينية وعلى وجه الخصوص الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بتدريب الشباب الكردي بعد انهيار ثورة ١٩٧٥ في جنوب كردستان.

حقيقة يجب أن نعترف بها، وتتمثل بأننا نشهدُ

تمثلُ سوريا والعراق بوابة العلاقات (العربية الكردية)، لأنهما تضمان أجزاء من كردستان، لذا فإن مواقف المعارضة فيهما لها أهمية كبيرة على صعيد ترسيخ أو تغريب العلاقات العربية الكردية

تغيراتٍ جذرية في العلاقة بين الشعبين، وعلى وجه الخصوص في سوريا والعراق. هناك قوى عربية كانت تساند الكردَ فترة نضالهم القومي، يبتعدون الآن عن قضية الشعب الكردي العادلة، مع كل تطور في مجال حصول هذا الشعب على حقه القومي؛ ويقابله ظهور نزعات قومية ضيقة الأفق بين الكثير من الأوساط الكردية في البلدين.

إن الحلَّ الديمقراطي للقضية الكردية كما هو عليه الحال في روج آفا، والذي طرحه الاتحاد الديمقراطي مسترشداً بأفكار أوجلان، وابتكار أشكال جديدة للنضال الفكري والسياسي والعسكري؛ بعنوانه «الأمة الديمقراطية» وتفاصيله «الإدارة الذاتية الديمقراطية»، وراية العنوان والخندق والتفاصيل المتمثلة بقوات سوريا الديمقراطية تمثل الأسس الديمقراطية، بل ودمقرطة للعلاقة بين الشعبين، وهذا ما نجده في منبج والرقة لاحقاً كواقع جديد وبديلاً ديمقراطياً ومأسسةً لعلاقات جديدة بين الشعبين.

لقد أكد التاريخ، إنه حينما يهزم الكردي فإن هزيمةَ العربي هو تحصيل حاصل، وما الاحتلالات الفارسية والتركية للمدن العربية إلاّ دليل على ذلك. فهل يعملُ الكردُ والعرب على وضع استراتيجية لترسيخ وتوطيد العلاقات المشتركة وبشكل ديمقراطي في منطقة هي الأكثر استهدافاً وتغيراً؟

الكُردُ والعربُ في سوريا

رياض درّار

الحوارُ العربي الكُردي في سوريا ما بين العرب والكرد من أخوةٍ وحُسن جوارٍ وسلام وصداقة وتعايش وتصاهُر، ليسَ له مثيلٌ مع بقية الأُمم والشعوب، وهم تصدّوا لموجات الغزو وواجهوا تحدّيات الخارج وصدّوا كل محاولات الإخضاع والهيمنة. وإذا وُجِد سببٌ للفراق، فبينهم ألفُ جامعٍ يجمعهم، من دينٍ وروابطَ مصلحة وعلاقات تعايش وأهداف مشتركة. والحوارُ في هذا الظرف الراهن يستهدفُ مراجعة المستجدات الحاصلة والتغيرات الناجمة عن ثورات الربيع العربي التي تتطلبُ مراجعةَ البنية التي قامتْ عليها الدولة القومية منذ نشوئها ما بعد سايكس بيكو، وما خلقته من عقباتٍ وتركته من ندوبٍ في العلاقات تتطلبُ قراءةً جديدةً لوضع أسسٍ تحدّد العلاقاتِ بين الشعبين من أجل مستقبلٍ خالٍ من أي تعكيرٍ ومن أيّة حواجز تعترضُ طريقَ العلاقات الأخوية.

والحوارُ في سوريا يكتسي طابعَ الضرورة، بهدف الكشف عن عناصر القلق لدى الطرفين العربي والكردي، والسعي لتوضيح المطالب المُحقّة التي يرونها من أجل توكيد السلم الاجتماعي، وتحقيق التنمية، وبناء الديمقراطية وتأكيد حقوق المواطنة إلى جانب الحقوق الإنسانية للجميع، وهذا يتطلبُ الوضوحَ في الحديث عن حق تقرير المصير، وعن الفيدرالية، وعن العلاقات مع دول الإقليم وتأثيراتها، ومسائل تتعلق بالقانون الدولي الإنساني والمصير المشترك والروابط التاريخية التي تربط الشعبين ومدى القدرة على تمكينها.

في المسألة الفيدرالية مسألة التخوف إزاء الفدرالية والوجل من نتائج تطبيقها تحتاج توضيحاً لابدّ منه، فالبعضُ يرى أنّ الفيدراليةَ تكونُ بجمع مناطق أو دول مقسمة، ولا تصلح في دولة موحّدة الحدود، مع أنّ الهدفَ

إنّ خياراتِ المواطن الحرّة تتضمّنُ حقَّ تقرير المصير ولا تعني التقسيم أوالانفصال، وإنما تقريرُ شكل الحياة وحرية الأفراد، وعدمُ فرضِ نظامٍ شمولي يمنعُ خياراتهم ونشاطاتهم ومعتقداتهم وطريقة تعبيرهم عن قناعاتهم، وحريتهم في التنظيم والاجتماع.

من الفدرالية وفقَ قواعد الفقه الدستوري تعزيزُ وحدة الأقاليم بصلاحيات واختصاصات في إطارٍ من اللامركزية، وتقاسُم الوظائف وحلّ إشكالية الدولة المركزية بتوزيع المسؤوليات على الأقاليم والمناطق، بل إن تحديدَ المسؤوليات والحقوق والواجبات يمكنُ له أن يُصحّحَ العلاقاتِ بين المركز والأطراف، ويحمل الجميع مسؤولية التنمية والإعمار والتعليم والصحة والسياحة والضمان الاجتماعي، وبقية الخدمات التي لها طابع تحسين ظروف السكان ومعيشتهم، والتي ليست من مسؤولية المركز الذي يتولى حقائبَ سيادية ومسائل استراتيجية، كالخارجية والدفاع. وإدارة الموارد الكبرى في النظام الفدرالي سوف تخفّ أو تنعدم مظاهر الاستعلاء القومي أو الطائفي ومحاولات فرض الهيمنة من جهة واحدة تحت أي مسمى كان دينيا أو حزبياً؛ وتتعزّز قيمُ المساواة والمواطنة والعيش المشترك. ويمكن لعدوى الديمقراطية أن تنتشر بفضل المعرفة السكانية للمرشحين، والتطبيق المباشر لآليات الترشيح والانتخاب والتواصل القريب مع الممثلين دونَ عوائق بيروقراطية في التعامل أو مكانية في الإقامة، ولعلّ أفضلَ صيغة تُقترح لتطبيق الفدرالية أن تقومَ على أساسٍ مناطقي، وإن غلبَ عليها وجودٌ قومي أو خصائص مشتركة لكيان تاريخي، فيجب أن يكون ضامناً للتنوّع، عاملاً على المشاركة النسبية في الإدارة، ويمكن أن تكون أكثرَ من فدرالية في المنطقة الواحدة بين الساحل والوسط والشمال السوري والجنوب والمنطقة الشرقية. وفي شكل الفدرالية هناك صيغٌ في العالم يمكن الاستعانةُ بأنسبها للواقع السوري، وأنسبُ تنظيم إداري يتعلق بتوسيع دائرة المشاركة. ولاً شكّ أنّ هناكَ نظرةٌ ضيقةُ الأفق وقاصرةٌ بشأن موضوع الفدرالية، وخشيةٌ من كونها أولُ طريق الانفصال، يرافقها نظرةُ استعلاءٍ وإنكار من النُخبِ ومن الجمهور ومن إعلام النظام، و ذلك كلهُ يرافقه دعواتٌ باسم الوطنية الكاذبة التي لم تنجز شيئاً من الحقوق خلال فترة الصَدح بها من قبل الحزب الحاكم والنظام القائم. وهي ذات الموقف من حقوق أخرى كحق المرأة وحقوق الأقليات وحقوق الإنسان. إنّ معالجةَ آثار المرحلة الشمولية والدولة المركزية التي قامت على سيطرة الحزب الواحد، والتضييق الأمني على المواطنين وانتهاكات حقوق الإنسان، تتطلب مزيداً من الانفتاح على خيارات المواطنين الحرة، ومعالجة آثار الحقبة الماضية، وتأكيد احترام الحقوق الإنسانية وفق الشريعة الدولية للحقوق. وإنّ خياراتِ المواطن الحرّة تتضمّنُ حقَّ تقرير المصير بكلمةٍ جامعةٍ لا تعني طلبَ التقسيم والانفصال، وإنما تقريرُ شكل الحياة وحرية الأفراد، وعدمُ فرضِ نظامٍ شمولي يمنعُ خياراتهم ونشاطاتهم ومعتقداتهم وطريقة تعبيرهم عن قناعاتهم، وحريتهم في التنظيم والاجتماع.

مبدأ حق تقرير المصير

وفي الفيدرالية حقُّ اختيارِ النظام القانوني والاجتماعي وفقَ عقدٍ اجتماعي تراه مناسباً،

الحلّ في سوريا هو حلٌّ سياسي، ولابد من تغيير القاعدة الحاكمة للسياسة، فالحزبُ الواحدُ والقائد الأبدي شيءٌ يجب أن يصبحَ من الماضي، ويجب أن يكون الاعتمادُ على القوة الذاتية والاستعانة بقوى الحلفاء ضمن المصالح المشتركة فقط.

مادام ناتجاً عن إدارةٍ ديمقراطية، واختيارٍ حُرّ. وبالنسبة للشعب الكُردي، فمن حقه اختيارُ المصير الذي يناسب مصلحتَه بين البقاء ضمن الفدرالية الاتحادية للدولة السورية أو اختيار تحقيق حلم الدولة القومية التي منعته الاتفاقاتُ الدولية والمعاهدات بين قوى استعمارية من تحقيقها، وإنّ التفاهمَ مع العرب ودراسة المصالح المشتركة والنتائج المؤثرة على هذا الاختيار، سيكون عاملاً مشجعاً على الاستقلال أو الاتحاد الطوعيّ. وكلُّ تسوية تقومُ على الإكراه نتائجها وخيمةٌ على الطرفين، فأيُّ حلٍ يجبُ أن يكونَ لصالح الطرفين، العربي والكردي والعلاقات المستقبلية بينهما، والخيارُ الديمقراطي سيقودُ إلى حلّ سلمي للقضية الكردية والعربية، بما يمكّنه من تلبية الحقوق في ظلّ النظام الفدرالي الدستوري الذي يحترمُ حقوقَ الإنسان والمواطن، من غير تمييزٍ في الدين أو القومية أو الجنس أو اللغة أو الانحدار الاجتماعي أو أي سببٍ آخرَ. ولا بدّ من ضماناتٍ قانونية لنجاح أيّ اختيارٍ ضمن صياغاتٍ مقبولة تؤسّس لعقدٍ سياسي اجتماعي لا لبسَ فيه، والابتعاد عن كل ما هو خلافي أو إشكالي. ويمكن التعويلُ اليومَ على الكرد في بناء أواصر العلاقات من جديد بعد الانتصارات التي يحققونها على تنظيمات التطرّف والإرهاب، وبعد طرد داعش والقضاء على فلولها، فالكرد اليوم في سوريا هم بيضةُ القبّان في الاستقرار وفي تحقيق الوحدة الوطنية وفي رسم السياسات القادمة، بعد فشل المعارضة السياسية وانسداد الأفق أمام استمرار النظام القائم في إعادة الدولة إلى ما كانت عليه، ضرورات لابدّ منها، الحلّ في سوريا هو حلٌّ سياسي، ولابد بالإضافة إلى التمسّك بتغيير النظام الحالي من تغيير القاعدة الحاكمة للسياسة، فالحزبُ الواحدُ والقائد الأبدي شيءٌ يجب أن يصبحَ من الماضي، ويجب أن يكون الاعتمادُ على القوة الذاتية والاستعانة بقوى الحلفاء ضمن المصالح المشتركة فقط،، والتمسك بالوحدة الوطنية مع النظام الفدرالي، وضرورة التوقف عن التجريح من الطرفين، فالألفاظُ المستعملة لا تزيد النفوس إلّا تقززاً وتصبُّ فوق النار زيتاً، وهي من أطراف متضرّرة من أي لقاء ومتضررة من أي تفاهم أو تعايش بي الشعبين، وهي تعيش على تركة الماضي، ويحتاج الأمر إلي قدرٍ من التسامح في التعاطي مع تركة الماضي البغيض من أجل تجاوزه . ولابدّ من تصّور العلاقات العربية الكردية في مسارٍ تاريخي بعيد عن أي ظروف ضاغطة أو ارتكاساتٍ حاصلة، وأن تكون على أساس المساواة وحقوق الإنسان والمواطنة الكاملة. فالمواطنةُ هي التحدي الأول لنجاح الدولة القانونية، ومن دون المواطنة الصحيحة لا يمكن تحقيق التعددية ولا يمكن ضمان حرية الاختيار أو التعبير، وكلما ترسّختْ قاعدةُ الحريات الفردية والعامة وتمت إعادة النظر بالقوانين والأنظمة السائدة وتخليصها عن كل ماله علاقة بكبح حقوق الانسان، انتقلتِ الدولةُ من الاستبداد والتسلّط إلى الحرية والديمقراطية.

في تاريخ العلاقات الكرديّة والعربيّة - الإسلاميّة

صلاح الدين مسلم

تمهيد

لقد كان الهدف أوّلاً وأخيراً لمعتنقي براديغما الإدارة الذاتيّة والأمّة الديمقراطيّة هو نسب كلّ مشكلة وقضيّة تناحريّة بين المكوّنات العرقيّة والأثنيّة في الشرق الأوسط إلى قضايا المجتمع والدولة، ولتحليل أيّة ظاهرة ما يجب فهم ظاهرتَي السلطة والدولة القوميّة في الشرق الأوسط عامّة، والدول العربيّة خاصّة، فلا بدّ من فهم ارتباط المدينة بالرأسماليّة وارتباط المدينة بدورها بالسلطة الطرف، وارتباط هذا الطرف بالأطراف التي تدور حول فلك السلطة المركزيّة المتجسّدة في عاصمة الاحتكار الرأسماليّ «نيويورك»، وما هذه المدن المشادّة إلّا بيادق بيد السلطة المركزية النيويوركيّة، مع أنّ ظاهرةِ السلطة خالقة الأزمات الاجتماعية وجوهرها على مرّ التاريخ، فالدولة تعدّ تعبيراً رسمياً عن شتّى أشكال رأس المال والملكية والسلطة. فالدولة تسعى دائماً إلى إحلال القانون محلّ الأخلاق، وإلى إقامة الحكم البيروقراطيّ مقام السياسة. وعلى كلا طرفي هذا التناقض المستمر طيلة التاريخ، تتطور المنهجية الرسمية للمدنية الدولتية والمنهجية غير الرسمية لنظام الحضارة الديمقراطية.

وما هذه البيادق التي تدار بيد السلطة المركزيّة في نيويورك، إلّا أدوات تقوم بدورها في قمع الشعوب، وكلّ هذه الحركات المناوئة للسلطة ديمقراطية في جوهرها، وقد كانت الثورات في بداياتها ذات طابع وطنيّ ديمقراطيّ، على غرار ما حصل في قريناتها من الثورات الفرنسية والروسية والأميركيّة. وكانت تستند إلى تحالف فسيح للقوى الوطنية الديمقراطية. أي أنّ الفضل في النصر يعود أساساً إلى تحالف الأمة الديمقراطي، لكنّ الدولة المشادة تسرق تلك المكتسبات في النهاية، وجميع الدول القومية المشاد صرحها في منطقة الشرق الأوسط بعد ذلك التاريخ، إنّما تحمل تواقيع إنكلترا سابقا ثم أمريكا لاحقاً، فالمجتمعات الأخلاقية

والسياسية على تنافر وتناقض جدليّ متبادل مع الدولة، وبالتالي يظهر اتّجاهان مختلفان مبنيان على التناقضات القائمة، فإمّا أنْ تحتدم أكثر مؤديةً إلى الحرب، أو أن تتّجه نحو الوفاق مؤدّيةً إلى السلام.

لكنّ الحلّ يكمن في فهم هذه المعادلة الدولتيّة وارتباطها بالاحتكار أوّلاً وآخراً، ومن يمارس هذه العقلية وكلّ دولتيّ يدّعي أنّه من الشعب، يثبت في ممارساته العمليّة ارتباطاته الواضحة بالسلطة والدولة، ويثبت أنّه جنديّ من جنود هذا الجيش الدولتيّ الذي يخدمه ويعضده، ويخدم فردانيته، وما الالتفات إلى المجتمع إلّا ضرورة الارتباط بالمسؤولية المنوطة بعاتقه، ليدرك مفهوم الثقافة والسياسة والديمقراطية وفق منظور المجتمع، وبالتالي الوصول إلى سيسولوجيّة الحريّة في أرفع صورها عبر بوّابة المجتمع الذي نُهبت منه ماءاتُه التسع والتسعون منذ هيمنة أنكي الرجل على الديمقراطيّة الإنانيّة الأموميّة.

لقد اعتمد كلّ نظام دولتيّ مهيمن ساد في العالم على أيديولوجيّة معيّنة، منذ نشوء الدولة قبل خمسة آلاف عام حتّى الآن، ويمكن أن ينفرد كلّ مركز تاريخيّ في العالم عبر التاريخ بخصائص تميّزه عن الأخرى، وإن اجتمعت الإمبراطوريّات العالميّة على مقولة واحدة ألا وهي؛ (الطبقات والاستعباد والظلم وتحالف التجّار مع الراهب والعسكريّ)، ليؤلّفوا ثلاثيّة (التاجر والراهب - المنظّر الأيديولوجيّ والعسكريّ) ولتضع جلّ ثقلها على الشعب المغيّب عن الحياة، إلّا أنّ هناك بعض الفروقات بين نظام وآخر.

وقد ظلّت بعض الأقلام العربيّة تعزف على وتر العلاقات الكرديّة العربية بصيغة تحليل هذه العلاقات على أنّ الكرد فيه كانوا دائماً مساعدين في تطوّر الدولة العربيّة الإسلاميّة، أيّ هم في المرتبة الثانيّة، وأنّ العرب راضون عن الكرد المطيعين، وظلّت تلك الأقلام إلى يومنا هذا تريد أن تصف الكرد الإيجابيين على أنّهم الكرد الذين لم يخونوا الدولة، بل كانوا من دعائمها وأنّهم تحدّثوا باللغة العربيّة وافتخروا بها، وظلّت الدولة تستقدم تلك الشخصيات التي نسفت نفسها وانخرطت في غمار الدولة، بينما وصفوا الثائرين على الدولة بالمتمرّدين والمرتدين وهم الكرد السلبيين بنظرهم، ومن هنا ظهر مفهوم الكرد الإيجابيّين والكرد السلبيّين، أي الإيجابيّ للدولة والسلبيّ للدولة. ومن جهة أخرى ظهرت النخبة الكرديّة التي طأطأت رأسها أمام هيبة الدولة العربيّة أو الإسلاميّة، وصارت هذه الفلسفة السمة الرئيسة لهذه الطبقة، وللحديث تتمّة.

نشوء الدولة الإسلامية في كردستان، وردّة فعل الكرد عليها

إنّ هناك تعتيماً إعلاميّاً وتاريخيّاً واضحاً على تلك الفترة التي نشأ فيها الإسلام في كردستان في عهد الخليفة الراشديّ الثاني عمر بن الخطّاب، من خلال الفاتح الإسلاميّ عياض بن غنم المضري القرشيّ، وسواء كان الفتح الإسلامي لكردستان بالحرب أو بالسلم، فما يهمّ هنا هو تحوّل الإسلام من عقيدة المجتمع إلى عقيدة الدولة وأيديولوجيّتها الإسلام السنّيّ، وبالتالي تحوّل الصراع إلى صراع قوميّ طبقيّ عشائريّ في العصر الأمويّ، إلى صراع طبقيّ بين الطبقة الإسلاميّة السنّيّة والطبقة الشيعيّة الباطنيّة كردّة فعل على الإسلام السنّي.

لقد وقف الكرد متفرّجين إلى هذا الصراع الطبقيّ والصراع العسكريّ ما بين الإمبراطوريّات الثلاثة: (العربية الإسلاميّة، الساسانيّة، البيزنطيّة) وكانوا كلّما احتدم الصدام يلجؤون إلى الجبال، ويبدو أنّه كان

وما الالتفات إلى المجتمع إلّا ضرورة لإدراك مفاهيم الثقافة والسياسة والديمقراطية وفق منظور المجتمع، وبالتالي الوصول إلى سيسولوجيّة الحريّة في أرفع صورها عبر بوّابة المجتمع الذي نُهبت منه ماءاتُه التسع والتسعون منذ هيمنة أنكي الرجل على الديمقراطيّة الإنانيّة الأموميّة.

هنالك خلافٌ حينذاك ما بين فقهاء الدولة في نعت الكرد بالكفّار، فهناك من كان ينظر إليهم على أنّهم أتباع دين سماويّ وهو الزرداشتيّة أو المجوسيّة، اعتماداً على الآية ١٧ في سورة الحج: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). ويبدو أنّ الشيعة لم يكفّروهم ولم ينجسّوهم، لكنّ الإسلام السنّي الدولتي اتّخذ القرار في تكفيرهم وتنجيسهم، ولذلك اتُّخذت فرامانات الإبادة تجاه الإيزيديين خلفاء الزرداشتيين.

وكلّما ازدادت الضائقة المادّيّة للدولة الإسلاميّة اعتمدت على نظام الجزية؛ أي الضريبة على كلّ شخص غير مسلم ومعتنق ديناً سماويّاً، فحينها كانوا يعتبرون زردشت نبيّاً وكتابه الآفستا كتاباً سماويّاً؛ لجباية الجزية – الضريبة، وعندما يريدون أن يسيطروا على مناطق الإيزيديين كانوا يكفّروهم، فقد كان الدين الإسلاميّ لعبةً بيد فقهاء الدولة.

وهكذا انخرط الكرد السهليّون في الإسلام، وظلّ الجبليّون بعيدين عن الإسلام، وقد استطاعوا أن يؤسّسوا أنفسهم في جيش أبي مسلم الخراساني مؤسّس الدولة العبّاسيّة الذي قتله أبو جعفر المنصور بعد أن استلم الحكم، والذي بدأ بسلسلة من الانشقاقات في المكوّنات الكرديّة والأرمنيّة والفارسيّة والتركمانيّة... التي تجمّعت حول بابك الخرّمي، وظهرت في الحركات المناوئة للإسلام السنّي الدولتيّ من خلال الإسماعيليّة والقرامطة وصولاً إلى صلاح الدين الأيوبيّ مؤسّس الدولة الأيوبيّ التي امتدّت أكثر من مئتي عام.

التعايش المجتمعيّ في زمن صلاح الدين الأيوبيّ

لم يكن صلاح الدين الأيوبي رجلاً متطلعاً إلى الدولة بقدر ما كان رجل حرب وشهامة، لقد كان شعاره إعلاء راية الإسلام، لكنه كان يدرك أنّ العرب ظلّوا يرَون أنّ الإسلام خاصٌّ بهم فحسب، وكان الصراع صراعاً على السلطة والمغانم والشهوات، إنّما الصراع عند الكرد - الذين اعتمد عليهم في جيشه - هو البحث عن الخلود، خلود أكيليسي لإثبات الهوية، فكم من المرات استنجد بالخليفة العربي في بغداد - الذي لا حول له سوى أنه منصب فخري - كي ينادي في الأمة الإسلامية ليحارب الشعب الإسلاميّ معه ضدّ الصليبيين أعداءَ الجميع دون استثناء، لكنه لم يستجب له لئلا يحفر اسم الكردي على صفحات التاريخ.

فالقائد عبد الله أوجلان وهو في سجنه يحاصر الدولة الخائنة كما حاصر صلاحُ الدين مصرَ التي استنجد وزيرها شاور بالصليبين مرات ومرات، فلم يقتحم صلاح الدين الكرديّ مدينة عربية إلّا واستنجد ملكها العربي بالصليبين (القاهرة، دمشق، حلب، صور.....) لكنه هزمهم كلهم وأعطاهم الأمان، وحرّر القدس التي كانت محتلة قرابة قرن من الزمن، ولم ينجح الأيوبيّ في تحرير القدس من خلال اعتماده على القوّات الكرديّة فحسب، بل نجح من خلال التوافق بين الشعوب الكرديّة

والعربيّة والتركمانيّة والأرمنيّة وغيرها من الشعوب، وكذلك التوافق والاتّفاق المجتمعيّ بين الأثنيّات المختلفة، ومن خلال تأمين معيشتهم ورفع مستوى دخل أفرادهم، ومنحهم الحرّيّة في المعتقد والمذهب والتيار والعادات والتقاليد، وهنا ازدادت ثقة المجتمع به.

لسنا في صدد فكرة الدولة التي كانت الهاجس الوحيد للقادة، والأسر الوحيد الذي لم يبرحوه، وبالتالي كانت هي اللغة الوحيدة السائدة في ذلك الوقت، وقد كانت السلطة هي الدافع الوحيد للقادة؛ للقتال وكذلك الغنائم والنساء والجواري والغلمان، لكن ما فعله الأيوبي هو أنّه بحث عن حلّ توافقيّ للمجتمعات، وإعادة الصياغة المجتمعيّة للأمم المتضاربة ضمن بوتقة الدولة الإسلاميّة التي فقدت هيبتها، إثر تضعضع الخليفة الذي بات يمتلك السلطة الأيديولوجيّة فحسب، وبات الوزراء والسلاطين يبحثون عن السلطة ضمن هذه الدولة، لذلك استطاع المجتمع أن يتخلّص من الدعوات العدائيّة للقوميّة العروبيّة التي سقطت مع آخر الخلفاء العروبيين؛ أبي جعفر المنصور والسفّاح، وبعد انهيار الدولة الأمويّة.

كانت الأيوبيّة الكرديّة عنوان المرحلة الجديدة للاتّفاق الاجتماعيّ، ولم تطرح كلمة الدولة الكرديّة، وإنّما كان التوافق على أيديولوجيّة الاتّفاق المجتمعيّ الذي أوصل الأيوبيّ إلى دفّة القيادة وطرد الغزاة الصليبين من هذه الأرض التي لم يستطيعوا أن يسيطروا عليها بفكرهم الغربيّ الذي لم يدرك مفاتيح إدراك ماهية المجتمع، وهذا ما امتلكه الأيوبيّ واستطاع أن يحرّر القدس القبلة التي أنشدها الصليبيّون للهرب من شبح اللاحلّ في مناطقهم الغربيّة.

ليس من السهولة بمكان تحليل هذه القوّة التي طردت جحافل الصليبيّن من هذه الأرض الشرقيّة، هذه الهجمة الصليبيّة التي ألمّت بالشعب الشرق أوسطيّ التي شحذت كلّ قواها لاحتلال الشرق الدامي، ففي ذلك الوقت أيضاً رأى الشرقيّون أنّ تحرير القدس من المعجزات بعد احتلال دام قرناً من الزمان، كما الآن يرى المتثاقفون؛ جنودُ الحداثة الرأسماليّة في استحالة تطبيق الأمّة الديمقراطيّة في الشرق الأوسط.

الإسلام السنّي والشيعي

إنّ النزاع الناشب بين طهران ومكّة هو نزاع قديم يمتدّ ألفاً وأربعمئة سنة، وهو نفسه الصراع بين بغداد العبّاسيّة ذات الامتداد الشيعيّ ودمشق ذات الامتداد الأمويّ السنّي، والصراع بين الشيعة المقاومين المناضلين سابقاً والسنة السلطويين سابقاً أيضاً، وهو بأحد معانيه كان نزاعاً حول ما إذا كان النظام الجديد سيكون نظام جمهورية ديمقراطية شعبيّة أم نظام سلطنة مونارشيّة تنتقل بالوراثة من الأب إلى الإبن، لكنّه تحوّل في نهاية المطاف إلى صراع دولتيّ سلطويّ تجاريّ بين سلطتين متناحرتين تريد أن تغزوالحياة الفكرية والحدود والتجارة، منذ معركة صفّين إلى الآن، والتي لا تنفكّ تشهد اليوم اشتباكات مماثلة في شدتها وحدَّتها تدور في سوريا واليمن والعراق ولبنان وكلّ أنحاء كردستان. ولم يكن النظام الهرميّ القبليّ المتوطّد في تلك المرحلة يتيح أيّة فرصة للجمهورية، أو بالأحرى حتى لظهور ديمقراطية بدائية.

فعند تحليلنا جوهر الحرب التي حصلت على الحوثيين الشيعة في اليمن من قبل التحالف العربيّ السنّي، وردّة الفعل الرافضة من قبل مؤيّدي التيار الشيعي ورموزه، كنصر الله وغيره من التيار الإيراني، وتداعيات هذه الحرب على تطوّر نفوذ المعارضة المسلّحة في سوريا، سنرى جوهر الصراع القديم الذي

تؤجّجه الرأسماليّة العالميّة، فالصراع والصدام المحتدم مازال بين المدن، فصنعاء وعدن وإدلب وحلب ودمشق والرقّة والموصل... هي مراكز الصراع الآن.

إنّ الحداثة الرأسماليّة تطرح على الساحة الصراع الخراسانيّ العبّاسيّ المتجدّد، وهو في أوجه، ولا تزال الرأسمالية تستمرّ في مسيرة النصر منذ أربعة قرون حتّى الآن، لكنّها تعرّت وتعثّرت في الشرق الأوسط. والرأسمالية هي الابن غير الشرعيّ لمركز الثقافة في الشرق الأوسط وقد تنكّرت لمعروف هذه الحضارة التي تعبث بها وتخلق فيها الصراعات والتناحرات، وهؤلاء المتصارعون هم من لدن الجبابرة الأوائل الذين مرّوا على صفحات التاريخ الدولتي كفرعون والإسكندر وغيرهم من الطغاة، وما التغيير إلّا في الأدوار، فإيران التي تلعب دور كسرى لكن في أيام ضعفه، وأميركا التي تلعب دور القيصر في أيّام قوّته، والسعوديّة التي تلعب دور أبي جعفر المنصور كذلك في أيّام ضعفه، وأردوغان الذي يلعب دور السلطان عبد الحميد الثانيّ بلبوس جديد، والتناقض الجدليّ يتجذّر في الأغوار السحيقة لجوهر الصراع، ويتلبّس بلبوس وأنماط وأشكال عدّة، لكن ضمن معمعة الصراع الدولتي تبدأ المعارضة المجتمعيّة التي لم تكن بالحسبان، وهي تدخل ضمن المنظومة الرأسمالية التي تبحث عن تكيّف آخر لها ضمن هذه المعمعة، وعلى نطاقٍ شامل.

اجتمعت الإمبراطوريات العالمية على مقولة واحدة ألا وهي: «الطبقات والاستعباد والظلم وتحالف التجار مع الراهب والعسكري».

العثمانيون – الإسلام والكرد

باتت الدولة التركيّة دولة حرب منذ نشأة الإمبراطوريّة العثمانيّة ذي النشأة المغوليّة، وقد اعتمدت الدين الإسلاميّ السنّي منهجاً لتصارع به الدولة المسيحيّة الغربيّة، وعلى الرغم من تقلّص هذه الإمبراطوريّة التركيّة بعد الحرب العالميّة الأولى وتأطّرها في لبوس الدولة القوميّة، لتواكب الحداثة الرأسماليّة وتقلّد الأنموذج الغربيّ من حيث المظهر الخارجيّ، لكنّ فلسفة الحرب لم تفارق مخيّلتها، بل باتت فلسفتها والمنهج الفكريّ الذي لم يفارقها، وقد شهد العرب أسوأ تراجع فكريّ وثقافيّ وأدبيّ وسياسيّ واقتصاديّ على مرّ تاريخها في فترة حكم العثمانيين، وكذلك الشعوب الأخرى التي كانت تعيش تحت كنف هذا الوحش النهم الذي لا يعرف معنى الإرث الثقافي، إذْ أنّ هذا التركيّ المتلوّن والذي جرّدته الدولة من كلّ شيء، بات منقطع السلالة عن إرثه الثقافي البعيد عن ثقافة الشرق الأوسط، المتنكّر لموطنه الحقيقيّ، الذي يسعى إلى إرضاخ ثقافة الشرق الأوسط إلى تفكير قد تنكّر له هو بالأساس، من هنا جاء الاغتراب في الهويّة الدولتيّة التركيّة، فما فهموا الإسلام والديانات الشرقيّة، ولا فهموا العلمانيّة الغربيّة، لذلك سمّى المفكّرون العرب العصرَ العثمانيّ عصر الانحطاط العربيّ، وظلّ التخلّف مصيرَ الشعوب التي رزحت تحت سيطرة التركي حتى الآن.

لقد تدفّق الرأسمال إلى الخزينة التركيّة عبر الحروب الإنكشاريّة التي لا طائل إنسانيّ منها، واعتمدوا على نظام سرقة الأطفال اليتامى والمشرّدين وغيرهم من الأطفال، ليلقّنونهم ثقافة النهب والسلب والتبعيّة للدولة والسلطان ويستأجروا علماء الدين المسلمين ليروّجوا للسلطان العثمانيّ الذي دخل البلاد العربيّة

دون معارك، أو ثورات، وبالتالي تجذّرت ثقافة الحرب والغزو في كينونة المستبدّ التركي، وكذلك في الاقتصاديّ التركيّ، من هنا كانت نظرة الاقتصاديين الأتراك فيها قمعيّة واستبداديّة أكثر من غيرهم، فالأتراك كسلطة ظلّوا يحاربون الشعوب التي تعيش في كنفها على يد جنود غير أتراك، فقد حاربت الأرمن بالكرد، وحاربت الكرد بالعرب، وحاربت الروم باللاذيين، وصفّت وأبادت كلّ الشعوب من خلال تأطيرها وفق الثقافة التركيّة التي استمدت نفسها من الثقافات الأخرى، فكمُّ الكلمات العربيّة والكرديّة والفارسيّة واللاتينيّة في اللغة التركيّة يتجاوز اللغة التركيّة الأصليّة أساساً.

ظلّ المستبدّ التركيّ يعتمد على المكر والخداع والكذب والمناورة والتلفيق، ولم يستطع أن يتأقلم مع فكرة السلام والتعايش السلميّ والوِفاق والاتّفاق، لم يفهم سوى لغة التصفية والإبادة والصهر، فهو لا يمتلك شيئاً ليعطيه، وكان تكالب السلطويين العرب الدونيين الذين فقدوا مع انهيار الدولة القوميّة في العراق وسوريا ومصر سابقاً هويتهم، فباتوا ينبشون الماضي ليبحثوا عن هوية، ولم يروا سوى الركوع للاهوية الدولتيّة التركيّ، وبهذا استطاع أردوغان أن يصنع أتباعاً مطيعين له، يغردون له، إذْ يريدون الأمن الداخليّ التركيّ ناسين أمنهم السوريّ الذي تدمّر داخليّاً وخارجيّاً وكلّ ما يمتّ بصلة إلى شيء اسمه مستقبل أو غدٍ مبين، معتمدين على أيديولجيتهم الإنكاريّة للهويّة الكرديّة التي تعلّموها في المدارس التركيّة.

لقد أعدم جمال باشا السفّاح كلّ أولئك العرب الذين تضامنوا معه في حرب الترعة، بعد أن تودّد إلى العرب، كما يتودّد لهم الآن أردوغان بحجّة الدين وإعادة الإمبراطوريّة المسلوبة، وما إن خسر معركته حتى قام بتعذيب الشعب العربيّ والتنكيل به حتّى لُقّب بالسفّاح، إذْ لا يمكن أن تأمن جانب مستعمر ما يريد أن يستغلّك الآن ويوهمك أنّه سيعطيك حقوقك بعد أن تهدأ الأوضاع، وهذا ما سيفعله أردوغان بعد أن يتخلّص من خصومه، وهذا ما كان سيفعله الائتلاف بالشعب الكرديّ بعد أن يعتلي العرش.

لكنّ السؤال المطروح في هذا السياق؛ هو لماذا كلّ هذا التهافت العربيّ على التبعيّة لهذا السلطان العثمانيّ؟ هل انتفتِ الأيديولوجيّات عند العرب وعند المسلّمين؟ هل هو الحنين إلى التبعيّة العثمانيّة؟ فإذا كان لجوء المعارضة السوريّة طريقاً ومساراً لا مسار سواه ولا حلّ غيره، فما بال قطر في هذه المعادلة التبعيّة؟ فهي المعادلة والتركيبة العربيّة في تقمّص دور التبعيّة بعد أن انهارت الأيديولوجيّة الإسلاميّة الدولتيّة، بعد أن شُوِّهت هذه الأيديولوجيّة من قبل مسخ الدولة الإسلاميّة في الشام والعراق، ومنظّريها ومؤيّديها العلنيّين والسرّيين في منظومة الثورة المضادّة التي قتلت روح ثورة الشعوب المتطلّعة إلى الديمقراطيّة المجتمعيّة.

الربيع العربيَ وربيع الشعوب

عندما قامت المظاهرات السلميّة في سوريا، والتي كانت تعبّر في بداياتها عن الحقيقة الاجتماعيّة في سوريا، فكانت الشعارات في كوباني وقامشلو وعفرين تساند الثورة في درعا وحمص وغيرها من المناطق السوريّة، وما كان من أهالي درعا وغيرها من المدن خارج منطقة غربيّ كردستان إلّا الالتفاف حول الشعب الكرديّ والتعبير له عن أسفها لأنّها لم تساند الكرد في ثورة ٢٠٠٤، وكانت هذه الانطلاقة هي المعيار الأخلاقي السياسيّ للتعبير عن الحالة الاجتماعيّة السويّة التي آلت إليها،

قبل أن يتسلّل المتسلّلون الطبقيّون ليحوّروها عن مسارها، ويصبغوها بطابع إسلاميّ التفرّد والهيمنة، فبعد أيّام لا أكثر جعلوا الجامع المنبر الوحيد لانطلاقة المظاهرات، إلى أن وصلت إلى حالة التشرذم الذي آلت إليه.

لقد كانت الثورة في بداياتها ضدّ السلطة، وسرعان ما تحوّلت إلى استهداف شخص واحد بعينه، وهي العلّاقة التي مازال الائتلاف يعلّق عليها ثورته، فباتت تصوّر الجنة الموعودة في رحيل شخص محدّد، مع أنّ كلّ المؤشرات كانت تشير إلى استحالة رحيله في وقت مبكّر، فمن الغباء أن تقول: إنّ منظّري الثورة في الخارج لم يعوا هذه النقطة، بل أدركوها جيداً وعرفوا ما سيصيب سوريا، لكنّ الطامة الكبرى في فلسفة الليبراليّة التي جعلوها نبراساً لهم، ,التي تدعو إلى الفردانيّة والطبقات، وهي الداء عينُه.

من كان ليقنع المنتفض في درعا أنّ المآل سيفضي به إلى هذه الحال، وأنّ هذه الثورة ستتحوّل إلى اقتتال طائفيّ عرقيّ أثنيّ بحجّة الثورة، حتّى أنّ مفردات ومصطلحات الثورة قد أُزيلت من قواميس الواقع، وبات الوضع دولة راديكاليّة تريد أن تفرض هيمنتها بلغة القوميّة الأصوليّة والشرائعيّة القاتلة، وبات الانسياق إلى الخارج هو البحث عن الحلّ، فما يجري على الأرض السوريّة هو تحقيق لمصالح من هو خارج سوريا، فكلّ ما هو علاقة بمسألة النسيج الاجتماعيّ ومسألة التوافق والمشاركة والحلول لا يلقى أيّة التفاتة من أيّ طرف في معادلة (النظام والمعارضة) فالحرب التي تحصل هي حرب نفوذ، إمّا يتقلّص نفوذ فلان أو يزيد نفوذ فلان.

من يتتبّع ربيع الشعوب الذي أطلقوا عليه اسم الربيع العربيّ الذي انطلق من تونس، والذي اختصر في مصطلح الربيع العربيّ ليصبغ أولئك القوميّون الثورةَ بطابع قوميّ، فقد صوّروا أنّ العربيّ وحده يشعر بالقمع والاستغلال، وكأنّه متفرّد بالنهوض من الغفلة؛ ولكي يحصل شرخ ما بين العرب والمكوّنات الأخرى، وذلك لإبعاد الأثنيّات والقوميات الأخرى من ساحة الصراع في الشرق الأوسط، ولكي يكونوا في الطرف الآخر من الصراع، وهذا ما خطّطته المنظومة الحداثوية العالمية الجديدة. وعندما انتقلت الثورة إلى سوريا بعد مرورها بمصر وليبيا واليمن، وبدأت الانتفاضة الشعبيّة التي تحوّلت إلى ساحة صراع، استطاعتْ الدول أن تتّفق فيما بينها لتقسيم الإرادات وسلبها، فكيف لدولة قامعة لشعبها وتؤيد شعباً ثائراً في دولة أخرى؟ وما كان أيّ حلّ طرحته الدول التي تؤمن بمبدأ استغلال شعوبها إلّا ويصبّ ضد إرادة الجماهير، ففاقد الشيء لا يعطيه.

كان ظهور الجماعات الإسلاميّة التي سرقت الثورة من الشعوب وحوّلت دفّتها، الكارثة التي ألمّت بالشعب، فنسي الشعب ممارسات الدولة المستبدّة الاحتكاريّة التي كشفت عن قناعها وأظهرت وحشيّتها الحقيقيّة عبر البوّابة السوريّة، حتّى وصل الأمر إلى فقاعة داعش التي كانت نتاج هذه القوميّة الضيّقة والفكر الذكوريّ المهيمن والإسلامويّة الراديكاليّة التي حرّفت من قبل الدول التي تعاقبت على الشعب الذي جعل الدين مطيّة.

الانبطاح الكرديّ والسلطة الثقافيّة الدولتيّة

في الحديث عن الثقافة الاضمحلاليّة الانقشاعيّة الانحلاليّة اللاأخلاقيّة التي وصل إليها الكثير من فاشلي مسرحيّة المعارضة السوريّة، الذين كانوا قبل فترة يمثّلون دور الملائكة، المخلّصين الشعب من آفات العرقيّة والشوفينيّة حيث كانوا يصورون أنفسهم الشراع الذي سيوصل الشعب السوريّ إلى

ظل المستبد التركي يعتمد على المكر والخداع والكذب والمناورة والتلفيق ولم يستطع أن يتأقلم مع فكرة السلام والتعايش السلمي والوفاق والاتفاق

ضفّة الأمان، لكنّ الوضاعة التي وصلت بهؤلاء المعارضين الذين كانوا يمثّلون يوماً الوجهَ المشرق للثقافة في فترة من الفترات، قد تضاءلت ثمّ تلاشت فانقشع الوجه القميء عن معظمهم.

فالنخبة اليساريّة والليبراليّة والقوميّة والإسلاميّة العربيّة التي ذاقت الويلات على يد النظام السوريّ والتي عرفت معنى القمع، والتي كان اسمها يلمع وينير الطريق أمام متطلّعي الحرّيّة، قد وصلت إلى درجة من الحنق والغيظ أمام كلّ انتصار للشعوب المتطلّعة إلى الحرّيّة، وباتوا يصفون انتصارات الكرد وانتصارات الشعوب في الشمال السوريّ بالحرب التي تقسّم سوريا على يد الكرد الأشرار حسب وصفهم، ليصلوا إلى مرحلة متصاعدة من قلّة الحيلة في إيجاد مشروع بديل عن مشاريعهم الفاشلة، إذْ أضحى مشروعهم الوحيد هو الارتماء في أحضان السلطان التركيّ. ووصلت معظم هذه النخبة إلى مرتبة الانحطاط الأخلاقيّ، حين شتم أحدهم فتياتِ الكرد المقاتلات بكلمات عاهرة، وكذلك التشويه الإعلاميّ، والنفاق والكذب والمؤامرات.. إلى ما هنالك من ألفاظ سوقيّة من المفترض ألّا يستخدموها حسب الاتكيت الإعلاميّ، فأضحوا لا يسبّون داعش الذي جعل نساءهم أسرى، وجعلهم مشرّدين، حيث خطفَ داعش النساء والأملاك وقتلَ الرجال والأطفال والنساء، وخرّب مسيرة الحياة اليوميّة، ففي كلّ قريّة تتحرّر من براثن داعش هناك قصص وملاحم وأساطير، فالأحرى بهم أن يخلّدوا بطولات هذه القوّات التي حرّرت أخوتهم من براثن داعش، لا أن يحاربوا الحُرّات العفيفات، فقد كان الأحرى بهم أن يروا إيروس التي في داخلهم، التي اجتاحتهم وقتلت كلّ شرف فيهم، حتى أوصلتهم إلى مرحلة قذف المحصّنات، فلم يبقَ عمل لا أخلاقيّ إلّا وقاموا به.

الخطّ الثالث خطّ الشعوب في وجه الدولة القوميّة

لقد اتّحد التيار القوموي العروبي والفارسيّ والتركيّ بالتيار الإسلامويّ سواء السنّي أو الشيعيّ، وظهرت النخب الثقافية التي بدأت ببثّ سمومها، فظهر الهجين السيء الذي ابتلع كلّ ما هو جميل في سوريا والعراق وتركيا وإيران بلونه الواحد، ودفن هذا التيار تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام؛ بما عصور ما قبل الإسلام تعتبر عصور جاهليّة بالتعريف الإسلامويّ الضيّق، وكان الهدف الثاني هو دفن تاريخ الأقلّيّات، وبدلاً من الاستفادة من تاريخ المجتمعات البعيدة عن الدولة اختصر التاريخ بإنشاء الدولة، فعلى سبيل المثال يمكننا الاستفادة في حالات التشابه ما بين المجتمعات فالنظام الدفاع الجبلي للكرد يشابه النظام الدفاعي الصحراوي لدى العرب هذا على سبيل التشابه ما بين نظام الحماية، وكذلك بعض العادات والتقاليد والفن والموسيقا والثقافة بشكل عام.

وعوضاً عن ذلك بدأت عقدة النقص التي كانت تسير جنباً إلى جنب مع الكرديّ أينما حلّ، فجعلته على سبيل المثال ينقّب في تاريخ الشخصيات المشهورة عبر التاريخ الإسلاميّ ويبحث عن جذرها العربيّ الإسلاميّ، فعلى سبيل قالوا: إنّ الصحابي جابان أبا ميمون مسلم

وصولاً إلى زرياب وابن خلكان وابن تيميه وابن الأثير وفي العصر الحديث الكواكبي وقاسم أمين ومحمد عبده ومحمود عبّاس العقّاد وأحمد شوقي ومحمد حسنين هيكل ودريّه عوني... إلى ما هنالك من شخصيات قالوا إنّها كرديّة لطمأنة المدّ العروبيّ كالسيل الجارف، مع أنّ كلّ الذين خانوا القومية الكرديّة كانوا تحت راية الإسلام، من الملا إدريس البدليسي ١٥١٢ إلى الملا كريكار، ومن الخطأ أن يُنسب كلّ ذلك إلى ردّة الفعل ضدّ الإسلام المجتمعيّ، بل يجب أن تكون ردّة الفعل ضدّ الدولة الإسلامويّة العروبيّة، لكن بالمقابل اعتمد الكرد على القبيلة كمصدر للتشريع بينما انخرطت الإسلاميّة في الدولة كوحدة سياسيّة، وكانت ردّة الفعل العروبيّ قاسية جدّاً ضدّ أيّة ثورة كرديّة، وليست القوموية العروبيّة فحسب وإنما القوموية الفارسيّة والتركيّة أيضاً.

وقد كانت العادات الاجتماعية تسود شبه الجزيرة العربية، والتبادل التجاري والمقايضة يسود شبه الإدارات الذاتية الكونفدرالية دون وجود ملك عربي واحد يحكم الجزيرة، فعندما حاول كليب أن يتفرّد بالسلطة وينصّب نفسه ملكاً ويبني الأسوار والجيوش ويستبد في حكمه، فما كانت النتيجة إلّا وأن قُتِل على يد ابن عمه جسّاس بن مرة الرافض للعقليّة الاستبداديّة والتي وقع أسيرها فيما بعد، وقامت الحرب التي كان هدفها الوحيد الملك والعرش وإن رسمت أنّها من أجل ناقة، وكان الحلّ لإنهاء هذه الحرب هو إعطاء المُلك والعرش للجرو بن كليب لكن دون سلطة، فانتهت الحرب وانتصر الشعب وانتصرت العادات على التجبّر والتفرّد.

فلو عاد الشعب العربيّ إلى تاريخ الوئام الحضاريّ والاجتماعيّ الذي كان سائداً في الجزيرة العربية والكونفدراليات التي كانت منتشرة بين القبائل العربية ما قبل الإسلام على سبيل المثال، لأدرك ماهية الاتفاق الاجتماعي الذي كان موجوداً بينهم حينذاك! فقد كانوا يعقدون الاتفاقيات الداخلية مع النعمان بن منذر على سبيل المثال، أو الاتفاقيات الخارجيّة؛ كالاتفاق مع كسرى على سبيل المثال، دون أن ينصاعوا لقوانين كسرى أو النعمان، فكانوا يؤمنون بمقولة: - إنّ لكسرى دولته ولنا نحن العربَ مجتمعنا، وكونفدريالاتنا، وعاداتنا وتقاليدنا، فلا حاكم واحد للجزيرة العربيّة المترامية الأطراف، ولا سيّد واحد، فكلّ قبيلة تدير شؤونها بنفسها، ولا سجون ومعتقلات ولا حدود وبيّنات، وإنّما تجريد ونفي وعزل.

لكن بعد أن وصلت الشعوب الكرديّة والعربيّة والسريانية والتركمانيّة إلى مكتسبات وانتصارات في روج آفا والشمال السوريّ عامّة، وذلك بفضل الشعوب التي تعيش على هذه الأرض السوريّة، وعلى أولئك الذين لا يقرؤون الشرق الأوسط بشكل صحيح، وتاريخ الوئام الحضاري المجتمعيّ ما بين الشعوب، إعادة النظر في الدولة القوميّة التي انهارت مع سقوط صدّام حسين، والتي ستجهز عليها بفضل الكرد في المعقل الإرهابي في قصر السلطان الجديد في أنقرة، فمعادلة الشعوب هي معادلة الحلّ الوحيدة للباحثين عن الحلّ بالسلم والوِفاق، أو الحرب، وقد أثبتت الشعوب أنّهم جاهزون لها، ولن تتخلّى مكوّنات الشمال السوريّ عن أيّ مكتسب حصلوا عليه، فقد أدركوا معنى الحياة الحرّة، وثورة الأمّة الديمقراطيّة هي الوحيدة التي تجسّد ثورة الحقيقة، والفيدراليّة المجتمعيّة آتية لا ريب، وقد أثبت الخطّ الثالث أنّه خطّ الشعوب ينتصر أمام شراسة الدولة القوميّة.

قراءة في العلاقة الكردية - العربية في ظلّ الحُكم الإسلامي العهد الأيوبي نموذجاً

دلبرين فارس

مدخل:

ظلّ موضوعُ العلاقات الكردية العربية، خاصة خلال العهد الإسلامي، بعيداً عن التناول التاريخي. فتاريخُ السُلطة والدولة والأيديولوجية كانت الطاغية كونها كانت الحاكمة والمتسلطة على مشهد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فقلما تجدُ مصدراً يتناول هذا الموضع بشكله الحقيقي البنيوي دون أن يخلو من الانحياز والتأثر بالواقع السلطوي. فكما هو معروف في التاريخ الإسلامي فإن أغلبَ المدوّنات والمراجع التاريخية تسلطُ الضوءَ على حُكم الملوك والأمراء وسيرهم وأعمالهم، بينما بقي التاريخُ الاجتماعي (السيسيولوجي) في الدرجة الأخيرة من التدوين وبشيء من التزييف لصالح السلطة الحاكم، لذا كانت البنية الشعبية العريضة مُهمشة حتى عند ممّن يدّعون العلمَ والمعرفة وهم جالسون إلى جوار الحاكم.

فتاريخُ الدولة هو تاريخ حكم طبقي لبنية النظام المدني، ويقسم فيها الشعوب على أسسٍ يؤخذ فيه مبدأ القوة والمال القاعدة الأساسية لتكوين النظام، أما بالنسبة للطبقة التحتية والتي تشكل القاعدة العريضة والأصيلة للهوية المعنوية والمادية الأصيلة لكافة الشعوب فكانت خارجة عن هذا النظام، فكلّ المدونات التاريخية لم تكن تعبّر وتوثق سوى علاقات الطبقة الحاكمة والطبقات التي كانت في سُدة الحكم «الداخلة في نظام المدنية»، لذا بقيت القبائل أو بالأصح الشريحة القبلية التي لم تتطاوع في النظام المدني خارجَ التدوين التاريخي وبقيت تعاني من التهميش والقهر، بينما تحولت الأرستقراطية القبلية والمتهافتة للسطلة بأي شكل وفوق كل الاعتبارات إلى التحالف مع القوة المدنية الحاكمة سواء وتحت أي مُسمى وبأي إيديولوجية كانت.

من هنا فإن العلاقاتِ الاجتماعية بين الشعوب «الأقوام» منذ نشوء القبيلة

فتاريخُ الدولة هو تاريخ حكمٍ طبقي لبنية النظام المدنيِ، ويقسم فيها الشعوب على أسس يؤخذ فيه مبدأ القوة والمالَ القاعدة الأساسية لتكوين النظام

كنظام سياسي اجتماعي اقتصادي لم يبرز، كما برزت جوانب السلطة والحرب والقتل والنهب خاصة في عصر ازدهار أدوات السلطة، والتي لم تجلب إلى اللحظة سوى الكوارث على البشرية، وهذا ليس مقتصراً على فترة معينة، هذا لا يعني إن تلك الشريحة الخارجة عن المدنية والتي كانت نواة كلّ الثورات والمقاومات ضد قوى الشر والاستغلال لم تملك الثقافة والفن وتعيش في علاقة وئام مع جيرانها وشاركا سوياً في مناهضة القوى الاستبدادية السلطوية، وهذه الشريحة لازالت مستمرة في مقاوماتها رغم مرور عشرات الدول والأنظمة المدنية الحاكمة.

إن عدمَ التنبه إلى أهمية العلاقات العربية -الكردية، موجباته وضرورة تناوله، أولاً من الناحية المعرفية – التاريخية، ومن ثم الجيوسياسية، يشكلان نقطة ضعف كبيرة للثقافة والمعارف العربية المعاصرة.

بنية العلاقة الكرديَة العربية في فترة السيادة الإسلاميَة:

وقبل الحديث عن العلاقة الكردية – العربية خلال فترة السيادة الإسلامية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وفكرياً، وخاصة في مرحلة ازدهار القوى الإسلامية والتي لعب فيها الكردُ إلى جانب العرب دوراً بارزاً، خاصة في تشكيل هوية الأمة الإسلامية، وذلك بعد تسلم العباسيين لمقاليد الحكم الإسلامي كمركزية أو مدنية إسلامية سياسية على مستوى الشرق الأوسط والعالم، تلك المرحلة التي تصاعدت فيها السلالات والشخصيات غير العربية لسدة الحكم فعلياً في الشام ومصرَ وفي غالبية المناطق التي امتد إليها المّد الإسلامي عسكرياً وإيديولوجياً، يجب تسليط الضوء على بعض الجوانب البنيوية للإسلام كأيديولوجية فكرية انتشرت على بقعة جغرافية كبيرة، واستطاعت أن تكون قوة ضاربة وأن تنافس أكبر قوتين في تلك الفترة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) والتي تراجعت إلى العمق الأوربي لتشكل فيما بعدُ مجموعةً من الملكيات الإقطاعية الأرستقراطية، والإمبراطورية الساسانية التي زالت عن المسرح السياسي والعسكري في الشرق الأوسط.

يمكن القول إن الاسلامَ كإيديولوجيا فكرية ومجتمعية تعبّر في جوهرها عن المسار الثوري الفكري الطبيعي للأديان التوحيدية السابقة لها كالزردشتية واليهودية والمسيحية، ولا يمكن انقطاعها عن المسار الميثيولوجي القديم السومري والمصري.

المسار الذي نتحدث عنه هو المسارُ التطوّري للحركات والثورات المجتمعية الفكرية المناهضة للعبودية بكل أشكالها ومراحلها، كذلك للإقطاعية القبلية وللبرجوازية التي طوّرت في شكلها المحدث كرأسمالية ليبرالية متممة للمدنية وللتقاليد السلطوية الفردية الذكورية، ونخص بذلك تلك البقعة «شبه جزيرة العرب» التي ظهر فيها الدين الإسلامي، كوننا نتحدث عن الإسلام الذي كان منطلقه بقيادة نبي الإسلام محمد، والذي كان صاحب هذه الرسالة الفكرية الفلسفية المجتمعية والتي كانت في جوهرها تمثل القيم الأخلاقية الإنسانية في مجتمعٍ غابت عنه القيمُ والأخلاق «وما بُعثت إلا لأتَممَّ مكارمَ الاخلاق»، ومن هذا المنطلق

يُعتبر النبي محمد قائد لهذه «الثورة»، إنّ ما قام به النبي محمد من تنظيمٍ وانقلاب على ما كانت عليه الأوضاع الاجتماعية، خاصة بالنسبة لتلك الشريحة المقموعة المستعبدة في شبه الجزيرة العربية منطلق الشعوب العربية ومنطلق الإسلام كدين، تثبت ثورية اجتماعية برزت في الشخصية السياسية الإصلاحية للنبي محمد، ونرى هذه الشخصية الثورية من خلال قراءة سيرته كشخص وقائد لهذه الثورة، ورغم بروز الجانب العقائدي لديه لكنها لم تطغى على شخصيته وثورته «إن تصنيفه من بين أكثر الشخصيات تأثيراً في العالم خيرُ دليل وشهادة على ذلك، لكن يبقى السؤال الذي يجب أن يُطرح، هل استطاعَ مَن خلف محمد النبي في تسيير هذه الثورة أن يطبقَ مفاهيمها ويجسدَ جوهرها في إدارتهم للجغرافية التي امتدّ إليها الإسلام؟».

اعُتبِرَ النبي محمد شخصية دينية عقائدية لا أكثر في فكر إيديولوجية أصحاب السلطة والعقائديين التكفيرين بكل نماذجهم، ولم تتجاوز تفاسيرهم ونظرتهم للتاريخ وللشعوب سوى السلطة المتسترة بالدين، والتي امتدت لتسيطر على الشرق الأوسط، ولتؤسس لمركزية سلطوية سلالية أحدثت صراعاتٍ لم تهدأ إلى يومنا هذا من جهة.

من جهة ثانية لم تكن الفترة الممتدة من القرن السابع الميلادي وإلى القرن التاسع عشر عهدٌ للسطلة وأصحابها، فقد تخلل هذا التاريخ الطويل مراحل من الازدهار والانفتاح والثورات الشعبية كذلك فقد كانت العلاقات بين الشعوب، وهنا نقصد تلك الشريحة التحتية القبلية والقروية والتي حافظت على الثقافة المعنوية المتأصلة، علاقة تعايشٍ وتصالح في ما بينها، هذا وشهدت تلك المرحلة الزمنية أشكالاً متعددة للحكم بعيداً عن المركزية المطلقة حيث شهد منطقة الامتداد الإسلامي نوعاً من الإمارات والإدارة اللامركزية، خاصة مع بدءِ مرحلة الازدهار الإسلامي في القرن الثاني عشر الميلادي من العهد العباسي، حيث شهدت هذه الفترة تنوعاً ثقافياً واجتماعياً وسياسياً، انعكس ذلك على التطور الثقافي المادي والمعنوي على مستوى الدولة، وساهم ذلك في تكوين الثقافة العربية الإسلامية، كون اللغة الرسمية الثقافية والمركزية كانت اللغة العربية، ونخص بالذكر العهد الأيوبي العهد الذي شهد أحداثاً تاريخية هامة شهدها الشرق الأوسط، في مقدمتها «الحملات الصليبية».

حركات التمرد

من ناحية أخرى شهدت فترة السيادة الإسلامية حركات ثورية تمردية جاءت كردة فعل على البطش الذي قامت به السلطة السياسية الدينية الحاكمة والتي تحالفت مع البيروقراطية في بلاد الشام والعراق وكردستان ومصر خاصة خلال الفترة الأموية والتي حكمت حتى النصف الأول من القرن الثامن الميلادي.

لا شك أن الفترة العباسية كانت أيضاً شبيهةٌ بالفترة الأموية من حيث نظام الحكم السلالي ولم يتبنوا مضمون وجوهرَ الإسلام كثورة فكرية اجتماعية ثقافية تسعى للتخلص من العبودية وتدعو للأخلاق والمساواة والحرية بين الناس جميعاً. المؤامرة التي حيكت ضد أبو مسلم الخراساني ومقتله بهذا الشكل التآمري من قبل الحاكم العباسي المنصور، يشبه كثيراً حالات التآمر والقمع والتنكيل التي شهدتها الأنظمة الحاكمة لكردستان المقسمّة.

وبالعودة إلى الفترة العباسية خاصة خلال حكم الأيوبيين، نرى مرحلة النضج الإسلامي، حيث ظهرت في هذه الفترة تطورٌ كبير على الصعيد الفكري الإسلامي، فتطوير حركة الترجمة خاصة للفلسفة الإغريقية والانفتاح

على التاريخ القديم للحضارات الشرق أوسطية في حركة الانبعاث والتنوير العلمي والفلسفي والذي ساهم في دعم التفسير الديني الإسلامي، ساهم في تشكيل الأمة الإسلامية ، لكن لم يستمر طويلاً بسبب المصير الذي واجهه أصحاب الفلسفة والتنوير الفكري على يد العقائديين السلطويين.

من جهة أخرى يعتبر العهدُ العباسي مرحلةَ النضوج للحضارة الإقطاعية ومركزاً لها في الشرق الأوسط، لكنّ تطور البنية المعرفية التحتية التي شهدتها المركزية الإسلامية أثر في ازدهارها على كافة الأصعدة السياسية والعسكرية والعلمية وأصبحت قوة كبرى ، لذا سنرى إن هذا الازدهار سيقلق ويثير حفيظة القوى المركزية الأوربية والتي كانت تضطرب داخلياً بسبب السياسات الاستبدادية التي مارستها الأنظمة الإقطاعية الملكية، والمدعومة طبعاً من المؤسسة الدينية والتي تقاسمت السلطة والمال مع ملوك الإقطاع.

لذا سنرى كيف أن هذه الأنظمة ستزحف بكل جيوشها نحو الشرق لضرب هذه القوى ولتسيطر على الأراضي الخصبة وتؤسس لها إمارات إقطاعية.

نهاية الحضارة العبودية

من جهة أخرى يَعتبرُ العهد العباسي الإقطاعية نهايةً للحضارة العبودية، أدى هذا ولو بشكلٍ جزئي إلى تحرير الإنسان من الإيديولوجية السلطوية العبودية، وهذه الخاصية التي تميز بها الإسلام كإيديولوجيا ثورية.

هذا ولم يتطور أي شكل من أشكال الديمقراطية في نظام الحكم والإدارة الإسلامية، كون النظام الإقطاعي الذي يمثل الجوهر للمركزية الإسلامية والتي تكونت من إمارات ودول إقطاعية سلالية أسرية شكلت منها(الخلافة العباسية)، عملت على توحيد المجتمعات بالقوى تحت سلطة سياسية دينية ممثلاً بالسلطان أو الأمير الذي يحكم عبر جهازٍ عسكري سياسي ديني إقطاعي بيروقراطي، ولم يكن للشريحة «الطبقة التحتية الفقيرة المقهورة» أي دور غير العمل والعمل لكسب لقمة عيشها أو الهروب خارج تلك المركزية الإقطاعية.

ندرك بأن المركزية الإسلامية الإيديولوجية الدينية تمحورت حول المذهب السني الذي كان يدير دفة الحكم وفق نظام طبقي عسكري ديني تجاري خلال عهودها كافة، فيما بقيت الطبقة المعارضة (المهمشة) للنظام السياسي القائم خارج الإطار التنظيمي السياسي وشكلت لها تنظيماً إيديولوجياً فلسفياً مستمداً من الفلسفة الإغريقية والميثولوجيا الشرق أوسطية، وطوّرت طرقاً صوفية مناهضة للمركزية الإسلامية وصلت بها لتأسيس كيانٍ سياسي مضاد للمركزية الإقطاعية، لكن هذه الكيانات الوليدة لم تستطع الصمود طويلاً أمام جحافل الإقطاعيين الذين كانوا نواة القوة العسكرية الضخمة للسلطة المركزية، ورغم محاولة بعض الفلاسفة والمفكرين الخارجين عن المركزية السنية في التوفيق بين النظام السياسي وبين التيارات المجتمعية الفكرية الأخرى المعارضة، لإنقاذ المجتمع والبيئة الثورية للإسلام، فأمثال ابن رشد والفارابي استطاعوا أن يثروا الإسلامَ فكرياً وعلمياً وفلسفياً، لكن وكما قلنا إن الدوغمائية الفكرية السلطوية عادت بعنجهيتها للقضاء على النموذج الفلسفي الفكري الراقي للإسلام، كون هذا النموذج لا يصبّ في خدمة سُلطتهم.

لذا ومن هذا المنطلق لعب النظامُ السياسي الإسلامي بشكلٍ عام دوراً كبيراً في تكثيف وتوسيع الإقطاع، وذلك بدعم الكيانات الإقطاعية بمؤسسة عسكرية إيديولوجية (العهد العثماني)،

لهذا عندما وصل هذا النظام إلى ذروته في ممارسة السلطة والاحتكار خاصة بعد الركون والركود شهدت المنطقة صراعات دامية ، هذا بعد أن كانت تلهي تلك المجتمعات بحروبٍ تحت شعاراتٍ دينية أو ما سُمي «بالفتوحات»، لذا فإن تحول المركزية الإقطاعية إلى أداة قمع وسلبٍ ونهب على الطبقة الفلاحية الكادحة كان مرهوناً بذلك.

صلاح الدين الأيوبي كان مسلماً ودفاعه كان عن الإسلام بقدر دفاعه عن الأرض والشعب بكل مكوناته وثقافته وأديانه في الشرق:

هذا وشهدت المرحلة التي تلت الحكم الأيوبي (صلاح الدين الأيوبي) تفاقماً لقضايا المجتمعات الإسلامية، حيث بدأت المدنية الإيرانية استعدادها للردّ على هزيمتها تجاه العرب المسلمين بإنتاجها المذهب الشيعي كغطاء ديني وفكري مضاد للإسلام السني السياسي، بينما كان أمراء الأنساب الحاكمة من الكرد والسلاجقة والترك سيجدون مصلحتهم في المذهب السني كتقليد مسيطر في الإسلام.

في حين أن الشرائح الفقيرة والمحرومة من الكرد والعرب والتركمان وغيرهم من أبناء الطبقة التحتية ستختار المذهب الشيعي والعلوي، وستلعب الجغرافية السياسية المقسمة دوراً في هذا الشأن، من هنا فلاشك أن الطبقة القبلية الساعية للسلطة ستؤسس سلالات حاكمة وثيقة الصلة بالمدنية المركزية وسيكون الصراع بين السلالات للحفاظ على سلطتها، بينما ستضطر للمقاومة تارة واللجوء إلى الجبال والأماكن المحصنة للحفاظ على وجودها.

مقاومات الكرمانج والبدو

فالحروبُ التي حصلت والتي تحصل لم تكن من صنع تلك الشريحة لأنها كانت بعيدة عن الصراعات السلطوية، وستظهر المقاوماتُ التي مثلتها الشريحة الشعبية القبلية البدوية

أنظمة المدنية هي مراكز لتكثيف وتكوين السلطة عبر إنتاج أدوات العنف والتسلط.

وشبه البدوية الكردية(الكرمانج) والعربية (البدو) كحامٍ للإرث القبلي بكل مضامينها الثقافية المعنوية، كرد فعلٍ على سياسات الطبقة الأرستقراطية القبلية التي استلمت السلطة وتحالفت مع القوى المركزية المهيمنة على مدار تاريخ المدنية.

من هنا وبالرغم من الترويج المكثف والمؤدلج لأنماط أنظمة المدنية بدافعٍ من الإيديولوجيا الرسمية الحاكمة، إلا أنها لم ولن تكن كيانات اجتماعية، إنما هي مراكز لتكثيف وتكوين السلطة عبر إنتاج أدوات العنف والتسلط.

وبالنظر إلى التضحيات التاريخية التي قدّمها الكردُ في سبيل الأمة الإسلامية والأمة العربية دون أي تردد أو مراوغة، كان الهدف منها الدفاع عن أنفسهم وعن جيرانهم وشركائهم في الوطن، وهذا كان السبيلُ للحفاظ على العلاقات الكُردية-العربية والتمسك بها في إطار الرابطة الحضارية والدينية التي تربط الشعبين اجتماعياً وثقافياً وجغرافياً.

هذا الأمر يعرفه المثقف والمفكر والمؤرخ العربي والكُردي جيداً، على خلاف ذاك الكاتب «القومجي» أو المخدوع بالإيديولوجيات القوموية البعثية أو العروبية، والتي لا تخدم إلا أصحاب النزعة السلطوية بالفعل، ويهدف من خلالها إلى خلق الفتن وافتعال الأزمات الاجتماعية ليطيل أمد سلطته، وليمرّر عبرها أجندات فردانية عبر أدواته الخانعة والمتمرسة

في المغالاة والنفاق.

إن ما قدمه أبو مسلم الخراساني رغم اختلاف آراء بعض المؤرخين على ما أنجزه أو ما كان يسعى إليه، يعتبر تضحيه حقيقية أجل نصرة الإسلام وأعلاء شأن المسلمين، خصوصاً عندما تصل الأمور إلى التضحية بنفسه.

هذا الأمر برز في شخصية صلاح الدين الأيوبي أيضاً، الذي لم يفرق بين كردستان ومصرَ والشام والعراق واليمن ولم يفضل كردياً على عربي أو مسلماً على مسيحي أو يهودي أو إيزيدي...، وفي هذا الصدد يقول ابن المقفع: «إن الملك صلاح الدين عامل رعيته في البلاد بخيرٍ يعجز الواصف عن وصفه وأرسى العدل وأحسن إليهم وأزال مظالم كثيرة على الناس... وكان يجلس للحكم بين الناس فينصف المظلوم من الظالم ويكون في مجلسه مجموعه من الفقهاء ومشاهير الدولة للنظر في القضايا بين الناس والعمل بما توجبه أحكام الشريعة والحق والعدل...».

وهذه ليس شهادة ابن المقفع فقط، بل يشهد له حتى خصومه وأعدائه والكثير من المؤرخين والعلماء في عصره ومن بعده على ذلك، كما يسجل لصلاح الدين حماية المسيحيين الشرقيين وخصوصاً أقباط مصر الذين أحبوه، ووضعوا صورته في كنائسهم وأديرتهم.

بالرغم من أن السلطنة التي أسسها صلاح الدين لم تدم طويلاً من بعده، إلا أن صلاح الدين يُعَدُّ في الوعي العربي الإسلامي مُحرراً القدس، كما استُلهمت شخصيته في الملاحم والأشعار، كما أُلِّفت عشرات الكتب عن سيرته، وتناولتها المسرحيات والتمثيليات والأعمال الدرامية، ولا يزال صلاح الدين يُضرب به المثل كقائد مسلم مثالي واجه أعداءه بحسم، دون تفريط في شهامته وأخلاقه.

هذا وأصبحت رايةُ صلاح الدين(النسر) شعاراً على العلم المصري، واعتمد لاحقًا كشعار لعدد من الدول العربية الأخرى مثل العراق وفلسطين واليمن وسوريا.

هناك من يرى أن بُعد الهوية الإسلامية للشعب الكردي كان مبرراً للبعض لاضطهاده والثأر من دفاع الكُرد عن هذه الهوية ليس على أرضه فحسب وإنما في أجزاء كبيرة من العالم العربي والإسلامي، الكثير من المؤامرات حيكت ضد صلاح الدين والقادة الكرد، حاول أصحابها التخلص من هذه النزعة التحررية للكرد والتي لم يكن فيها البعد القومي هو الأساس، لكن كانت سداً منيعاً في وجه مطامعهم ومصالحهم.

ولعل أبرز الأحداث التاريخية الإسلامية ظهرت خلال الفترة العباسية الأيوبية، والتي ستؤثر بظلالها ونتائجها على المنطقة ككل حتى الوقت الراهن، حيث تشير لنا المصادر والوقائع التاريخية بأن صلاح الدين الأيوبي، أنجز للإسلام وللمنطقة ما لم ينجزه غيره، أي تمكنه في النهاية من دحر الغزو الأوروبي الذي قاده ملوك وأمراء الإقطاع الأوربيين، وبتشريعٍ من رجال الدين (السلطة الدينية البابوية) وتحتَ شعارٍ ديني إثارة مشاعر الكثير من الفقراء المسيحيين في الغرب الأوروبي وولد الرغبة عند الكثيرين من رجال النهب والسلب خاصة بعد ترويج البعض لكنوز الشرق (بعد الازدهار الاقتصادي والعلمي والعمراني في الشرق)، ضف على ذلك رغبة الكثير من الإقطاعيين والأرستقراطيين في تأسيس إقطاعياتٍ لهم في الشرق بعدما حرموا منها في الغرب نتيجة لبعض القوانين التي أصدرتها الملكيات الأوروبية بمشاركة السلطة الدينية التي كانت تحكم إلى جانب الملوك، وخاصة ذاك القانون المتعلق بتوريث الابن الأكبر للمملكة والإمارة،

والتي كانت مقيمة على أسسٍ إقطاعية في القرن الحادي عشر الميلادي (الأمر ذاته كان في الشرق ولكن بدون قانون يثبت ذلك) وعلى هذا الأساس كان الصراع على الشرق صراعاً إقطاعياً اقتصادياً سياسياً ولم يكن صراعاً دينياً قط، فما سُمي بالحروب الصليبية لم تكن حروباً للدفاع عن «الصليب» في الشرق، فقدسية الصليب ظهر من الشرق، والمسيح كان شرقياً ودفاعه كان عن الشرقيين بالدرجة الأولى المستعبدين تحت ظلم ونير الملوك «المألهين» قبل دفاعه عن الغربيين، وهذا التوضيح الموجز ليس دفاعاً عن الإسلام وعن الفكر الإسلامي، بقدر ما هو كشف الستار عن بعض الحقائق، والتي حاول بعض المؤرخين إظهارها كواقعة وحقيقة تاريخية.

لم يغزُ صلاح الدين الغرب ولا حتى الشرق كما فعل بعض الغزاة، ولم يشن حروباً تدميرية تبيد فيها الآخرين، ولم يلغ ويقصي العرب والتركمان وغيرهم من المكونات الشرقية عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية خلال فترة حكمه، وهذا لا يعني بأن صلاح الدين لم يحارب من وقف بوجه سياسته، أو من كان يكيد له المؤامرات، وأؤكد ثانية بأن هذا ليس دفاعاً عن صلاح الدين أو مقدمة لمدح صلاح الدين بقدر ما هو استشفافٌ لعصرٍ اتسم بالعدل والتسامح والعلم والتطور، في مرحلة سادتها الحروب والكوارث والنزاع، قتل فيه الكثير من الأبرياء والفقراء، في سبيل تحقيق الأرستقراطيين والرأسماليين الساعيين لابتلاع الأرض بمن فيها لمطامعهم ومصالحهم تحت مسميات مدنية عديدة.

وعلى هذا الأساس يمكن فهم علاقة التعاطي الكردي مع الشعوب العربية كأشقاء في الدين والجغرافيا السياسية، فضلاً عن مساهمة الكرد في الحضارة الإسلامية من جميع النواحي السياسية والفكرية والمادية والثقافية والأدبية، ويكفي لنا دوماً ذكرُ أهم المعايير المفهومة شعبياً للتعبير عن حقيقة ورصانة هذه العلاقة والتي تتمثل في الاختلاط الاجتماعي بل أحياناً الاندماج الثقافي، كما هو حاصل مثلاً منذ زمن بعيد بين أبناء مدن عريقة كردية وعربية سواء كان في الشام أو العراق وحتى في مصر، ناهيك عن العلاقة بين الكرد والعرب في عموم أجزاء كردستان المقسمة.

إن تجربة روج آفا تمثل نموذجاً للتعايش والأخوة بين العرب والكرد وكافة المكونات، وهذا تثبيتٌ تاريخي على ما أوردناه عن حقيقة تآخي وتعايش الشعوب وليس مصالح وأجندات انتهازية وشوفينية لسلطويين. هذه الظاهرة السيسيولوجية الفريدة في روج آفا ورغم كل الظروف والمحن، استطاعت أن تعيد مجرى الإنسانية إلى حقيقتها وتظهر حقيقة الكرد كشعب مضحي ثانية عن الأرض والقيم الإنسانية بآلاف الشهداء من أبنائه.

للاطلاع راجع المصادر والمراجع التالية

١–مرافعات قائد الشعب الكردي عبدالله أوجلان – المجلدات الخمسة.

٢– البلاذري – فتوح البلدان

٣–المسعودي – التنبه والإشراف، ومروج الذهب

٤–الدينوري – في الأخبار الطوال

٥– الطبري – تاريخ الرسل

٦–ابن الأثير الجزري – الكامل في التاريخ

٧–ابن فضل الله العمري القرشي – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

٨–شرفخان بدليسي – شرفنامه

٩– محمد أمين زكي– خلاصة تاريخ الكرد وكردستان.

ظلال الفكر البعثي على العلاقات الكوردية العربية

بير رستم (أحمد مصطفى)

الكُرد وبحسب موقع الموسوعة الحرة؛ «هم شعوب تعيش في غرب آسيا شمال الشرق الأوسط بمحاذاة جبال زاكروس وجبال طوروس في المنطقة التي يسميها الأكراد كردستان الكبرى»، وهي اليوم عبارة عن أجزاء من شمال شرق العراق وشمال غرب إيران وشمال شرق سوريا وجنوب شرق تركيا. يعتبر الكُرد كعرقٍ جزءًا من العرقيات الإيرانية. يتواجد الأكراد - بالإضافة إلى هذه المناطق- بأعداد قليلة في جنوب غرب أرمينيا وبعض مناطق «أذربيجان ولبنان». وتضيف الموسوعة؛ «يعتبر الأكراد أحد أكبر القوميات التي لا تملك دولة مستقلة أو كياناً سياسياً موحداً معترفاً به عالمياً». ويقول المؤرخ الكُردي «محمد أمين زكي» بخصوص منشأ الكُرد ما يلي:ينقسم منشأ الشعب الكُردي إلى طبقتين، الأولى وهي «نواة الشعب الكُردي» ويسمّون بحسب المؤرخ بـ«شعوب جبال زاغروس» (وهم ميتاني، كوتي، كورتي، جوتي، جودي، كاساي، سوباري، خالدي، نايري، هوري، لولو) هؤلاء سكنوا كُردستان منذ بداية التاريخ. والطبقة الثانية هم شعوب هندوأوروبية، هاجروا إلى المنطقة في القرن العاشر قبل الميلاد (الميديين والكاردوخيين)، واختلطوا وامتزوجوا مع الشعوب الأصلية ليشكلوا معاً «الشعب الكُردي».

وهكذا يعتبر الكُرد أحد أقدم شعوب المنطقة، وقد أسسوا خلال مراحل التاريخ عدداً من الدول والإمارات، وأهمّها تلك التي عُرفت بالإمبراطورية الميدية، واستناداً إلى كتابات (هيرودوت) فإنّ الميديين كانوا مؤلفين من ست قبائل رئيسية؛ وهي الفيلية وباريتاك وستروخات وآريا وبودي وموغي، وأطلق (هيرودوت) اسم الآريين على القبائل الميدية، ويضيف كذلك:أصل الميديين يرجع إلى شخص اسمه؛ (دياكو) الذي كان زعيم قبائل منطقة جبال زاكروس وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد حصل الميديون على استقلالهم، وشكّلوا إمبراطورية ميديا،

يعتبر الكرد أحد أكبر القوميات التي لا تملك دولة مستقلة أو كياناً سياسياً موحداً معترفاً به عالمياً

وكان فرورتيش (٦٦٥ - ٦٣٣) قبل الميلاد أوّل إمبراطور، وجاء بعده ابنه «هووخشتره» «وبحلول القرن السادس قبل الميلاد تمكنوا من إنشاء إمبراطورية ضخمة امتدت إلى ما يعرف الآن بأذربيجان، إلى آسيا الوسطى...». ويقول المؤرخ هيرودت كذلك؛ «اعتنق الميديون الديانة الزردشتية، وتمكّنوا في ٦١٢ قبل الميلاد من تدمير عاصمة الآشوريين في نينوى.. واستمر نفوذ الميديين في المنطقة إلى أن تمرّد الملك الفارسي كورش على الميديين وحقق انتصاراً كبيراً عليهم سنة ٥٥٣ قبل الميلاد». وكذلك فقد أسس أسلافنا «مملكة كُردوخ» وهو «كيان آخر مستقل بدأ ١٨٩ قبل الميلاد، واستمر ٩٠ عاماً، قام الآرمنيون بإطاحتهم وحكم منطقتهم».

أمّا في العصر الحديث، فقد قامت «جمهورية مهاباد» و«هي جمهورية استمرّت فترة قصيرة، وكانت أحدث كيان كردي استمر لمدة ١١ شهراً فقط، أسسها القاضي محمد بمساعدة مصطفى البرزاني في شمال غرب إيران عام ١٩٤٨». وأخيراً كان ولادة «إقليم كُردستان شبه المستقل منذ عام ١٩٩١، والتي نصّ عليها دستور العراق الجديد عام ٢٠٠٥ ككيان اتّحادي ضمن العراق»، ناهيكم عن عدد من الإمارات والدول في المرحلة الإسلامية، مثل: الإمارة أو الدولة الشدادية (٩٥١ - ١١٩٩)م التي «حكمت أجزاء من أرمينيا ومنطقة حران الذي كان جزءاً ممّا يعرف الآن بأذربيجان، ويرجع سبب التسمية إلى مؤسس الإمارة، محمد بن شداد، الإمارة الحسوانية (٩٥٩ - ١٠١٥) التي كانت تحكم غرب إيران و شمال بلاد مابين النهرين وكانت عاصمتها مدينة دينوار الواقعة شمال شرق مدينة كرمنشاه الحالية في إيران. سُمّيت الإمارة بالحسوانية نسبة إلى مؤسسها حسناوي بن حسين والذي كان رئيس قبيلة بارزكاني الكردية، الإمارة العنازية (٩٩٠ - ١١١٧) وكذلك الدولة الأيوبية (١١٧١ - ١٢٥٠م، والأيوبيون هم «بنو أيوب» سلالة كردية الأصل تولّت في مصر، سورية والعراق من ١١٧١م حتى ١٢٥٠/١٢٦٠م. وأيضاً «الإمارة البدليسية» (١١٨٢ - ١٨٤٧) التي تأسست على يد أبناء قبيلة روزاكي الكردية بعد أن استطاعوا تحقيق نصر على ملك جورجيا؛ (داوود كوروبالاوس) وتمكّنوا من الهيمنة على منطقتي بدليس و ساسون الواقعتين على أراضي أرمينيا، حيث تمّ احتلال هذه الإمارة في فترات متناوبة من قبل قبيلة آق قوينلو التركمانية من ١٤٦٧ إلى ١٤٩٥ والصفويون من «١٥٠٧ إلى ١٥١٤»، وغيرها العديد من الإمارات مثل؛ الإمارة الأردلانية (١١٦٩ - ١٨٦٧)، إمارة بهدينان (١٣٧٦ - ١٨٤٣)، إمارة سوران (١٣٩٩ - ١٨٣٨) وإمارة بابان (١٦٤٩ - ١٨٥١).

لكن وللأسف وبعد كل هذه الإمارات والدول بقي شعبنا في العصر الحديث دون كيان سياسي، ويقول موقع (BBC) بخصوص حرمان الشعب الكُردي من إنشاء كيان سياسي مستقل ما يلي: (في مطلع القرن العشرين، بدأ الكثير من الأكراد التفكير في تكوين دولة مستقلة، باسم «كردستان». وبعد هزيمة الدولة

العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وضع الحلفاء الغربيون المنتصرون تصوّراً لدولة كردية في معاهدة سيفر عام ١٩٢٠. إلّا أنّ هذه الآمال تحطّمت بعد ثلاث سنوات، إثر توقيع معاهدة لوزان التي وضعت الحدود الحالية لدولة تركيا، بشكل لا يسمح بوجود دولة كردية). وتضيف الموسوعة الحرة بخصوص القضية التالي؛ «هناك الكثير من الجدل حول الشعب الكردي ابتداءً من منشئهم، وامتداداً إلى تاريخهم، وحتى مستقبلهم السياسي. وقد ازداد هذا الجدل التاريخي حدّةً في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد التغيرات التي طرأت على واقع الأكراد في العراق عقب حرب الخليج الثانية، وتشكيل الولايات المتحدة لمنطقة حظر الطيران التي أدّت إلى نشأة كيان إقليم كردستان في شمال العراق». وهكذا فقد جزأت كُردستان بين أربع دول وكيانات غاصبة وتحولت لشبه مستعمرة أو بالأحرى مستعبدة دولية، وذلك بعد معاهدة لوزان، وحُرِم شعبُنا من أيّة حقوق سياسية وطنية، إلى أن كانت ولادة إقليم كُردستان وقبلها جمهورية مهاباد ولفترة وجيزة وأخيراً فإن التطورات الجارية في روج آفاي كُردستان والمنطقة عموماً ألقى الكثير من الضوء على المسألة الكُردية وبات الكُرد يشكلون رقماً حقيقياً في المعادلات الإقليمية.

وهكذا ونتيجة للاتفاقيات الدولية فقد لحق جزء من الجغرافية الكُردستانية بالدولة السورية الحديثة والتي نالت استقلالها في ٨ آذار عام ١٩٢٠ أوّل مرة بعد سقوط الخلافة العثمانية، إلّا أنّ الحكومة السورية تعتبر ١٧ أبريل عام ١٩٤٦ يوماً للاستقلال الوطني وذلك إثر جلاء الاستعمار الفرنسي عن البلد وقد كان لشعبنا الكُردي دورٌ مهمٌ في الاستقلال، حيث شارك وإلى جانب باقي المكونات في الدفاع

حاولت سوريا أن تطمس كل ما يمتُّ إلى كوردية يوسف العظمة، وذلك بعد هيمنة الفكر البعثي العروبي على مقاليد البلاد

عن الأراضي السورية ونيل الاستقلال، وذلك في مختلف مناطق التواجد الكُردي حيث تمّ إطلاق أول رصاصة في وجه الاستعمار الفرنسي في المناطق الكُردية بعفرين، وذلك من قبل المجاهد «محو إيبو شاشو»، كما تعتبر «انتفاضة بياندور» واحدة من الملاحم البطولية لشعبنا في وجه الاستعمار الفرنسي، ويقول الكاتب والسياسي الكُردي «محمد ملا أحمد» بخصوص هذه الانتفاضة الكُردية ما يلي: انتفاضة بياندور انتفاضة كردية، قامت بها، في شهر حزيران من عام ١٩٢٣ (كما يقول بيير روندو)، عشائر كردية ضد ظلم واضطهاد الفرنسيين، المنتدبين على سوريا. وكانت الانتفاضة بداية الرحلة الكردية مع فرنسا في سوريا، وإن كانت بدايات التعارف الكردي الفرنسي في مؤتمر السلام بباريس .. وقد كانت انتفاضة بياندور انتفاضة وطنية، وردة فعل من مواطنين لسوريا (بحكم المادة ٣٠ من معاهدة لوزان) على الظلم الذي لا قوة من مستعمر لسوريا، واحتجاجاً مسلحاً على ممارساتها اللاإنسانية في الواقع الجديد للمجتمع الكردي بعد التقسيم، الذي رافقته متغيّرات حدثت لكردستان، وتأثر بها شعبها. كما كانت دعوة صريحة لفرنسا من أجل تطبيق العدالة في التعامل مع المواطنين، والسماح بالحريات، لكنها مع الأسف أصبحت كصرخة في واد،

جزأت كوردستان بين أربع دول وكيانات غاصبة وتحولت لشبه مستعمرة أو بالأحرى مستعبدة دولية، وذلك بعد معاهدة لوزان

ذهبت بعد ذلك، مع أدراج الرياح.

ويضيف الكاتب «والانتفاضة بحد ذاتها جزء من تاريخ كردستان الملحقة بسوريا، وجزء من تاريخ شعبها. لا يمكن القفز من فوقها»، (وكذا الحال مع انتفاضة عامودا عام ١٩٣٧). وهكذا وعلى الرغم من تشكل الجغرافية السورية دون إرادة شعبنا وإلحاق جزء من جغرافية كُردستان بها وذلك على طول الشريط الحدودي الشمالي منها مع الجمهورية التركية التي تأسست على أنقاض الخلافة العثمانية والتي بدورها أخذت الجزء الأكبر من الجغرافية الكُردستانية كدولة غاصبة، إلّا أنّ شعبنا لم يبخل على الوطن بأبنائه كقرابين على مذبح الحرية والاستقلال عن الاستعمار الفرنسي، بل كان وزير الحربية للجيش السوري المدافع عن دمشق في عهد الملك فيصل الأول؛ ملك المملكة السورية إبّان الاستقلال الأول هو الضابط «يوسف العظمة» ذي الأصول الكُردية وتقول الموسوعة الحرة بخصوص هذا القائد ما يلي:«يوسف العظمة» اسمه الكامل يوسف بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل باشا آل العظمة (٩ أبريل ١٨٨٤ – ٢٤ يوليو ١٩٢٠) قائد عسكري سوري استشهد في مواجهة الجيش الفرنسي الذي قدُمَ لاحتلال سوريا ولبنان، حيث كان وزير الحربية للحكومة العربية في سوريا بقيادة الملك فيصل الأول، أتقن العربية والتركية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإنكليزية .. لم يخلّف من الذرية إلّا ابنته الوحيدة (ليلى)، رحلت مع أمها إلى تركيا وأنجبت هناك. ويذكر أن منزله حالياً تحوّل إلى متحف خاص بمقتنياته. وللأسف فقد حاولت سوريا أن تطمس كل ما يمتُّ إلى كُرديته، وذلك بعد هيمنة الفكر البعثي العروبي على مقاليد البلاد.

وبالتالي ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ شعوب المنطقة ومكوناتها كانت تعيش بنوع من الإخاء والمحبة في ظل الخلافة العثمانية، وذلك على الرغم من أنّ هذه الأخيرة كانت تمارس سياسة التتريك مع باقي مكوّنات الخلافة، وعلى الأخص في المناطق الكُردية حيث التعليم باللغة التركية ومحاولة طمس كل ما يمت للثقافة والأدب الكُردي، بل واعتبار الكُرد ليسوا إلّا «أتراك الجبال»، لكن رغم كل ذلك كان هناك نوع من التسامح والإخاء الديني بين الشعوب والملل والنحل، مما دفع بالكثيرين من الكُرد والعرب للدفاع عن دولة الخلافة في وجه الاستعمار الغربي الأوربين وذلك حتى بعد سقوط الخلافة العثمانية إبّان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وعلى الأخص بعد توقيع «معاهدة مودروس» مع الحلفاء والتي أخرجوا على أثرها من الحرب، وأصبحت جزءاً من كُردستان ملحقاً بسوريا الحديثة .. وهكذا ورغم إقرار الحدود بين الدولتين الجارتين؛ سوريا وتركيا، وتقسيم الجغرافية والشعب الكُردي، فإن شعبنا بقي وفياً لتلك العلاقات التاريخية بين شعوب المنطقة، ووقف إلى جانب إخوته العرب في وجه الاحتلال الفرنسي وقد قدّمنا ملامح عن ذاك النضال الأخويّ والذي يؤكد على عمق الانتماء إلى هويّةٍ حضارية مشتركة تتقاطع في

الجوانب التاريخية والدين والثقافة والعادات والقيم المشتركة، والتي لم تكن قد تشوّهت بعدُ بالفكر العنصري والقومية الشوفينية.

لكن وللأسف وبعد تولّي «حزب البعث» السلطة في سوريا، وذلك على أثر الانقلاب العسكري (١٩٦٣) والذي قادته «المجموعة العسكرية» المُشكّلة من خمسة ضباط بعثيين ضد حكومة الانفصال، ومن ثم الانقلاب الذي قاده الرئيس السوري السابق؛ «حافظ الأسد» على رفاقه البعثيين عام ١٩٧٠ وقد سمّاها بـ «الحركة التصحيحية»، وبها رسّخ أركان ما سُمّي فيما بعد بـ((دولة البعث والعروبة)) في سوريا ولاحقاً «سوريا الأسد». وهكذا فقد شكلت هذه المرحلة بداية الانهيار في العلاقات الأخوية الكُردية العربية على مستوى الإقليم أو الدولة السورية الحديثة، حيث وبعد أن شهدْنا التلاحم الشعبي بين مختلف مكوّنات سوريا وعلى الأخص الكُرد والعرب في وجه الاحتلال الفرنسي ومن ثم نيل الاستقلال واستلام عدد من الشخصيات الوطنية الكُردية المقاليد السيادية في البلد مثل كل من السادة؛ «المجاهد البطل إبراهيم بن سليمان آغا بن محمد هنانو ،قائد الثورة في شمالي سوريا ضد الانتداب الفرنسي ،ولد في بلدة كفر تخاريم غربي حلب سنة ١٨٦٩ م .. وأنتخب ممثلاً لمدينة حلب في المؤتمر السوري الذي انعقد لأول مرة سنة ١٩١٩ م».

وكذلك «الرئيس السوري حسني بن الشيخ رضا بن محمد بن يوسف الزعيم. ولد عام ١٨٨٩م في حلب لأبوين كرديين. درس العلوم العسكرية في حلب ودمشق وإستانبول، والتحق بالجيش العثماني ثم بالجيش العربي الفيصلي، وبعد الانتداب الفرنسي على سوريا التحق الزعيم بالجيش الفرنسي، وارتقى إلى رتبة

ومن أهم منجزات حسني الزعيم وضع دستور جديد للبلاد و سنّ القانون المدني

كولونيل سنة ١٩٤١م. وبعد استقلال سورية انخرط الزعيم في صفوف الجيش السوري وعُيّن مديراً عاماً للشرطة، ثم استلم قيادة الجيش السوري عام ١٩٤٨م عندما أعلن العرب الحرب على الدولة الإسرائيلية المعلنة. قاد الزعيم أول انقلاب عسكري في سوريا والشرق الأوسط يوم ٢٩ آذار ١٩٤٩م، ثم انتُخب رئيساً للجمهورية السورية في ٥ حزيران ١٩٤٩ م وارتقى إلى رتبة مشير..» وكذلك «رئيس وزرائه محسن البرازي». وتضيف ويكيبيديا بخصوص مرحلة حسني الزعيم ما يلي:«ومن أهم منجزاته رغم فترة حكمه القصيرة»:

- وضع دستور جديد للبلاد.
- سنّ القانون المدني الذي لا زال يُعمل به في سوريا إلى اليوم.
- وضع مشروع مساواة المرأة مع الرجل ومنحها كافة الحقوق الإنسانية والسياسية.
- إنشاء ديوان للمظالم والشكايات.

كما أنّ الحركة السياسية والثقافية عرَفت عدداً من الرموز والشخصيات الوطنية الكُردية مثل السادة؛ «خالد بكداش ولد بدمشق عام ١٩١٢م، ثم انتسب إلى الحزب الشيوعي السوري سنة ١٩٣٠م، وكان أول من ترجم (البيان الشيوعي) إلى اللغة العربية». وكذلك كلٌّ من الممثلين «خالد تاجا؛ الممثل السوري

تركيا كانت تمارس سياسة التتريك مع باقي مكوّنات الخلافة، وعلى الأخص في المناطق الكوردية

الشهير بأنطوني كوين العرب كما وصفه الشاعر محمود درويش، ولد في ٦ تشرين الثاني ١٩٣٩ م له من الأبناء: هيندار وأفيندار والممثل السوري المخضرم عبد الرحمن آل رشي، نجم تلفزيوني وسينمائي ومسرحي، ولد بحي الأكراد (ركن الدين) بدمشق في ١٩٤٤/٩/٧م» وأيضاً «الممثل والكاتب السوري الكبير نهاد قلعي الخربوطلي، الشهير بشخصية حسني البورظان. ولد بدمشق عام ١٩٢٨ م لعائلة كردية من مدينة خربوت (آل عزيز) الواقعة في وسط الأناضول في تركيا حالياً». وذلك إلى جانب العديد من الشخصيات الفكرية والثقافية في التاريخ الإسلامي من أصول كُردية مثل؛ (ابن الأثير) «هم ثلاثة إخوة، أعلامٌ يشار إليهم بالبنان في زمانهم، اشتهروا جميعاً باسم ابن الأثير الجزري حتى اختلط على الناس ذلك فاعتقدوهم شخصاً واحداً، لقبوا بالجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمرو؛ أي جزيرة بوطان؛ (الكاتب). وكذلك لقبوا بالشيباني نسبة إلى قرية شيبانة الواقعة خرائبها اليوم على الضفة اليمنى لنهر صفين جنوبي جزيرة ابن عمرو ببضعة كيلو مترات ضمن الأراضي السورية (شرقي مدينة المالكية السورية)».

وأيضاً «ابن الصلاح الشهرزوري الحافظ أبو عَمرو تقي الدين عثمان بن أبي القاسم صلاح الدين عبد الرحمن بن موسى بن أبي النصر الكردي الشهرزوري العالِم الشافعي الفقيه والمُفَسر والمُحَدِّث، ولد في شرخان القريبة من شَهْرَزور (الواقعة في إقليم كُردستان العراق حالياً) سنة ٥٧٧ للهجرة». والشخصية الدينية الجدلية؛ «ابن تيمية هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله الشهير بابن تَيمية نسبة إلى جدته لأمه تَيمية، ولد في حران وهي بلدة تقع حاليا في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات في العاشر أو الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية. انتقل مع عائلته إلى دمشق سنة ٦٦٧ هجرية بعد غزو المغول لبلاد الجزيرة وحرّان». وكذلك «ابن خالكان؛ المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باوك عبد الله بن ساكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك فهو من نسل عائلة البرامكة الكردية الزرزارية. ولد في أربيل (في كردستان العراق حالياً) سنة ٦٠٨ هجرية / ١٢١١م». وأيضاً (ابو الفداء صاحب حماة) «الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الملك الأفضل علي ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المنصور عمر ابن شاهنشاه بن أيوب. ولد بدمشق سنة ٦٧٢ هجرية، وتوفي في حماه سنة ٧٣٢ للهجرة» وكذلك «الدينوري؛ شيخ علماء النبات أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري ولد في دينور الواقعة بين (همدان وكرمنشاه) في سنة ٢١٥ للهجرة / ٨٢٨م وتوفي سنة ٢٨٢ للهجرة / ٨٩٥م».

ومؤخراً برز عدد من الشخصيات الفكرية والثقافية في ساحة الثقافة العربية، ناهيكم

عن تلك التي كتبت باللغة الكُردية مثل كل من الشعراء الخالدين؛ «أحمد خانى، ملايى جزيري وفقى تيران» وغيرهم العديد مثل آل بدرخان؛ «جلادت وكاميران بدرخان بك» والشاعر «جيكرخوين» والعديد من الشخصيات الوطنية والكتاب والشعراء في مختلف الأقاليم الكُردستانية أمثال: «بديع الزمان النورسي، بلند الحيدري، جميل صدقي الزهاوي، محمد كرد علي، معروف الرصافي، نوري السعيد، يلماز كونى، يشار كمال وبكر صدقي؛ رئيس أركان الجيش العراق الأسبق» ... وغيرهم العديد من الشخصيات الوطنية والفكرية الثقافية. وكذلك لدينا عدد من رجال الدين الذين برزوا في العصر الحديث مثل الشخصية الدينية المعروفة على صعيد العالم الإسلامي عموماً ونقصد به «الشيخ العلامة محمد سعيد بن الشيخ رمضان البوطي، ولد سنة ١٩٢٩م في قرية (جيلكا) الكردية التابعة حاليا لمدينة المالكية شمال شرقي سورية» .. وقد تكون هذه السمة والمجال الوحيد والذي ترك للكُرد في ظل ((دولة البعث)) حيث بقي الشيخ الجليل ولسنوات طويلة يحتل مواقع دينية مرموقة مع عدد من الشخصيات الكُردية الأخرى مثل «الشيخ أحمد بن الشيخ محمد أمين كفتارو المولود في دمشق، ركن الدين، حي الزينبية عام ١٩١٢م، عالم، مربّ، من مجدّدي الفكر الإسلامي، وروّاد الصحوة والتقريب بين المذاهب» وكذلك الأستاذ «مروان شيخو»، ناهيكم عن عدد من الشخصيات التاريخية العظيمة مثل شخصية القائد التاريخي «صلاح الدين الأيوبي»؛ مؤسس الدولة الأيوبية.

إذاً ومن خلال ما سبق، نجد أنّ الخارطة الثقافية والفكرية وفي مختلف المجالات، تزخر بالعديد من الشخصيات والرموز الكُردية، ممّا

برز عدد من الشخصيات الفكرية والثقافية في ساحة الثقافة العربية، مثل كل من الشعراء الخالدين؛ «أحمد خانى، ملايى جزيري وفقى تيران

يؤكّد على الأدوار المهمة والتي كان يلعبها أبناء الشعب الكُردي في مختلف العصور والأحقاب التاريخية للدولة الإسلامية وحتى في الفترات القريبة حيث الدولة الوطنية الحديثة، لكن وللأسف ومع هيمنة الفكر العروبي البعثي إثر الانقلاب الذي قاده كل من البعث في العراق (١٩٦٢) وسوريا (١٩٦٣) وخضوع هذين البلدين واللذَين يتقاسمان مع كل من تركيا وإيران جغرافية كُردستان، فإن شعبنا بدأ يعاني المزيد من سياسات الغبن والعداء والتهميش، بل وممارسة مختلف المشاريع الأمنية القمعية بحق أيّ صوت كُردي يطالب بالمساواة مع باقي مكونات المنطقة، وقد وصل الأمر بالبلدين إلى التخطيط الممنهج لإبادة الكُرد ومحوهم من خارطة المنطقة، وكانت ذروة تلك السياسات ما ارتكبه النظام العراقي البعثي من مجازر وأنفال بحقّ شعبنا حيث أباد ما يقارب (٢٠٠) ألف إنسان كُردي، وما زالت مدينة حلبجة تعاني من آثار السلاح الكيماوي، وكذلك فقد طبّق النظامان البعثيان في كل من سوريا والعراق ما يسمى بـ «الحزام الأمني» العروبي العنصري، وذلك في فصل الجغرافية الكُردية على طرفي الحدود المصطنعة للدولتين، والقائم على جسد الجغرافية الكُردستانية، بحيث تمّ الفصل بين أبناء القبيلة والعائلة الكُردية الواحدة وللأسف.

ويقول الباحث الكُردي «د.آزاد أحمد علي»

كما أنّ الحركة السياسية والثقافية عرَفت عدداً من الرموز والشخصيات الوطنية الكوردية مثل السادة؛ «خالد بكداش

في بحثه القيّم والمعنون بـ(الحزام العربي في الجزيرة السورية) واصفاً إيّاه «بأكبر تغيير ديموغرافي في الشرق الأوسط». وبخصوص القضية ما يلي: «بعد استقلال سورية عام ١٩٤٦م سعى التيار القومي العربي والقومي السوري إزاحة العديد من العائلات الكُردية عن مفاصل الحكم، فتنامت سياسات الإقصاء السياسية أولاً، فالثقافية والفكرية لاحقاً، وذلك من قبل الأوساط الحاكمة التي تعاقبت على الحكم من بعد فيصل. وبلغت هذه السياسة الذروة في منتصف القرن العشرين عام (١٩٤٩) مع عملية إعدام الجنرال حسني الزعيم، الشخصية العسكرية الكُردية ورئيس الجمهورية السورية، إلى جانب رئيس وزرائه الدكتور محسن البرازي، الشخصية الحقوقية والأستاذ الجامعي الكُردي الكبير». ويضيف «في مرحلة لاحقة تابعت النخب العربية الحاكمة في دمشق نفس سياسة تعريب القطاع العسكري، وإقصاء العسكريين والإداريين الكُرد، وقد أعطيت لهذه التوجهات بُعداً تطبيقيّاً في مرحلة حكم جمال عبد الناصر (الجمهورية العربية المتحدة)، حيث كانت سورية الإقليم الشمالي فيها. لاحقاً قام ما يسمى بالحكم الوطني بالتركيز على مسألة الأرض وإمكانية حرمان الكُرد من حق التملك، فكانت عملية منع الكُرد من تملك الأراضي، من أولى خطوات التعريب الناعمة والقانونية».

ويضيف الكاتب والباحث الكُردي؛ ((تصاعدت وانتعشت لتتمّ محاربة الكُرد في لقمة العيش، فصدر المرسوم التشريعي رقم (١٩٣) لعام ١٩٥٢، المتضمن «عدم إنشاء أو تعديل أي حق من الحقوق العينية على الأراضي الكائنة في مناطق الحدود إلا برخصة مسبقة تصدر بقرار من «وزير الداخلية». هذا المرسوم حرم الكُرد حصرياً من تسجيل الأراضي الزراعية بأسمائهم، في كامل الشريط الحدودي بدءاً من محافظة إدلب على حدود لواء اسكندرون غرباً، وحتى ريف محافظة الحسكة شرقاً، على الحدود مع تركيا، ومن على ضفاف نهر دجلة وحتى تخوم جبل سنجار بمحاذاة الحدود العراقية. وكانت النتيجة الأولية لهذا المرسوم - القرار عدم قيام أي مشروع زراعي أو صناعي، أو حتى أيّة منشأة خدمية عائدة ملكيّتها للمواطنين الأكراد في هذه المناطق الغنية والواسعة، وتوقفت عملية التنمية العمرانية، وتضاعفت الهجرة من المناطق الكُردية، سواء البشرية منها أو هروب الرساميل. هذا وقد عدل وتعمق تأثير هذا المرسوم بموجب القانون رقم (٧٥) لعام ١٩٦٤ ليتم اعتبار كامل محافظة الحسكة منطقة حدودية. جدير بالتوضيح أنّ هذه الإجراءات كانت خاصة بالكُرد في التطبيق العملي، لأنّ باقي المواطنين كانوا يحصلون على الرخص وبالتالي الموافقات «الأمنية» المطلوبة التابعة لوزارة الداخلية، للقيام بأعمالهم واستثماراتهم بشكل طبيعي».

ويستكمل الباحث ليستوضح أكثر فيقول: «لم تكتف السلطات الحاكمة ومن خلفها من منظرين وسياسيين بهذه الإجراءات لمحاربة الكُرد اقتصاديا بل كانت تتطلع إلى المزيد، إلى

أن صدر قانون الإصلاح الزراعي العائد لعهد الوحدة، بأهدافه المزدوجة، الاجتماعية المتمثلة في توزيع الأراضي على الفلاحين الفقراء، والقوموية العروبية التي اندرجت ضمن خطة ممنهجة لإلغاء ملكيات الأرض الكبيرة للمالكين الكُرد في عموم سورية، وبالتالي تم ضرب الثقل السكاني والسياسي لأكراد سورية بدءا بعيد الوحدة بين مصر وسورية (١٩٦١-١٩٥٨)، وصولا إلى عهد حافظ الأسد أوائل السبعينات من القرن الماضي». ويضيف؛ ((لقد خططت ورسمت لهذه السياسة العنصرية على أعلى المستويات السياسية، فقد اتّخذت بهذا الخصوص أخطر القرارات المصيرية في المؤتمر القطري الثالث لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٦، حسب الفقرة الخامسة من توصياته، والمتضمن ما نصه: «إعادة النظر في ملكية الأراضي الواقعة على الحدود السورية التركية، وعلى امتداد ٣٥٣ كم وبعمق ١٥ -١٣ كم، واعتبارها ملكاً للدولة، وتطبق فيها أنظمة الاستثمار الملائمة بما يحقّق أمن الدولة» وبذلك تمّت مصادرة حوالي ٥٢٥٠ كم٢ من أراضي شمال الجزيرة السورية الخصبة، وجعلها مُلكاً حصريّاً للدولة بهدف تحويلها إلى مزارع فمستوطنات زراعية تستوعب العنصر العربي فقط، ولطمس معالم وهوية المجتمع الكُردي المحلي المستمدّ من واقع الغالبية المطلقة لسكانها)).

وهكذا وبموجب هذا المشروع فقد «بلغ عدد السكان الكُرد المقيمين في هذا الشريط الحدودي حينها، المسجلين في سجلات الأجانب (المجردون من الجنسية السورية) في ريف هذه المنطقة حوالي (٢٥) ألف شخص. لاحقاً واستكمالاً لنهج حكومات البعث المعادي للوجود الكُردي اجتماعياً وقومياً، أكّد المؤتمر

شكل حكم حافظ الأسد الأداة والمرحلة التنفيذية لسياسات التعريب والتهجير العنصرية ضد الكورد

القطري الخامس لحزب البعث في أيار ١٩٧١ على تطبيق هذه السياسة، وبالتالي شكل حكم حافظ الأسد الأداة والمرحلة التنفيذية لسياسات التعريب والتهجير العنصرية ضد الكُرد. علماً أنّ كلّاً من مشروعَي الحزام والإحصاء (التجريد من الحقوق المدنية) كانا نهجاً وخطّةً يُكمّل كلٌّ منهما الآخر، وكانا يسيران في خطين متوازيين ويفعلان فعلهما في تحطيم بنية المجتمع الكُردي الريفي وتفتيته .. لقد تم تنفيذ مشروع الحزام بحذر وخوف شديدَين، على الرغم من أنّ الأجواء كانت قد مهدت لتطبيقه بأقل الخسائر. بحيث جاء قرار التنفيذ كتحصيل حاصل، الذي اتّخذ من قبل القيادة القطرية لحزب البعث بموجب: القرار رقم (٥٢١) تاريخ ٢٤ حزيران عام ١٩٧٤م، وكان قد تمّ إعداد قوائم جموع الفلاحين المطلوب ترحيلهم من ديارهم وأرضهم في منطقة الرقة – الطبقة نحو الجزيرة».

طبعاً هذا الإجراء العنصري طُبّق كذلك في باقي المناطق الكُردية الأخرى؛ مثل كوباني وعفرين وتحت مشروع «الإصلاح الزراعي» حيث ما زالت تلك المستوطنات العربية مزروعة في المناطق الكُردية، وكمثال فإنّ أخصب الأراضي في منطقة عفرين والممتدة على طول ضفتي نهرها، قد أعطيت للعرب الوافدين والذين تم جلبهم من الرقة

الحزام العربي في الجزيرة السورية أكبر تغيير ديموغرافي في الشرق الأوسط

وريف حلب الشرقي وهي ما زالت تشهد على سياسات البعث العنصرية. وهكذا فإن قضية (الحزام العربي) مع المشروع العنصري الآخر _ونقصد مسألة؛ الإحصاء_ يشكّلان جوهر الفكرة والمشروع العنصري العروبي وكانت البداية في إحداث شرخ مجتمعي عميق في العلاقات الكُردية العربية، وذلك من خلال طرح وتطبيق هكذا مشاريع شوفينية لحزب البعث والذي أخذ سوريا رهينة لفكره العروبي، وقد قام بإعداد ذاك المشروع العنصري، الضابط الأمني؛ «محمد طلب هلال» و«كان ضابطاً في وزارة الداخلية السورية تخرج برتبة ملازم أول في ١٩٦١ في عهد الانفصال ليتقلد المناصب العسكرية والسياسية حيث وصل إلى رتبة عميد متقاعد. ليتبوّأ العضوية المؤقتة للقيادة القطرية، كما شغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للزراعة في ١٩٧٠ ثم نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للصناعة عام ١٩٧١ كما شغل منصب سفير سورية في بولونيا بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٩. مات يوم الأربعاء ٢٠١١/٢/٩ عن عمر ناهز ٨٠ عاماً، و قد نعتْهُ القيادتان القومية والقطرية لحزب البعث العربيّ السوري».

وقد كتب هذا الضابط الأمني البعثي مشروعه العنصري بعقلية فاشية نازية، ولتكون مقترحاته بحق مرحلةً مفصلية في العلاقات الكُردية العربية وبداية لكل السياسات العنصرية اللاحقة بحق شعبنا حيث كتب وتحت عنوان: «مقترحات بشأن المشكلة الكردية.. دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية، الاجتماعية، السياسية» كراساً يقترح فيه عدداً من الأفكار والمبادئ .. وإليكم ما أقترحه من أفكار عنصرية؛ «**إزاء كل ما ذكر، لابدّ لنا في زحمة الأحداث من أن تعالج الأمور ببرودة العقل ولهيب الإيمان، بعيدة كلَّ البعد عن أن تكون المعالجة صدى أحداث يومية، أو جانبية، أو ردة من ردود الفعل، حتى لا نقع في الشرك والتخطيط الذي يرسمه الأغيار**». ويضيف؛ «**علينا أوّلاً أن نتجنَّبَ مواطن الزلق، لنُرسِ أسس التخطيط على العلم والدراسة الشاملة ضمن هذه المرحلة التاريخية التي نمرّ بها، حيث أصبح معلوماً لدينا بشكل واضح وجلي، أننا نخوضها في شمالي قطرنا العربي العراقي** _وهو يشير إلى الثورة الكُردية؛ الكاتب_، «**معركة عقيدة وسلاح، فلابدّ أن نشرع، وعلى الفور من الانسجام في التخطيط مع ما نقوم به من عمليات في شمالي العراقي، وفي هذه المرحلة بالذات، إذ ما الفائدة أن تنتهي هناك، وتبقى هنا وعلى مستوى من الدلال، أو القريب من الدلال باسم المواطنة، وقد بان وظهر كلُّ شيء، وانكشفت جميع الأوراق هنا وهناك، وفي تركيا وإيران أيضاً بالنسبة للأكراد**».

ويستكمل ذاك الضابط البعثي؛ «لذا نقترح أن يوضع تخطيط شامل بالنسبة للجزيرة، وجذري، كي لا تعود المشكلة من جديد بعد فترة من الزمن، أو فترات، فالمنطقة كلها كما علمنا في تركيا والعراق وسوريا، بل وحتى إيران، ملتحمة مع بعضها على طول الحدود (ويقصد بذلك المناطق الكُردية وهذا اعتراف من أعتى رموز العقلية القومجية العروبية بأن

تلك المناطق/ المنطقة تشكل جغرافية كُردستان – التعليق من كاتب المقال/ البحث)_، وعلينا استغلال موقف تركيا الآن، لأنه قد يتغير في المستقبل وفق أهواء السياسة الاستعمارية، حيث هم الآن يهجّرون كل عنصر خطر إلى داخل البلاد؛ لذا فإننا نقترح:

١- «أن تعمد الدولة إلى عمليات التهجير إلى الداخل، مع التوزيع في الداخل، ومع ملاحظة عناصر الخطر أولاً فأولاً، ولا بأس أن تكون الخطة ثنائية أو ثلاثية السنين، تبدأ بالعناصر الخطرة، لتنتهي إلى العناصر الأقل خطورة... وهكذا».

٢- «سياسة التجهيل: أي عدم إنشاء مدارس، أو معاهد علمية في المنطقة، لأن هذا أثبت عكس المطلوب بشكل صارخ وقوي».

٣- «إن الأكثرية الساحقة من الأكراد المقيمين في الجزيرة، يتمتعون بالجنسية التركية» - ليس بمستغرب؛ كون تركيا كانت امتداداً للخلافة العثمانية وكانت سوريا جزء من الخلافة الاسلامية وبالتالي فكان كل أمم الخلافة يحملون تلك الوثائق وليس الشعب الكُردي وحدهم، أيضاً التعليق من كاتب هذا البحث_ «فلا بدّ لتصحيح السجلات المدنية، وهذا يجري الآن، إنما نطلب أن يترتب على ذلك إجلاء كل من لم تثبت جنسيته، وتسليمه إلى الدولة التابع لها. أضف إلى ذلك يجب أن يدرس من تثبت جنسيته دراسة معقولة، وملاحظة كيفية كسب الجنسية، لأن الجنسية لا تكسب إلا بمرسوم جمهوري. فكل جنسية ليست بمرسوم، يجب أن تناقش، تبقي من تبقي، أي الأقل خطراً، وتنزع من تنزع عنه الجنسية» -لاحظوا معنا «نزع الجنسية» كذلك التعليق من كاتب هذا البحث-، «لنعيده بالتالي إلى وطنه. ثم هناك تنازع الجنسيات، فإنّك تجد

سد باب العمل أمام الأكراد، حتى يجعلهم في وضع، أولاً غير قادر على التحرك، وثانياً في وضع غير المستقر المستعد للرحيل في أية لحظة

أحدهم يحمل جنسيتين في آن واحد، أو قل ثلاث جنسيات، فلابد والحالة هذه أن يُعاد إلى جنسيته الأولى، وعلى كل حال، فالمهم ما يترتب على ذلك الإحصاء والتدقيق من أعمال، حيث يجب أن تقوم فوراً عمليات الإجلاء».

٤- «سد باب العمل: لابدّ لنا أيضاً مساهمة في الخطة من سدِّ أبواب العمل أمام الأكراد، حتى نجعلهم في وضع، أولاً غير قادر على التحرك، وثانياً في وضع غير المستقر المستعد للرحيل في أية لحظة - وهذه السياسة طُبّقت مؤخراً من خلال «منع الأجهزة الأمنية لأبناء شعبنا المجرّدين من الجنسية في العمل في المطاعم وغيرها، كونهم محرومين أساساً من العمل لدى دوائر الدولة»، التعليق من كاتب هذا البحث -، وهذا يجب أن يأخذ به الإصلاح الزراعي، أوّلاً في الجزيرة، بأن لا يؤجر، ولا يملك الأكراد، والعناصر العربية كثيرة وموفورة، بحمد الله». وقد طبقت تلك السياسة من خلال «الحزام العربي» وكذلك المراسيم الجمهورية اللاحقة كالمرسوم الجمهوري في الفترة الأخيرة والذي حمل رقم (٤٩) وفي تصادف عجيب مع القانون رقم (٤٩) والذي يحكم بالإعدام على كل من ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين؛ حيث هنا الإعدام الفردي بالنسبة للإخوان وهناك الاعدام الجماعي للشعب؛ «شعبنا الكُردي في غرب كُردستان»

سياسة التجهيل: أي عدم إنشاء مدارس، أو معاهد علمية في المنطقة، لأن هذا أثبت عكس المطلوب بشكل صارخ وقوي

– أيضاً التعليق من عندنا.

٥- «شن حملة من الدعاية الواسعة بين العناصر العربية ومركّزة على الأكراد، بتهيئة العناصر العربية أوّلاً لحساب ما، وخلخلة وضع الأكراد ثانياً، بحيث يجعلهم في وضع غير مستقر».. وقد رأينا تطبيقات هذه السياسة في الأحداث الدامية بملعب القامشلي الرياضي بتاريخ ٢٠٠٤/٣/١٢ وما كانت من بعدها من انتفاضة شعبنا في غرب كُردستان – التعليق من عندنا.

٦- «نزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين عند الأكراد» - بل وصل الجريمة لحد قتلهم؛ جريمة اغتيال محمد معشوق خزنوي في عام ٢٠٠٥ – أيضاً التعليق من كاتب المقال–، «وإرسال مشايخ بخطة مرسومة عرباً أقحاحاً، أو نقلهم إلى الداخل، بدلاً من غيرهم، لأن مجالسهم، ليست مجالس دينية أبداً، بل وبدقة العبارة مجالس كردية، فهم لدى دعوتنا إياهم، لا يرسلون برقيات ضد البرزاني، إنما يرسلون ضد سفك دماء المسلمين، وأي قول هذا القول!».

٧- «ضرب الأكراد في بعضهم، وهذا سهل، وقد يكون ميسوراً بإثارة من يدّعون منهم بأنهم من أصول عربية، على العناصر الخطرة منهم، كما يكشف هذا العمل أوراق من يدّعون بأنهم عرباً».

٨- «إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود، فهم حصن المستقبل، ورقابة بنفس الوقت على الأكراد، ريثما يتم تهجيرهم، ونقترح أن تكونَ هذه من «شَمّر» لأنهم أولاً من أفقر القبائل بالأرض، وثانياً مضمونين قومياً مئة بالمئة: وقد طبقت هذه السياسة كما رأينا من خلال الحزام العربي أو ما سمي بـ «مزارع الدولة» في عام ١٩٧٤ حيث يقول بيان صادر عن المنظمة الكردية لحقوق الإنسان في الذكرى (٣٤) بخصوص هذا المشروع العنصري ما يلي: وبعد ذلك تتالت الأعمال التنفيذية لهذا المشروع الاستيطاني، حيث بدأت السلطة بالاستيلاء على أراضي المواطنين الكرد على طول الحدود السورية مع كل من تركيا والعراق في محافظة الحسكة وبطول /٣٧٥/ كم وعرض ما بين /١٠ – ١٥/ كم، لتشكل ما يسمى «مزارع الدولة». وفي ١٩٧٤/٦/٢٤ اجتمعت القيادة القطرية لحزب البعث وأصدرت قرارها رقم /٥٢١/ المتضمن التعليمات التنفيذية الخاصة بتطبيق هذا المشروع العنصري، حيث جلبت مواطنين عرب من محافظتي الرقة وحلب وسلّمتهم الأراضي المستولى عليها، وبنت لهم تجمعات سكنيّة نموذجية تتمتّع بكافة المواصفات الصحية، والتي بلغت /٤١/ تجمّعاً استيطانيّاً، في تحدٍّ صارخ لكل القوانين والأعراف الدولية وبشكل خاص مواد الإعلان العالمي لحقوق الانسان – التعليق كذلك منا؛ كاتب الدراسة.

٩- «جعل الشريط الشمالي للجزيرة منطقة عسكرية كمنطقة الجبهة، بحيث توضع فيها قطعات عسكرية مهمتها إسكان العرب، وإجلاء الأكراد، وفق ما ترسم الدولة من خطة».

١٠- «إنشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي، على أن

تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسكرياً كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماماً». نعتقد بأن هذا الاقتراح لا يحتاج إلى تعليق.

١١- عدم السماح لمن لا يتكلم اللغة العربية بأن يمارس حق الانتخاب والترشيح في المناطق المذكورة».

١٢- «منع إعطاء الجنسية السورية مطلقاً لمن يريد السكن في تلك المنطقة، مهما كانت جنسيته الأصلية (عدا الجنسية العربية)...إلخ.

هذا، وإن هذه المقترحات ليست كافية، بل أردنا منها إثارة المسؤولين بحسب خبرتنا، لتكون تباشير مشروع خطة جذرية شاملة، لتؤخذ للذكرى بعين الاعتبار». ويذيل مشروعه العنصري باسمه؛ «الملازم أول محمد طلب هلال؛ رئيس الشعبة السياسية».

كلمة أخيرة؛ وهكذا استكمل المشروع العنصري للضابط الأمني «محمد طلب هلال» ومع تلك الأجواء والمناخات التي وفرتها المنظومة البعثية العروبية ومن خلال مشروعها القوموي مع القبضة الأمنية التي كانت تضرب أي حراك كُردي _كما تقترح الوثيقة العنصرية لضرب أي عنصر فاعل في المجتمع الكُردي_ وصل الأمر في البلد إلى درجة بات الحديث عن كل ما هو كُردي يعرض صاحبها للملاحقة الأمنية والاعتقال والسجن والتعذيب في الأقبية الأمنية السورية، وذلك بتهمة «خطر على أمن الدولة» أو «اقتطاع جزء من أراضي الدولة السورية وإلحاقها بدولة أجنبية» وقد ذاق الآلاف من أبناء شعبنا وعلى الأخص الكوادر السياسية والثقافية، كل صنوف التعذيب والإذلال في تلك الأقبية .. إلى أن كانت انطلاقة ما سمّي بالربيع العربي والثورة السورية حيث استطاع شعبنا أن يخرج من تحت القبضة الأمنية

إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود، فهم حصن المستقبل، ورقابة بنفس الوقت على الأكراد، ريثما يتم تهجيرهم

والفكر البعثي وظلاله العنصرية الشوفينية ليحقق تجربته الفتية في الإدارة الذاتية و«أخوّة الشعوب» وعلى ضوء الاهتداء بالمشروع الفكري السياسي للسيد «عبد الله أوجلان» والذي يتلخص بفكرة «الأمة الديمقراطية» والتي نأمل أن تكون بداية مرحلة جديدة في الحياة الحرة الكريمة، ليس فقط لأبناء شعبنا، بل لكل شعوب «روج آفا» والشمال السوري؛ من عربٍ وكلدان وآشور وجركس وأرمن إلى جانب الكُرد، وذلك بأن يحققوا تجربتهم الديمقراطية الحقيقية ولندفن مرحلة من أكثر المراحل قتامةً في تاريخ شعبنا الكُردي وعموم شعوب سوريا.

المراجع والمصادر:

١- موقع ويكيبيديا

٢- تاريخ الكرد وكردستان – محمد أمين زكي.

٣- موقع BBC الإخبارية.

٤- موقع ولاتى مه. مقالة للكاتب «محمد ملا أحمد» بعنوان: انتفاضة بياندور.

٥- «الحزام (العربي) في الجزيرة السورية ... أكبر تغيير ديموغرافي في الشرق الأوسط» بحث تاريخي للكاتب الدكتور: آزاد أحمد علي.

٦- وثيقة مشروع الضابط الأمني: «محمد طلب هلال».

٧- «الكُرد... في المعادلات السياسية»: كتاب الكتروني لكاتب هذا البحث.

الكرد والعرب تعايش مشترك، وعلاقات تاريخية مديدة

خالص مسور

يعتقد بأن هناك مشتركات كثيرة بالنسبة للعلاقة الكردية-العربية وهو ما سنتطرق إليها لاحقاً، يقول بعض المهتمين بالشؤون العربية - الكردية بأن أقرب الشعبين إلى بعضهما في منطقة الشرق الأوسط هما العرب والكرد، وذلك بفعل التجاور، والعلاقات التاريخية، والمصاهرة، والدين...الخ. وإن كان هناك تجاوزات على الحقوق الكردية نتيجة القمع والاضطهاد الذي مارسه بعض الحكام العرب بحق الكرد في كل من سورية والعراق بشكل خاص،إلا أن ذلك لا يفسد للود قضية كما يقال. بدأت العلاقة الكردية العربية في بداية الدعوة الاسلامية وذلك حينما أرسل كسرى إلى عامله في اليمن (باذان) ليرسل له هذا الدعي العربي على حد قوله، وليختبره أهو دعي أم نبي. ويقال بأن(باذان) ارسل إليه كرديين كانا في جيشه إلى مكة، وحينما اقتربا من بيت الرسول (ص) ناداياه بحدة وغلظة، ويقال أن الرسول نفر منهما وتملكه خوف من هيبتهما وغلاظتهما، فطلبا من الرسول محمد السير معهما إلى كسرى الفرس بناء على أوامره، ولكن الرسول رجاهما أن يبقيانه إلى الصباح ليتجهز للرحيل إلى حيث سيد الفرس، فأمهلاه الرجلان إلى الغد، وهذا يدل على طيبة قلبيهما ولبيس غلظتهما وإنما بالغ منكروا الكرد في ذلك حتى يظهروا الكرد في موقف معاد للرسالة المحمدية ويطفئوا كل مقاومة كردية في سبيل حقوقهم المشروعة.

ولكن وفي الصباح حينما جاء الرسولان الكرديان ليرافقا الرسول إلى الامبراطور أخبرهما الرسول بأن الامبراطور كسرى قد مات وأن ابنه قد قتله وأصبح محله في الحكم، وحينما تأكدا من ذلك تعجب منه الرسولان فآمنا به على الفور وقالا نشهد بأنك لنبي. هذه القصة رغم المبالغة في تفاصيل الأحداث، ألا أنها تدل على بدايات الاحتكاك بين الكرد والعرب في بدايات الاسلام، وعلى أن الكرد يكونوا قد آمنوا بالرسالة الاسلامية في بواكير عهدها.

واستكمالاً للأمر فقد كان هناك الصحابي الكردي الجليل ويدعى(جابان

إن أقرب الشعبين إلى بعضهما البعض في منطقة الشرق الأوسط هما العرب والكرد، وذلك بفعل التجاور، والعلاقات التاريخية، والمصاهرة، والدين

الكردي) وهو والد التابعي الجليل(ميمون الكردي) المكنى (بأبي بصير)، وجابان هذا أشار إليه(ابن حجر العسقلاني) في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة). وكان جابان قد روى حديثاً واحداً عن النبي رواه عنه ابنه(ميمون) وقد أورد ذلك (ابن الأثير) حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة حتى بلغ عشرا يقول:(أيما رجل تزوج امرأة وهو ينوي ألا يعطيها صداقاً لقي الله وهو زان).

وكان جابان هذا قد شارك في قطع طريق قريش بعد صلح الحديبية، وأسلم على يديه (الديلم الكردي) وهوقائد حرس كسرى الذي ساعد المسلمين في تحقيق النصر على جنود كسرى الفرس في معركة القادسية الشهيرة. ويقول الباحث العربي عبد الكريم الخليل: لقد خرج من بين الأكراد جيل من الأسود الأبطال والعلماء الأفذاذ الذين ساهموا بدورهم لبسط نفوذ الإسلام في مناطق مختلفة من أقطار الأرض. نعم ها هو القائد صلاح الدين الأيوبي الذي كان قائدا بارزا وقف في وجه الحملات الصليبية التي هاجمت الأراضي الإسلامية في بلاد الشام للسيطرة عليها على وجه العموم وبيت المقدس على وجه الخصوص....ذلك القائد الفذ الذي استطاع بحنكته ودرايته أن يفشل مخططات الذين استغلوا شارة الصليب في تحقيق مآربهم في مشرقنا ويقف فى وجههم حتى استطاع أن يطردهم خاسرين مهزومين من البلاد الإسلامية كالشام وغيرها(١).

لقد كان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي من أشهر ملوك الإسلام(١٣٣٨ -١١٩٣). وهو من أكراد الروادية أباً وأماً وكان مستقرالعائلة بلدة (دوين) وهي بلدة تقع في أذربيجان الحالية.

ليس هذا فحسب بل وعلى مر التاريخ نجد للقادة الكرد العسكريين أدواراً بارزة في حماية الديار الإسلامية، ومنهم أيضاً أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي وكان من أبرز القيادات العسكرية في جيش عماد الدين الزنكي الذي استطاع أن يقف في وجه الهجمة الغربية وأن يعيد مصر إلى أحضان الأمة الإسلامية.

كما قدمت مجموعة من التجار الكرد إلى مكة آنذاك وأعلنوا إسلامهم بين يدي رسول الله، وعلى العموم دخل الكرد الاسلام في أوائل عهد الخليفة (عمر بن الخطاب) على يد القائد الاسلامي الشهير(عياض بن غنم)، وأورد المؤرخ الاسلامي (البلاذري)، أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ولى عتبة بن فرقد الموصل سنة عشرين، فوجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية، ثم فتح المرج، وفرات، وأرض باهذري، وباعذري، وحبتون، والحيانة، والمعلة، وداسير، وجميع معاقل الأكراد(٢)

ونشير إلى أن الأمويين كانوا يحتفلون بعيد نيروز وفق طقوس خاصة وبالأخص في عهد والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أولى هذا العيد رعاية خاصة، وقد أصبح نيروز على يديه عيدا مميزاً واكتسب حلة قشيبة. كما كان العباسيون يحتفلون بهذا العيد بشكل لافت للنظر ويعتبر منح الالقاب والنياشين لبعض أمراء الكرد من قبل الخلفاء العباسيين مظهرا من مظاهر العلاقة الودية والاحترام والتقدير،

واعترافاً بدور أولئك الأمراء في أحداث عصرهم، ولم تكن لتعطى الألقاب إلا لمكانة الشخصية ونفوذها. بالإضافة إلى الألقاب فقد حصل الكرد على موافقة وتعضيد الخلافة في مناطقهم، ويذكر أن الداعي للبيت العباسي وقائد جيوشهم في نفس الوقت، الكردي أبو مسلم الخراساني الداهية الذي ساعد في ازاحة الدولة الأموية وإحلال الدولة العباسية محلها.

وفي سنة ٩٨٩م استقبل الخليفة العباسي القادر بالله لرسولين أرسلا من قبل الأميرين الكرديين أبو طالب رستم بن فخر الدولة، وبدر بن حسنويه، فلقب أبي طالب بمجد الدولة وكهف الأمة وعهد إليه أعمال الري، وكنى بدراً أبا النجم ولقبه بنصر الدولة، وعهد إليه أعمال في إقليم الجبل أي مناطق الأكراد، وحمل إليه الخلع الجميلة وعقد له اللواء، ويظهر أن بدراً لم يكن راضياً عن لقبه وسأل الخليفة أن يلقب بناصر الدولة فأجابه الخليفة فيما بعد ولقبه بناصر الدولة والدين. فلقب الدين يدل على شأن بدر في مساهماته الدينية نظراً لخدماته في هذا المجال، ويشير إلى مشاركته في الشؤون الدينية، وإعلائه شؤون الدين والإعلاء من شأن الاسلام، ولذا فهو يعد من أبرز أمراء عصره وأبرزهم ذكراً. كما حصل الأمير الكردي احمد بن مروان على الخلع والتشريف أي الملابس، ولقب بنصر الدولة وعمادها ذي الصراطين، كما نقش اسم الخليفة القادر على ظهر درهم فضي في الدولة المروانية وهو ما يدل على العلاقة الودية والثقة المتبادلة بين العرب والكرد آنذاك(٣).

ويذكر الاستاذ عماد الدين خليل دور الكرد في الاسلام فيقول : وهكذا وجد الكرد أنفسهم، وصنعوا تاريخهم في ظلال العصر الاسلامي وشاركوا مشاركة فاعلة في مصائر الأمة الاسلامية في السلم والحرب، وفي الحضارة والسياسة معاً. فحينما احتك قادة الفتوحات بالكرد في مناطقهم الحالية أبدى الكرد في بعض مناطقهم مقاومة شيددة، فارسل القادة إلى الخليفة يخبرونه بذلك فسألهم كيف القوم؟ أي أن عمراً أراد أن يعرف النقاط التي يمكن منها استمالة قلوبهم دون قتال كثير، فأخبروه بأن الكرد قوم شديدوا الميراس ولكنهم يطيعون زعمائهم القبليين طاعة عمياء، فأمرهم بالاتصال بزعمائهم أو رؤوساء عشائرهم والعمل على استمالتهم وإقناعم بتوزيع الأراضي والضياع عليهم واستمالتهم إلى الاسلام فإن آمن هؤلاء فستؤمن رعيتهم.

ففعل القادة ذلك ونجحت الخطة بشكل كبير، وهكذا يكون قسم كبيرمن الكرد دخلوا الاسلام دون حرب كبرى، وحينما أخبره القادة بوجود كرد يعتنقون الديانة اليزيدية أمرهم بقوله الشهير (عاملوهم معاملة أهل الكتاب)،هذا الأمربالإضافة إلى شجاعتهم كانا عاملين من عوامل حماية اليزديين وحالا دون إبادتهم أو ترك دينهم واجبارهم على دخول الاسلام، لأنهم لم يعتبروا كفارا أي اعتبرت ديانتهم سماوية لأن الاسلام يقول (لا هوادة مع الكفار) أي إما القتل أو اعتناق الاسلام وهذا ما لم يحصل مع الإيزيديين. هذا وقد كان الكرد من المجاهدين في سبيل الاسلام وشاركوا بقوة في الفتوحات الاسلامية والوقوف في وجه أعداء الاسلام، كما كان كرد شهرزور من المولين والمناصرين للخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، ويظهر كان هناك مودة بين بعض الكرد والخلفاء الأمويين وعلى حد قول المقدسي الذي قال إن سكان اقليم الجبال وهو واحد من مواطن الكرد، يفرطون في حب الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان.

وقد أصبحت كردستان فيما بعد احدى أهم الثغور الأمامية التي رابط فيها المجاهدون للدفاع

عن الحدود الاسلامية ضد الروم البيزنطيين. كما شارك العلماء الكرد في بناء الحضارة الاسلامية بقوة وكانت لهم مساهمات فعالة في كافة المجالات العلمية والأدبية، بالإضافة إلى الاهتمام والمشاركة في بناء المؤسسات والعلوم النظرية، وقد بلغ عددهم(٤١٩)عالماً وأغلبهم محدثون وعلماء خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، وبلغت مؤلفاتهم(٥٤١) مؤلفاً(٤). من أمثال المؤرخ الكردي ابن خلكان(١٢١١ - ١٢٨٢)م، الذي درس الفقه في الموصل وتولى القضاء في مصروألف كتابه(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وفيه يتناول الشخصيات العربية والاسلامية البارزة. ونشير إلى إن مشاركة المسلم الكردي لم تكن بأقل من مشاركة العربي والأعجمي وهو الذي شارك في حماية ونشر الدين الاسلامي، وكانت مشاركة دينية وعلمية وعقلية.

وهناك علماء الكرد الذين وضعوا أسس الفقه الاسلامي وحموا العقيدة الاسلامية من التشتت والاندثار، مثل الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي صاحب كتاب (علوم الحديث). ومنهم كذلك العالم الشهير والمرجع الأساسي في علوم الفقه وأشهر فقهاء الاسلام على مر تاريخه، وهو المدعو شيخ الإسلام تقي الدين المعروف بابن تيمية الحراني الكردي الأصل الذي ولد سنة ٦٦١هـ(١٢٦٢م) أي بعد خمس سنوات من سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) على أيدي التتار. ثم الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ولد في العقد الأول من القرن الثالث الهجري بمدينة دينَوَر، وإليها يُنسَب أجداده الأقربون، والحقيقة أن المصادر الإسلامية لم تذكر نسبته إلى الكرد، وإنما نسبته إلى دِينَوَر Dinewer، هذا هو اسمها المشهور، ويقال لها: (دَيْنَوَر) أيضاً، وتسميها المصادر السريانية (دِينهور)، وهي من أهم مدن إقليم الجبال في كردستان الشرقية (غربي إيران)، وهي تقع غربي هَمَذان، وشمالي كرمَنشاه تحديدا. و من آثاره كتاب (البيان)، و(الشعر والشعراء) و(رسالة في الطب). وقد أتى (ابن تَغْري بَرْدي) في كتابه (النجوم الزاهرة)، على ذكر اسم عالم كردي آخر وهو ابن الحاجب فقال: (عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الشيخ الإمام العالم العلاّمة جمال الدين أبو عمرو المعروف بابن الحاجب الكردي المالكي النحوي، صاحب التصانيف في النحو وغيره، ولد في سنة ٥٧٠ هـ في إسنا من بلاد الصعيد في مصر. من آثاره في النحو: ١- الكافية ٢- الإيضاح في شرح المفصل ٣- أمالي ابن الحاجب ٤- شرح كتاب سيبويه.

وهناك الإمام بديع الزمان الجزري الكردي من جزيرة بوطان(١١٣٦ - ١٢٠٦) م، وكان يعتبر من أشهر الميكانيكين في العالم آنذاك أي في عهد الاراتقة، ثم المؤرخ الكردي الذائع الصيت المعروف بابن الأثير الجزري واخوته الاثنين الآخرين أيضاً. وهناك الفقيه الكردي بدر الدين حسن بن علي الاربلي الاصل المولود بحصن كيفا عام ١٤٤٧م والذي يعد من العلماء البارزين مفتيها ومحققها ومدققها مع الديانة والصيانة، وقد أصبح مفتي البلاد الحلبية وقد ذكره المؤرخ الغزي بقوله: وأجازه بالافتاء والتدريس جماعة زمانه، وواسطة عقد أقرانه، ثم تصدر ببلده للإفادة، وانتفع بتدريسه وإفادته، وصار شيخ بلده. كما كان العالم الكردي الشيخ عبد الله البيتوشي قد سكن في الاحساء في المملكة العربية السعودية وبدأ بالتدريس والتأليف والتثقيف لشعب المملكة، وتزوج من أهلها وكان يقصده الطلاب من

المملكة السعودية ومن جميع الآفاق لأخذ العلم على يديه مقدماً بذلك خدمة جليلة للعلوم العربية والشرعية.

ومن الأدباء والشعراء المحدثين نذكر أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢)م ، الذي ولد في القاهرة سنة ١٨٦٨م لأب كردي وأم من أصول يونانية و يُعَدُّ أشهر شعراء العرب في العصر الحديث على الاطلاق، ومن آثاره الشوقيات، ومجنون ليلى، وعنترة. ثم الشاعر الكردي الذي كتب بالعربية وتغنى بالحرية معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥م، الذي ولد في حي (القراغول) في العاصمة العراقية بغداد، وهو ينتمي من جهة أبيه إلى عشيرة (جبارة) أو (جباري) الكردية، وجاء في كتاب (العشائر الكردية) أن عشيرة جباري تسكن لواء كركوك، وهي تمتهن الزراعة، وقد وقفت العشيرة إلى جانب الشيخ محمود الحَفيد خلال ثورته ضد الإنكليز سنة (١٩١٩) في كردستان الجنوبية.

هذا ونعود إلى القول وحسب كتب المؤرخين العرب والمسلمين بأن الاتصال الأكبر للكرد بالعرب كان في العام الثامن الهجري أو العام ٦٣٩ ميلادي، وهناك روايات متعددة حول طريقة إسلام الكرد، فبعض الروايات تذكر أن الكرد دخلوا الاسلام طواعية، وبعضهم يقول أنهم دخلوا الاسلام بالحرب في بعض مناطقهم وسلميا في مناطق أخرى، ومن الروايات التي يذكرها الطبري حول هذه القضية فيقول: (أرسل الخليفة عمر بن الخطاب المدعو (سلمة بن قيس الأشجعي) حيث التقى بمشركي الاكراد، فدعاهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين فرفضوا، عند ذاك دعاهم إلى الجزية، فأبوا عندها قاتلهم قتالاً شديداً وانتصر عليهم.... ثم بعث رجلاً إلى الخليفة لتهنئته بالنصر). هذه إحدى الروايات التي ترى أن الكرد دخلوا في

لقد خرج من بين الأكراد جيل من الأبطال والعلماء ساهموا في بسط نفوذ الإسلام في مناطق مختلفة من أقطار الأرض. كما هو القائد صلاح الدين الأيوبي

الاسلام بحد السيف، ولكن هناك روايات أخرى مضادة لها وترى أن الكرد دخلوا الاسلام بسهولة ويسر.

ويورد (البلاذري) إحدى وثائق الصلح وفيها يرد اسم الكرد وتقول:(ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد البلشجان، وسبلان، وساترودان، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه). ونسبهم المسعودي إلى العرب كما ينسبهم (ابن الكلبي) أيضاً إلى العرب ويقول: (أن الكرد ينتسبون إلى كرد بن عمرو بن ميزيقيا بن عامر بن ماء السماء).

يقول في هذا الشاعر العربي في إحدى أبياته عن الكرد ويقول:

لعمرك ما كرد من أبناء فارس

لكنه كرد بن عمرو بن عامر

وقد حدث احتكاك كما كان هناك اتصلات كما ترى الكاتبة الكردية(درية عوني) بشكل مباشر بين العرب والكرد بعد فتح قلعة حلوان، وكان الكرد قد أقامو عدد من الدول في العهد الاسلامي ومن هذه الدول:

الدولة الروادية (٢٣٠ – ٦١٨)هـ، برئاسة محمد الروادي في مدينة تبريز في كردستان الشرقية، والدولة السالارية برئاسة سالار مرزبان بين عامي (٣٠٠ – ٥٤٢) في أذربيجان وكانت هذه الدولة كردية حسب دائرة المعارف الاسلامية. والدولة الحسسنوية في الدينور وشهرزور برئاسة الأمير حسين،

يذكر عماد الدين خليل عن دور الكرد في الاسلام قائلاً: وهكذا وجد الكرد أنفسهم، وصنعوا تاريخهم في ظلال العصر الاسلامي وشاركوا مشاركة فاعلة في مصائر الأمة الاسلامية في السلم والحرب، وفي الحضارة والسياسة معاً

والدولة المروانية في دياربكر بين عامي(٣٥٠ - ٤٧٦) هـ علماً بأن قائد الجيش المرواني كان ضابطاً من العرب يدعى أبا حكيم وهو من بلدة الحديثة العراقية(٥). أما عن العلاقة الكردية – العربية المعاصرة فللانصاف نقول، بأن هناك عرب تغنوا بأمجاد الكرد ودافعوا عن حقوقهم المشروعة من أمثال محمد مهدي الجواهري الشاعر العراقي الكبير الذي تعاطف مع قضية الشعب الكردي وتضامن مع كردستان موطن الكرد فقال رائعته الشهيرة:

قلبي لكردستان يهدى والفم
ولقد يجود بأصغريه المعدم
سلم على الجبل الأشم وأهله
ولأنت تعرف عن بنيه من همُ

ونذكر الموقف الصلب والشجاع لآية الله العظمى السيد محسن الحكيم في العراق حينما أقدم على اصدار فتوى دينية تحرم على الجنود العرب مقاتلة إخوانهم من الكرد الذين ثاروا يدافعون عن حقوقهم المشروعة وقد رفعوا السلاح في وجه العنجهية والدكتاتورية، فهؤلاء طلاب الحق والحرية لايجب سفك دمائهم.

وكذلك موقف الزعيم المصري جمال عبد الناصر الذي أوعز إلى قادة العراق آنذاك بالسماح بدخول القائد الكردي الملا مصطفى البارزاني إلى العراق والذي كان عائداً من منفاه في الاتحاد السوفييتي السابق عام ١٩٥٨م، وقد استقبله الرئيس جمال عبد الناصر بنفسه على ظهر الباخرة التي كانت تقله، وكذلك استقباله للسيد جلال الطالباني عام ١٩٦٣م وقد أحسن استقباله كممثل للثورة الكردية في كردستان الجنوبية.

وقد قابل قادة عرب آخرون جلال الطالباني ومسعود البارزاني في مديات مختلفة حتى إن حزب الاتحاد الوطني الكردستاني تأسس في دمشق برئاسة جلال الطالباني عام ١٩٧٥م، كما أفسح الرئيس السوري حافظ الاسد المجال لعبد الله اوجلان والكريلا الكردية في سورية ولبنان، واستقبلهم وخصص مكانا لهم للتدريب في سهل البقاع في لبنان ومن هناك أفلح حزب العمال الكردستاني في ادخال أولى مجموعاته المقاتلة الى كردستان الشمالية وتركيا، كما استقبل الزعيم الليبي معمر القذافي العديد من كوادر حزب العمال الكردستاني وفتح لهم أبواب ليبيا.

ويمكن الإشارة هنا إلى دور الأحزاب اليسارية في العراق والحزب الشيوعي العراقي والموقف الإيجابي من (فهد) مؤسس الحزب، وكامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي وورود حقوق الكرد في برنامج الحزب، وموقف حسين جميل الحقوقي الديمقراطي وإضافته عبارة شراكة العرب والأكراد في الوطن العراقي، في دستور ١٩٥٨.

ودور صديق الشعب الكردي عزيز شريف، وكذلك مواقف المثقف العراقي البارزهادي العلوي الذي تبرأ من قوميته بسبب قصف أطفال الكرد في حلبجة، ومثله السيد منذر الفضل، وكاظم حبيب، وآخرون ممن وقفوا الي جانب الشعب الكردي في محنته والمواقف الصعبة التي مر بها.

وبالقدر نفسه نستذكر مواقف الشخصيات

الكردية البارزة ازاء قضايا الأمة العربية، ويمكن الافاضة في هذا الجانب وبخاصة مواقف أدباء ومثقفين أكراد من القضية الفلسطينية والعربية عموماً، وتبيان ذلك وتوضيحه يقع على عاتق المثقفين والباحثين العرب والكرد.. هذا ورغم التدخلات الخارجية والفتن والشوفينية المترسخة في أذهان قادة حكام المنطقة ألا أن العرب والكرد لم يهجم أحدهما على الآخر طوال التاريخ المديد لتجاورهما، وكل ما هنالك كان الحكام يحاولون إثارة الفتنة بين الكرد والعرب ومكونات المنطقة الأخرى، ألا أن المحاولات كلها باءت بالفشل وتحطمت على صخرة الأخوة العربية الكردية وأخوة الشعوب ومكونات المنطقة على العموم. وقد كان ببين الكرد والعرب على الدوام حسن جوار ومودة وسلام. ويذكر التاريخ أن الشيخ احمد السليماني الكردي رحل في عام ١٣٠٥هـ إلى المدينة المنورة ومكث فيها اربع سنوات، وهو الذي بنى في مكة المكرمة داراً لضيافة المحتاجين ليقيموا فيها خلال فترة مناسك الحج، وقد استفاد من الدار خلق كثير من ضيوف الحرمين الشريفين.

وفي العصر الحديث تضامن الكرد والعرب معاً في الثورات الوطنية ليناضلوا يداً بيد وكتفا لكتف ضد الاستعمار في كل من سورية والعراق، وقد شارك الكرد في ثورة العشرين ضد الاحتلال الانكليزي وكانت ثورة ملحمية سجل فيها العرب الكرد آيات من البطولة والفداء، ولقنوا الانكليز دروسا في معنى التضامن، والحرية، والنضال. وفي عام ١٩٥٨م أعلن الدستور العراقي المؤقت الذي أعلن صراحة في بنده الثالث أن الشعب العراقي يتكون من قوميتين هما العرب والكرد، وعلى أنهما شركاء في هذا الوطن. وقد احتفل الشعبان العربي والكردي بالأخوة العربية الكردية وكانت فرحة الشعبين حقيقية وولاؤهما للعراق صريحة وواضحة.

وفي سورية حارب الكرد إلى جانب العرب ضد الاستعمار الفرنسي وكان الكرد أول من أطلق النار على المستعمر، وكان هناك مجاهدون كرد قاموا بثورات شهيرة ضد المستعمر الفرنسي، أمثال المجاهد الكردي ابراهيم هنانو الذي قاد المجاهدين من الكرد والعرب في جبل الزاوية قرب ادلب، وتمكن من تحقيق عدة انتصارات على المحتل، إلى أن تم القضاء على ثورته الوطنية. ومنهم يوسف العظمة الذي كان وزيراً للدفاع في الحكومة السورية، وقد أبى أن يدخل الفرنسيون سورية دون مقومة، فتصدى لجيوش الاحتلال بإيمان راسخ وعزيمة لا تلين، ورغم اقتداره وشجاعته لم يستطع الصمود في وجه أحدث الطائرات والدبابات الفرنسية وظل يقاتل حتى سقط صريعاً على أرض المعركة واستشهد مع رفاقه الابطال عام ١٩٢٠م. وهناك الكثير من الرموز الكردية الأخرى التي قادت وشاركت في الدفاع عن الأراضي السورية جنبا الى جنب مع اخوانهم العرب.

ومن جهة أخرى فكانت ثورة (بياندور) التي جرت في تلك القرية الواقعة شرقي مدينة قامشلو في عام ١٩٣٢م كانت ملحمة رائعة وتلاحماً أخوياً في تاريخ الشعبين العربي والكردي، حيث تصدى العرب والكرد في تلك الملحمة للقائد الفرنسي (روغان) وجنوده العائدين من مهمة عسكرية في مدينة ديرك وتمكنوا من تحقيق نصر ساحق على القوات الفرنسية قتل على إثرها (روغان) القائد الفرنسي ومجوعة من جنوده كما سقط في المعركة خمس عشرة شهيدا من المجاهدين، وبذلك أنقذوا الشعبين والمكونات الأخرى في المنطقة من ظلمه وجبروته، وهكذا يثبت

التاريخ بأن وحدة الشعوب تخلق المعجزات وتخلق تماسكاً وتلاحما وطنياً رائعاً. وفي عفرين كان المجاهد محو إيبو شاشو يجاهد الفرنسيين وقد أقض مضاجعهم دفاعاً عن الوطن السوري المحتل، كما كان هناك آخرون في عفرين من الثوارالذين ضحوا من أجل الشعب السوري وحريته.

وقد تولى الكرد رئاسة الدولة السورية وخدموا الشعب السوري بكل تفان وإخلاص، ومنهم الرئيس محمد علي العابد بن احمد عزت بن هولو باشا الوالي الكردي على بلاد الشام وأمير الحج الشامي في نفس الوقت، حيث أصبح العابد في ١١ حزيران عام ١٩٣٢م أول رئيس للجمهورية السورية في عهد الانتداب الفرنسي والذي جاء إلى الحكم بانتخابات نزيهة وكان كردياً، ثم الضابط حسني الزعيم الذي تولى الرئاسة بانقلاب عسكري عام ١٩٤٩م، ثم فوزي سلو الذي أصبح رئيساً لسورية بين عامي (١٩٥١ – ١٩٥٣) م، وكان الرابع هو العقيد أديب الشيشكلي الذي تولى رئاسة سورية عام ١٩٥٤م.

كما استشهد اثنا عشر من قوات الكريلا التابعة لحزب العمال الكردستاني في قلعة شقيف في لبنان عام ١٩٨٢م دفاعا عن الشعب الفلسطيني، ومنهم قائد المجموعة الشهيد عبد القادر جوبوقجو.

ورغم أن بعض الدكتاتوريات من الانظمة العربية عمدت وخططت لتحجيم الكرد واضطهادهم وحتى محاولات إشعال الفتن بينهم وبين العرب وإبادتهم بشكل ممنهج أحياناً، إلا أن موقف الشعبين لم يتأثر بهذه المحاولات وبقي الشعبان في حالة وئام وتوافق إلا في حالات نادرة، حيث لم يكن هناك تمايز قومي بين العرب والكرد، وقد حدث التمايز بين القوميات بفعل الافكار الشوفينية التي انزلقت إليها أقطاب الطورانية التركية بعد ثورة الجونتا التركية عام ١٩٠٨ وما بعد، وحكومتي البعث في كل من سوريا والعراق. وما يتطلب من الكرد والعرب اليوم، هو إزالة الحواجز النفسية التي زرعتها كل من الحكومات العراقية والسورية المتعاقبة، والتقرب من بعضهما ومن كل المكونات في هاتين الدولتين بما يرضي الشعبين وجميع الاطراف في سبيل إحقاق الحقوق السياسة المشروعة لمكونات المنطقة عموماً، وحرصاً على وحدة الدولتين وتحصينهما ضد الانقسام والتمزق على أساس من الفيدرالية الديمقراطية والتي تفرض نفسها كحل أنجع لكل مكونات المنطقة، ولحماية السلم الأهلي والعيش معاً بوئام ومودة وتقدير، ليصار إلى وحدة المكونات واستقرارها وديمومة حياتها في جو من الرخاء والسلم والازدهار.

المراجع:

(١) - انظرخالد محمدي - مقال.

(٢) - البلاذري - انظر – موسوعة الفتوحات الاسلامية – محمود شاكر – ص – ٦٥.

(٣) - الامارات الكردية في العهد البويهي – قادر محمد حسن ص - ٨٥

(٤)- اسهامات العلماء الكرد في الحضارة الاسلامية –تريفة احمد – ص – ب

(٥) – عرب واكراد وئام ام خصام - درية عوني - ص – ٤٤.

الأمّة الديمقراطيّة مثال عمليّ لواقع التعايش بين المكونات في الشمال السوري

إلهام أحمد

الرئيسة المشتركة لمجلس سوريا الديمقراطية

أهمية العلاقات ما بين الشعوب والمؤسّسات بشكل عام

إنّ موضوع العلاقات ما بين الشعوب والمؤسّسات بشكل عام موضوع سيسيولوجي ثقافيّ، ويصبّ في مجال الحماية أيضاً، فعلى تراب بقعة مثل بقعة الشرق الأوسط، اختلط فيها تاريخ الشعوب وتشابكت فيما بينها، فمن الصعب أن نجد شعباً واحداً أو قوميّة واحدة قد عاشت على منطقة جغرافيّة محدّدة من جغرافيّة الشرق الأوسط عامّة، فعبر آلاف السنين وعلى أرض الشرق الأوسط تعايشت حضارات متلاحقة فيما بينها وداومت حتّى الآن، ومن خلالها استطاعت المجتمعات المتعايشة في الشرق الأوسط أن تُغني نفسها من خلال التأثير والتأثّر فيما بين مكوّناتها، واستطاعت هذه الحضارات المتلاحقة أن تتأثر وتؤثّر، فلذلك إذا حاولت أن تفصل ما بين هذه العلاقات ما بين الشعوب المتعايشة فيما بينها فلن تستطيع، ولا يمكن أن تدرس الشرق الأوسط إلّا من خلال هذه العلاقات ما بين الشعوب.

فتعايش الشعوب فيما بينها على هذه الأرض قد أدّى إلى التلاحم وصلات القربى والدم، ومن خلال الثقافة والفنّ فيما بين هذه الشعوب المتلاحمة، فهذا التداخل السيسيولوجي ما بين شعوب المنطقة أدّى إلى تأثير المجتمعات ببعضها البعض، فالأعراق القديمة كما يقال: هم الميديّون ثمّ البرس ثمّ العرب، ويمكننا ملاحظة هذا التأثير فيما بين الشعوب، فعلى سبيل المثال نجد الكرد والفرس والعرب المصريون وسواهم في تلك المناطق يحتفلون بعيد نوروز، هذا العيد الذي يرمز إلى انتصار الشعوب المتحالفة المتطلّعة إلى الحرّيّة، حيث تحتفل هذه الشعوب بهذا العيد، ونرى احتفالات أخرى مشابهة تحتفل بها شعوب المنطقة، وكذلك هناك أحزان متشابهة وقصص متشابهة، ومن هنا نستطيع القول: إنّ هذه العلاقة مهمّة جدًّا من خلال استمرارها، وديمومتها، وتطوّرها، فعلى أرض الواقع نجد ضيعة كرديّة

بجانبها ضيعة عربيّة أو تركيّة أو فارسيّة... فبالتالي عندما نرى هذا التداخل القويّ وبهذا الشكل ولكي تستطيع هذه الشعوب أن تستمرّ بحياة حرّة على أرضها هذه، فهناك حاجة ملحّة إلى علاقة صحيحة بين هذه الشعوب، ولكي تصبح هذه الشعوب غنيّة على أرضها هذه، تستطيع أن تستمرّ بعلاقاتها من خلال الهويّة الوطنيّة، وتستطيع المجتمعات أن تصل إلى حرّيتها من خلال أرضها وعلاقاتها وارتباطها بثقافتها، كل ذلك ومن دون خوف أو عائق، والعكس من ذلك؛ فالمجتمعات التي تخاف ولا تقبل بعضها البعض، والشعوب التي تخاف من الإبادة دائماً، تجلب معها كوارث كبيرة، ولذلك نقول: إنّ تطوير العلاقات ضروريّ جدّاً من الناحية الإستراتيجيّة والتاريخيّة.

الدولة القوميّة هي السبب الرئيس للنزاع ما بين المكوّنات

أمام كلّ أنواع الظلم والتمييز والاعتداء واللاعدل فإنّ اتفاق المجتمعات مهم جدّاً، فلكي تحمي المجتمعات نفسها عليها أن تتصالح وتتفق مع جيرانها، فعلى سبيل المثال: عندما نشأت حضارة ميديا اعتمدت على اتّفاق المجتمع، على أساس كونفدرال ما بين القبائل وبهذه الطريقة تمّ الإعلان عن نوروز، وأيضاً في عهد صلاح الدين الأيّوبيّ أيضاً وإن كانت تحت راية الإسلام لكن كان هناك اتّفاق ما بين المجتمعات والشعوب ضدّ الظلم والطغيان، والآن أيضاً هناك اتّفاق ما بين المجتمعات السورية على أرضها أيضاً أنموذجها في قوّات سوريا الديمقراطيّة، مثل النظام الفيدراليّ الذي نشأ في الشمال السوريّ وهذه نماذج وليست كقوّى سياسيّة تتّفق فيما بينها، وإنّما الاتّفاق ما بين الشعوب والمجتمعات أيضاً، وهذه نماذج مهمّة.

وعلى العكس من هذه الأمثلة نرى النظام السلطويّ الذي يعتمد على نظام الأمّة الواحدة، وهي التي تعتمد على التناقض والفتنة والتخوّف ما بين المجتمعات، مثال ذلك الدولة القوميّة التي تعتمد على الهويّة الواحدة وهي أساس بنائها؛ فعلى سبيل المثال نجد الدولة العربيّة تعتمد على الهويّة العربيّة فحسب، أمّا باقي المجتمعات والهويات والثقافات الأخرى التي تعيش ضمن حدود هذه الدولة تُطمَس ويتمّ القضاء عليها، فقط هناك هوية واحدة تخرج إلى الملأ، وكلّ المجتمعات الأخرى تنصهر تحت ظلال هذه الهويّة، ومثالها المعاش نجده في تركيا بشكل واضح، وكذلك في إيران وفي الدول العربيّة،

تحت راية الإسلام اتفق المجتمعات والشعوب ضدّ الظلم والطغيان، والآن أيضاً هناك اتّفاق ما بين المجتمعات السورية على أرضها أنموذجها في قوّات سوريا الديمقراطيّة

فنظام الدولة القوميّة في الدول العربيّة تعيش هذا النموذج، وفي سوريا وبطريقة ملفتة للنظر قد عاشت هذه التجربة، ففي عام ١٩٦٢ عندما طُبّق الحزام العربيّ جلب معه اعتداءً سافراً على الشعب الكرديّ، فأُخرجَ الكرديّ بالإكراه من منزله وأُسكن العربيّ عوضاً عنه، وبالطبع لا ذنب للشعب العربيّ في هذا الحدث، فالذنب الأكبر يقع على عاتق الدولة، أي النظام الذي يعتمد على الخطط الصهريّة الإمحائيّة الإباديّة، وتزرع في المجتمعات هذه الذهنيّة، حيث توطّد فكرة؛ أنّ الهويّة العربيّة فوق كلّ الهويّات، وأنّ الهويّات الثانيّة ليست موجودة وهي صغيرة جدّاً، وليست في مستوى الإنسانيّة، فعلى الإنسان كي يصبح إنساناً يجب أن يكون عربيّاً، تركيّاً، فارسيّاً، وبهذه الطريقة تزرع هكذا ذهنيّة في المجتمعات، فليس بالإبادة يحصل ذلك، فقد كان ٢٦٠ ألف كرديّاً مجرّداً من الجنسيّة، ففي نفس المنطقة التي تمّ الإحصاء فيها تمّ تجريد الكرد من الجنسيّة، فحسب القانون لا يعدّ معروفاً من أين أتى هذا العدد الجمّ من الكرد، فلا حقّ لهذا الكرديّ المجرّد من الجنسيّة في شيء، فلا يستطيع أن يشتري أو يبيع عقاراً، أو يكمل دراسته أو يوظّف والعمل، ولا يستطيع التنقّل أيضاً خارج منطقته، فكأنّه أسيرٌ في وطنه، فهذه الإجراءات هي إجراءات غير إنسانيّة بحقّ الكرد، وظلّت مطبّقة على الكرد على مدى عشرات السنين، فهذا المسار المتّبع كان مخطّطاً لإمحاء بقيّة الكرد في المجتمعات العربيّة، ففي نظام التربية والتعليم كان يُنظر إلى الطالب الذي يتحدّث بغير العربيّة على أنّه لا ينتمي إلى العالم المتحضّر وهي لغة قرباطيّة غير إنسانيّة، وكان يتمّ تحقير اللغات غير العربيّة والنظر إليها نظرة دونيّة في كل المحافل؛ في أماكن العمل، في السوق، في كل المؤسسات والأماكن، وتفشّت في الكرد ظاهرة الدونيّة، حيث بات يبحث عن السبل المؤدّية لإرضاء العربيّ؛ ليجد نفسه مقبولاً لديه، وبهذه الطريقة تمّت ممارسة صهر الكرد طواعية، وهنا لسنا في صدد الدولة القوميّة العربيّة فحسب، وإنّما في الدولة القوميّة التركيّة والفارسيّة أيضاً، فقد وصل المستوى إلى حدّ الخجل من اللغة الكرديّة، والتهرّب منها، فهذه إجراءات غير إنسانيّة قامت بها الدولة القوميّة على الشعوب الأخرى، فقد كان يُنظر إلى الشخص الذي يتكلّم باللغة الكرديّة على أنّه ناقص، وما السبيل إلى أن يكون إنساناً كاملاً إلّا أن يتحدّث باللغة العربيّة، من خلال الفكرة السائدة التي تقول: عليك أن تكون عربيّاً حتى تصل إلى مستوى المواطنة، فأنت ليس عربيّاً فقيمتك ضئيلة.

إنّ هذه الإجراءات هي إجراءات سياسيّة يتمّ التخطيط لها ضدّ الشعوب، لتصنع شرخاً ما بينها، إذْ باتت العلاقة ما بين العربيّ والكرديّ تسودها الحساسيّة البالغة، فلا ينسى الكرديّ أن أرضه ووطنه يُسلبان منه، وهو متحسّر أبداً كي يعود إلى ترابه وملكه، وبالمقابل ينظر العربيّ إلى الكرديّ على أنّه غريب بلا هويّة جاء من الخارج ولا حقّ له في أن يمتلك شيئاً، وبالتالي تُغلق القضيّة، فالكرديّ قد طمس وذاب وظهر عوضاً عنه العربيّ أو التركيّ أو الفارسيّ،

وبذلك تتّبع الدولة القوميّة الانصهار القوميّ للشعوب الأخرى، ولذلك يظلّ الكرديّ يبحث عن حقّه من العربيّ أو التركيّ أو الفارسيّ، بأنّ هذه القوميّة قد نهبت كلّ شيء منّه، والعربيّ دائماً يستحضر هذه الذهنيّة من خلال ممارساته اليوميّة.

ففي ذهنيّة هذه الدولة القوميّة؛ نجد أنّه بالقدر الذي تقول فيه: إنّي عربيّ، تكون فيه ناجحاً ومتفوّقاً، وتقاس الوطنيّة بالقدر الذي يفتدي به الفرد نفسه في خدمة هذه الدولة القوميّة، ففي الكرد وفي بقيّة المجتمعات يتمّ زرع هذه الذهنيّة، لذلك فهي سياسة خطرة جدّاً، لأنّها سياسة تهدف إلى قتل كلّ تلك الألوان والأطياف والثقافات المجتمعيّة، لتظهر ثقافة أحاديّة فحسب. لذلك نجد في لثقافة العربيّة الواحدة أنموذجاً واحداً فحسب؛ هو الحاكم الطاغي، ففي دولة مثل سوريا لا يحقّ لأيّ شخص أن يكون رئيساً للجمهوريّة، وليس هناك فرصة لأي شخص أن يكون وزيراً، أو مرشحاً ليكون وزيراً، وكذلك في أيّة مؤسّسة من مؤسّسات الدولة، ففي المناطق الكرديّة نجد حاكماً غير كرديّ يحكمها، فيعدل هذا العربيّ حسب وجدانه وضميره، وحسب الذهنيّة التي تصبّ في خدمة الدولة، أي سياسة الحزب الواحد؛ حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ، لذلك فهي إجراءات في قمة الخطورة؛ فهي تسلك الطريق أمام الاقتتال الطائفي والعرقيّ، وهي خطّة مدبّرة بإحكام لهذه التفرقة، فالذين انصهروا في هذا النظام واندمجوا فيه من الكرد والشعوب الأخرى صاروا الخدم الأكثر طواعية لهذا النظام الذي يصهرهم ويبيدهم، سواء بهويتهم الكرديّة أو بهويّتهم العربيّة، فالكرديّ الجيد هو من يخدم هذا النظام، لكي يجعل الكرد صامتين، وكذلك فالعربيّ الذي

يخدم النظام يتحرّك ضمن هذا الإطار، والقسم الكبير من المجتمع ومن ضمنهم العرب الذين يرزحون تحت ظلّ هذه الدولة القوميّة قد قمعوا وغبنوا وصاروا من دون حقّ يُذكَر.

إنّ هذا النظام يولي الأهميّة للمدينة ويهمل الريف بتاتاً، فكلّ الإمكانات تُوجد في المدن، ويغدو الريف جاهلاً لا حول له ولا قوّة، ويتمّ نهب المجتمع بأكمله في خدمة طبقة معيّنة من المجتمع، من قبل الفئة التي تدير هذا النظام، إذْ أنّ هدف نظام الدولة القوميّة من قبل الذين يديرونه سواء كانوا طائفة أم عشيرة أم قوميّة يرون أنفسهم على رأس هذا النظام، فيقول: أنا عربيّ فأنا أحافظ على هذه الدولة، وأيّ اعتداء عليّ هو اعتداء على الدولة برمّتها، مثلما يحصل الآن في سوريا من خلال هذا الوضع المُعاش في سوريا، فبشار الأسد هو رمز سوريا، فأي اعتداء عليه هو اعتداء على سوريا برمّتها، وأي اعتداء على أي مسؤول في هذه الدولة هو اعتداء على الدولة كلّها، ولا ينظرون إلى التخريبات التي تقوم بها تلك الشخصيّات حتى تحصل كلّ هذه المآسي في هذا الوطن بين كلّ المكوّنات والأطياف المجتمعيّة بروح الشوفينيّة والفاشستيّة التي تصبح سبباً في عدم ثقة العرب بالكرد، وبالمقابل لا يثق الكردي بالعربي، وهكذا تكون بقية المكوّنات في حالة صراع فيما بينها، فتنظّم الدولة أحد الأطراف

مقابل الطرف الآخر، وبذلك تستطيع أن تقود المجتمع بهذه الطريقة، فبالتالي هي التي تلحق الضرر الأكبر على العلاقات بين المجتمعات، وبالتالي تنظّم العسكر من العرب ومن بعض الكرد من أجل مصالحه السلطويّة.

الصراع ما بين الأمّة الديمقراطيّة والدولة القوميّة

هناك من يقول لك: على الكرد أن يُشيدوا دولتهم كي يصلوا إلى حقوقهم. وكأنّ الحلّ في الدولة، وذلك من خلال المثال العربي الذي يرى أنّ العرب وصلوا إلى حقوقهم من خلال الدولة، فما على الكرد إلّا أن يسلكوا نفس المسار للوصول إلى حقوقهم، ومن خلال المثال الحيّ الماثل أمام أعيننا في أنّ الدولة لا تحمي الأمم، فهذه الحملات التي تقوم بها تركيا نرى أنّ عدداً كبيراً من الترك معتقلين في السجون، سواء من العسكريين أو القضاة أو الإداريين أو الإعلاميين، فالكثير منهم اعتقل وسجن واختطف، وذلك لأنّهم معارضة، فمن يعارض النظام فهو يعارض مصالح الدولة برمّتها، وهكذا تفسّر الأمور حينها، وكذلك في سوريا، فكلّ هذه الممارسات من قصف وتدمير وتشريد وتهجير وتغيير ديمغرافيّ نجده في سوريا أترى يصبّ في مصلحة العربي؟! بالطبع لا، فهذه الممارسات ضدّ مصالح العرب والكرد على السواء، لذلك لا يمكن من خلال الدولة الوصول إلى الحرية، فبالأساس هذا خداع كبير عندما يقال: الدولة تعطي حقّ الشعوب، لذلك نرى أن البديل يكمن في خلق مجتمع حرّ وهو أصح وأفضل من خلق دولة قوميّة، فعندما تكون لديك هويّة في مجتمع حرّ وتحصل من خلالها على جميع حقوقك في المكان الذي تعيش فيه في نظام ديمقراطيّ فهذا كاف، فليست الغاية

فإذا كان هناك إنكار فستكون هناك إبادة، والعكس فإذا كانت هناك حرّيّة فسيكون هناك إحياء وحياة.

أن تصبح مسيطراً، إنّ الهدف الرئيس هو أن تحصل على حرّيّتك.

المهمّ أن نثبّت الغاية، أن نعرف ما هي الغاية المنشودة؟ فالهدف أن أُنشئ دولة أم أصل إلى الحرّيّة؟! فإذا كان الهدف هو الحرّيّة، فيمكن أن يحصل ذلك خارج إطار الدولة القوميّة، فليست الدولة القوميّة الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحرّيّة، فهناك عدّة سبل أخرى للوصول إلى الحرّيّة ومن تلك السبل الأمّة الديمقراطيّة، وأنموذجها الماثل للعيان هو الشمال السوريّ الذي يعيش هذه الحالة، فأيّ جرح يحصل في الدولة القوميّة فالأمّة الديمقراطيّة تعالج هذا الجرح، وتوضّح الحقيقة وتقول للشعوب: هذا النظام الذي أوصلنا إلى حالة صرنا فيها في مواجهة بعضنا البعض، وصرنا في عداء مع بعض، وهناك محاولات دائمة وحثيثة لخلق تناقض ما بين الكرد والعرب، وقد حاولت دول كثيرة خلق هذا الاقتتال ما بين الكرد والعرب، فلو لم نحتط لهذا الاقتتال ما بين الشعوب ولم نأخذ حذرنا وتدبيرنا في الشمال السوريّ لكان هناك اقتتال كبير، فهذه الدعايات التي حصلت مثل (مالذي يفعله الكرد في منبج؟ منبج مدينة عربيّة، ما الذي يفعله الكرد في الرقة؟) وكلّها دعايات لخلق روح الشوفينيّة وتغذيتها وتقويتها ما بين الشعوب، لكي يقول الكردي: لأبقى داخل حدودي ومناطقي، وكذلك يفعل العربيّ. ولكي يحصل ذلك فسيقول الكرديّ للعربيّ:

اخرج من مناطقي فلا مكان لك هنا، وعندما يقول: اترك منزلك وارحل، فمن هناك تحصل الفتنة الكبيرة والحرب والاقتتال، وبذلك يصلون إلى مآربهم، وبالتالي يظهر الكرديّ على أنّه شوفينيّ لا يقبل العربيّ، وبذلك يقول العربي: هذه مناطقي وأنا أقبل بداعش هنا، وبالتالي يحصل الاقتتال العربيّ الكرديّ، وبالتالي تصل أنظمة الدول القوميّة إلى مآربها، فإذا كان النظام فيجد فراغاً هناك، فيضرب هذا وذاك ويخرج منتصراً حاكماً، وأيضاً الدولة التركيّة التي تريد أن يحصل فراغ هنا أيضاً، من خلال إظهار صورة أنّ أولئك الذين يريدون تحرير الشعوب من داعش هم أنفسهم يمارسون ممارسات عنصريّة، وبالتالي يصلون إلى مآربهم وغاياتهم، لذلك قالوا: إنّ الكرد يبيدون العرب، ودائماً غيّروا كلّ ما هو على الأرض، وزيّفوا الحقيقة، لكنّ الأمّة الديمقراطيّة أظهرت كلّ الحقائق، ففي الأماكن التي تمّ تحريرها كان الهدف الأوّل هو كيف سيكون تقارب الشعوب فيما بينها؟ وهذه الهواجس المطروحة في الوسط العربيّ القائلة؛ إذا حكمَنا الكردُ فما الذي سيقومون به؟ وهذه المخاوف كيف ستزال؟ وقد أثبت أنّ الكرد ليسوا قوّة سلطويّة، فالكرد عكس ذلك فهم يجلبون معهم الديمقراطيّة، والكثير منهم يدرك هذه الحقيقة التاريخيّة، فالكثيرون ممّن يعيشون في المناطق المحرّرة من ضواحي الرقّة قد قالوا: لقد وصلنا إلى المدنيّة والتحضّر بعد أن وصل الكرد إلى مناطقنا، من خلال البناء والعمران والزراعة، فالكرد أينما حلّوا حلّت معهم الحياة، أمّا هذه القِوى التسلّطيّة جاءت لتزرع الفتنة ما بين المكوّنات، فالأمّة الديمقراطيّة تقوم على فكرة تجمع هذه الأمم، الفكرة التي تقوم على أن يكون العربيّ حرّاً والكرديّ حرّاً بالمقابل، والأرمنيّ والتركمانيّ أيضاً وكلّ المكوّنات التي تعيش على هذه الأرض، ويعاد إحياء هذه العلاقات التاريخيّة التي كانت موجودة، فلا يهضم حقّ الكرديّ ولا حقّ العربيّ، فهما يعيشان في علاقة مشتركة يقويّ كلاهما الآخر، وإن كان هناك اختلاف في بعض الأفكار فلا يكون ذلك سبباً للحروب وسفك الدماء والكوارث وبالعكس لتكون سبباً في الوصول إلى الإغناء، لتخرج فكرة الديمقراطيّة وغنى الثقافة إلى الساحة، وكلّها ضمن المشي في سياق العدالة والتماثل المجتمعي، فلا تنشأ الأمّة الديمقراطيّة على أساس إنكار الهويّات، وإنّما عكس ذلك تقوم على تقويّة كلّ الهويات الموجودة، وتتجاذبها في حياة مشتركة.

الأمّة الديمقراطيّة واقع وليس خيالاً

لنشاهد المناطق المحرّرة ذات الأكثرية العربيّة ابتداءً من تل رفعت وصولاً إلى الشدّادة، ولنقارن ما بين حكم هذه المناطق عندما كانت ترزح تحت حكم الجيش الحر، أو النظام السوريّ، داعش، قوّات سوريا لديمقراطيّة، ففي وقت سيطرة النظام كان هناك لونٌ واحدٌ فحسب، فقط اللغة العربيّة هي الطاغية، ولا يوجد لون آخر، هناك تناقض ما بين المجتمع، وغليان مستمر، وعندما حكم الجيش الحر وهو في قمّة لونه الوطني ولم يتحوّل إلى عصابة بعد، فعندما كان يخرج النظام من المناطق كانت كل مقدّرات المجتمع والمؤسّسات تسرق وتنهب، وفي أوقاتهم لم تكن هناك مدارس، ففي زمانهم

كان هناك تخريب فحسب، فكانوا يقولون نحن آتون لنخلّصكم من الديكتاتوريّة ونحرّركم، لكنّ تقاربهم الشوفينية من المجتمعات ونفس منطق النظام الذي كان يمارسه، حيث نفَوا الكرد والمجتمعات الأخرى، وباسم العرب قاموا بتلك الممارسات، لكنهم سيطروا على كلّ ما هو ملك عام، فصار المجال مجالَ تجارة فحسب، بعدها جاء داعش الذي أزال كلّ شيء كان قائماً، فبعض الأشياء التي بقيت عندما كان الوضع تحت سيطرة الجيش الحرّ ولكن في زمن داعش قد أزيل أيضاً، فقط لون واحد فحسب، وليس إسلاميًّا بل هو لون تكفيريّ، فالموجود هو لون الرجل فحسب، ولا يوجد شيء آخر، فقط سواد، إبادة وقتل وتدمير. في الوقت الذي حرّرت قوّات سوريا الديمقراطيّة ووحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة تلك المناطق، بدأت حياة جديدة، وأنموذجها الماثل للعيان في منبج؛ فعندما تحرّرت تلك المناطق من داعش بدأت تلك النساء المنبجيات يرمين تلك العباءات السوداء ويحرقنها، وكانت كل المدارس مغلقةً منذ سنوات وقد افتتحت أبوابها، وكذلك افتتحت المؤسسات المجتمعيّة والمدنيّة، وبدأت المؤسّسات بتطوير نفسها، فبات الشركسيّ يعرف نفسه، وكذلك التركمانيّ والعربيّ والكرديّ، وبدأ ذلك الموزاييك يخرج إلى الملأ، وبدأت تلك الأطياف المجتمعيّة تنشئ معاً مجلساً موحّداً، يديرون فيه مدينتهم، دون أن يقول الكرديّ ماذا سيفعل العربيّ بي؟ أو يقول العربيّ ما هذا الكرديّ؟ وما هذا الشركسي والتركمانيّ...؟ وماذا يفعل هنا؟ وعلى العكس من هذا فإذا لم يكن هنالك كردي يقول العربيّ: لماذا لا يوجد كرديّ أو تركمانيّ في مجلسنا؟ فهذه الثقافة التي بدأت تنشأ هي ثقافة الأمّة الديمقراطيّة، فنماذجها عمليّة، ومن خلال الإقناع على ما أظن هي الحياة العمليّة، فليس المسألة أن تضع فلسفتها أو بنيتها التاريخيّة فالأمّة الديمقراطيّة شيء حياتي ويوميّ وفي الغاية هي الشفافيّة، فالكرديّ والعربيّ على أساس سيصلون إلى بعضهما البعض؟ على أساس الحرّيّة سيصلون، فإذا كان هناك إنكار فستكون هناك إبادة، والعكس فإذا كانت هناك حرّيّة فسيكون هناك إحياء وحياة، فالعربي الذي يعيش في مكان ما ويرى أنّ جاره كردي ويعيشون معا بسلام وحقوقهم متماثلة ولا فرق بينهما، والعربي يرى بعين الغِنى إلى هذه العلاقات، والكرديّ أيضاً، فالأساس على التراب الغني الثقافات الموجودة بقوتها تظهر إلى الوجود، وكلّ إنسان يرى هذا الشيء بعينه، لا يقرأ عن هذا الشيء في الكتب، وعندما يرى في نفس الخندق يستشهد العربيّ والكردي والسرياني والتركماني تزداد الثقة أكثر في أنّ هذا النظام وحدَه يستطيع أنّ يؤمن المستقبل، فإذا لم تكن هذه التضحيّة موجودة فلن تحصل هذه القناعة بتاتاً، لذلك ففي الحياة المعاشة كلّ شيء يزيد من الثقة.

تقاس الوطنية في الدولة القوميّة؛ بالقدر الذي يفتدي به الفرد نفسه في خدمة الدولة القوميّة، وهي ذهنية خطرة، لأنّها تهدف إلى قتل كل الألوان والأطياف والثقافات المجتمعيّة، لتظهر ثقافة أحاديّة فقط.

مستقبل سوريا المنشود

سوريا تستطيع أن تُبنى في إطار سوريا الفيدراليّة، فمثلاً مدينة حلب عربيّة سنّيّة، لكن بالمقابل هناك نصف مليون كرديّ يعيش فيها، وكذلك هناك الأرمن والمسيحيّون، هذا فقط في المركز، لكن عندما نشاهد حلب مع ريفها نرى أنّ كوباني وعفرين منطقتان كرديّتان، ومنبج فيها نسبة كبيرة من العرب لكن فيها نسب من المكوّنات الأخرى، وكذلك ريف الباب فيه الكثير من الكرد، فهذه المدينة تُعرف بأنّها مدينة عربيّة سنّية، لكن فيها الكثير من الأطياف والمكوّنات، ففي حماة مثلاً ومن خلال تاريخها، نجد الكثير من المكوّنات الكرديّة التي تقول: إنّها من جذور كرديّة لكنّها لا تتحدّث الكردية، وكذلك حمص فيها العديد من المكوّنات المسيحيّة... فالمجتمع السوريّ ليس ضمن لون واحد فلا تستطيع أن تقول: إنّهم عرب فحسب أو سنّة فحسب أو علويّون فقط، فالمجتمع السوريّ هكذا، فلابدّ أن يكون النظام في سوريا نظاماً فيدراليّاً على أساس الثقافة، فالمدينة بحسب الثقافات الموجودة فيها تقود نفسها، لا أن تحدّد جغرافيّة معيّنة ونحدّدها بحدود، فأيّ منطقة تستطيع بناء منطقتها بثقافتها، وبهذه الطريقة تصبح سوريا كلّها أنموذجاً فيدراليّاً، فهذه التناقضات المذهبيّة والعرقيّة التي حصلت في سوريا تقول ذلك، فالعلويّون أمام خطر كبير أمام السنّة، والسنّة أمام العلويين، وأمام وضع الحقد والاحتقان، فهذا الوضع هو وضع سيء جدّاً، ففي سوريا إذا لم تنتخب أنموذجاً للحل، فستعيش سوريا نفس الوضع الذي عاشته العراق، لأنّها في خطر محدق، فيجب أن يوضع حدّ لهذا، فالعلويّون والسنّة يجب أن يدركوا أنّ الحلّ لا يكمن في دولة مركزيّة ولن تؤدّي إلى السلام أبداً، وستجلب الدمار معها أبداً، إذْ يجب أن تكون سوريا لا مركزيّة، فيدراليّة، وأن تكون هذه الفيدراليّة على أساس الثقافات، بهذه الحالة يمكن أن تُحلّ الأزمة السوريّة، وإلّا ستستمر هذه الأزمة حتّى تتقسّم سوريا

كلمة ختاميّة

بعد المؤتمر الثاني لمجلس سوريا الديمقراطية نرى العديد من الشخصيّات والكتل السياسيّة تدنو أكثر فأكثر منّا، وبدأت تناقش وتنضم، فالضيع المحرّرة التابعة للرقّة تنضم إلى هذا الخطّ، وتقبل هذا المشروع دون أيّ ضغط، فالكثير من المناطق المحرّرة لا تقبل وجود النظام، لأنّها ترى أنّ النظام لم يحقّق العدالة المرجوّة، فهذا نستطيع ذكره بأمثلة عدّة توضّح قبول المجتمع.

وكيف أنّ نوروز أضحت عيداً لجميع المكوّنات في المنطقة، فيمكن هذه السنة سنة ٢٠١٧ أن تصبح سنة تحرير الشعوب، وسلام المنطقة، وديمقراطيّة النظام، ونتمنى النجاح لمجلّتكم مجلة الشرق الأوسط الديمقراطيّ، ونحن في أمل أن تستطيع هذه المجلة أن تكون ممثّلة لصوت ثقافة شعوب المنطقة.

أصالة العلاقة الكردية الفلسطينية منذ اندلاع الثورة

مصطفى الدحدوح – غزة

مرّت العلاقة الفلسطينية الكردية بالعديد من الحقبات والمراحل التاريخية التي دونت في تاريخ العلاقة الكردية الفلسطينية رغم جملة المتغيرات التي حصلت خلال تلك الحقبات، لكن لم يستطع التاريخ أن يدون تلك الحقبات بشكل رسمي لغموض تلك العلاقة المتجذرة بين الشعبين، والتي تتمحور حول التبادل الفكري والثقافي بين الشعبين منذ اندلاع الثورة الفلسطينية وصولاً إلى استشهاد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أبي عمار، لتمرّ العلاقة الكردية الفلسطينية بمنعطفات مختلفة عن سابقتها.

بداية العلاقة الكردية الفلسطينية

لم يكن من السهل التعرف على بدايات العلاقة الكردية الفلسطينية التي لم يفِ بتفاصيلها في بداية الأمر وصولاً إلى شخصيات فلسطينية تاريخية كانت على علاقة وثيقة مع المكون الكردي بشكل مباشر خلال مسيرتهم النضالية في مشروع الثورة الفلسطينية، لكن وصفوا تلك العلاقة بالعلاقة الغامضة والتي لم يستطيع أحد الحديث عن تفاصيلها كافّة لغموض جوهرها.

ليوضح المناضل الثوري الفلسطيني فتحي شاهين أكثر الشخصيات المنخرطة في تحديد العلاقة الكردية الفلسطينية منذ بداياتها، ليشير إلى بداية تلك العلاقة، والتي كانت منذ بداية عام ١٩٥٧ والتي كانت مع بداية الحديث عن تكوين فرق ثورية فلسطينية، ليتمثّل التواجد الكردي بشكل فعليّ في تحديد منهجية فكرية نضالية لتوزيع تلك المنهجية، لتكون تلك النقطة بداية التبادل في العلاقات بين المكونين بشكل فعلي.

وبالفعل نجح كلٌّ من الوفد الكردي والشخصيات الفلسطينية الصورية بالاجتماع بشكل سرّي داخل العاصمة بيروت، والتنقل بينها وبين اللاذقية التي كانت محطّ الاجتماعات السرية بين المكوّنين لينتهي المطاف بالافتراق بين المكونين في تلك المرحلة في مطالع عام ١٩٦٢ لتمر العلاقة بحالة من التباعد الظاهري جراء المراقبة العسكرية الإسرائيلية على تلك الاجتماعات

قسّمت اتفاقية سايكس بيكو المناطق الجغرافية الكرديّة بين أربع دول قمعية تنافست في ارتكاب جرائم وحشية في طرق قمع التطلع التحرّري القوميّ الكرديّ.

التي كانت تحصل بين الجانبين بشكل سري لتخلق مخاوف فعلية من قبل إسرائيل.

مرحلة ١٩٦٩ اندلاع الثورة مرحلة التجربة الأقوى

لم يختلف حديث المناضل شاهين عن حديث المناضل غازي البلتاجي أحد رموز الثورة الفلسطينية موضحين أنّ فترة ما بين ١٩٦٩ حتى نهاية عام ١٩٨٠م هي الأكثر قوّة و تجذّراً في العلاقة الفلسطينية الكردية بشكل قويّ و فعلي على الساحة الميدانية سياسيّاً ونضاليّاً واقتصاديّاً لتشهدَ تلك المرحلة تطوّرات ومتغيّرات جرّاء التواصل القياديّ الفعليّ بين الجانبين.

متمثّلةً القيادة الفلسطينية بالقائد الراحل ياسر عرفات والقائد المعتقل عبد الله أوجلان، لتمثّل تلك المرحلة مرحلةَ الخطرِ المحتدم على إسرائيل جرّاء نظرة أوجلان و قيادته بأن إسرائيل عنصر محتلّ، ويجب محاربتها جرّاء الوقوف مع الشعب الفلسطيني والقتال في صفوفه، وصولاً إلى تحرير البلاد من ذلك الخطر الذي يهدّد فلسطين.

حيث وضّح المناضل غازي البلتاجي أنّه التقى بأوجلان لأكثر من مرة في الأردن بشكل سرّي، وذلك خلال اجتماعات مع القيادة لإيضاح الرؤية النضالية القادمة. وبالمقابل لإدراكه أنّ القضية الفلسطينية قضية نبيلة، و يجب التضحية من أجلها.

وأوضح المناضل أنّ العلاقة كانت قائمة على التشاركية الفكرية النضالية العسكرية حيث سجّلت نماذج نضالية كردية لليوم، تذكر في تاريخ الثورة الفلسطينية من خلال تضحية عدد من المناضلين الأكراد بأرواحهم من أجل القضية.

وذكر العديد من المناضلين الفلسطينيين أنّهم يتذكرون العديد من رجال أوجلان والقيادة الكردية، جرّاء القتال في خندق الثورة الفلسطينية دون تراجع نحو تحرير فلسطين، وقد استشهد بعضهم في ساحات القتال، ويوجد جثمانهم في الأراضي الفلسطينية، وأشهر تلك الشخصيات المناضل الثوري الكردي زاهر عسكر الذي دوّن اسمه على لوائح المناضلين الشجعان.

مرحلة ١٩٨٢المواجهة الحقيقة في بيروت

عندما أقدمت إسرائيل في عام ١٩٨٢ على اجتياح بيروت من أجل القضاء على حركة المقاومة التحرّرية الفلسطينيَّة المسلَّحة، اندلعت معركة تاريخيَّة شهيرة (يُحكى عنها حتّى الآن في الأدبيّات الصهيونية العسكرية) في قلعة الشقيّف في لبنان، وكانت أولى المعارك التي شهدتها الحربُ اللبنانيَّة آنذاك.

لتقع الاشتباكات بين وحدات كوماندوس تابعة إلى لواء الجولاني التابع للقوات الإسرائيلية من جهةٍ، ومسلّحي منظمّة التحرير الفلسطينيَّة بفصائلها حركة فتح والجبهة الشعبية والديمقراطية، بالإضافة إلى تواجد مسلّحي حزب العمال الكردستاني PKK بجانب مسلّحي المنظمة، ليقع مئات المقاتلين أسرى في قبضة الجيش الإسرائيلي، وقد نقلتهم سلطات الاحتلال إلى داخل فلسطين المحتلة وعرضت صورهم، وكان من بينهم العشرات من الشباب الكرد.

وبدأت آنذاك تتضح طبيعة العلاقة السرية

العلاقة الكردية الفلسطينية كانت قائمة على التشاركية الفكرية النضالية العسكرية حيث سجّلت نماذج نضالية كردية لليوم، تذكر في تاريخ الثورة الفلسطينية

القائمة بين القوات الكردية ومنظمة التحرير الفلسطينيّة واتضاح الدعم المالي الممنوح في تلك الحقبة لتكشف طبيعة الترابط الجوهري بين الشعبين أخلاقياً وإنسانياً وسياسياً ونضالياً، لتبدأ تلك الحادثة بإجراء متغيّرات في طبيعة العلاقة بين الشعبين لتأخذ منحدراً آخر جرّاء تزايد حدة الضغوط الموجهة على الجانبين من قبل السياسات الدولية التي افتعلت اتفاقية سايكس - بيكو لطمس الشعبين جراء تقسيم بلادهم و تشريد أبناء شعبهم.

السياسة الدولية لقمع الترابط القومي الفلسطيني الكردي

تمثّلت قوة العلاقة الترابطية بين الجانبين في بحث الطرفين على حلول لمواجهة الهجمة الدولية الطامحة للقضاء على الفكر والهوية الكردية والفلسطينية بشكل مباشر، سواء من خلال قمع ممنهج من قبل طرف قوي يتحكم بالمصير السياسي في المنطقة من خلال اللوبي الصهيوني، سواء من خلال قرار وعد بلفور عام ١٩١٧ الذي كان الأساس السياسي الواقعي لشرعنة تأسيس مفهوم دولة إسرائيلية.

أو اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦ التي قسّمت المناطق الجغرافية ذات التواجد السكّاني الكرديّ بين أربع دول قمعية خلقت بينها مفهوم التنافس الوحشي في ارتكاب الجرائم في طرق قمع التطلع التحرّري القوميّ الكرديّ.

العلاقة العسكرية بين منظمة التحرير الفلسطينيّة و PKK لم تقتصر العلاقات الكردية الفلسطينية على التضامن السياسي فحسب، بل تعدّتها إلى التدريبات العسكرية المباشرة بين مقاتلين من تنظيم حزب العمال الكردستاني PKK ليكون الحزب الوطني حامل فكر التحرر القومي ضد التحركات القمعية التي تهدد التواجد الكردي، وقد خاض ذلك الحزب معركة تحرر ضد العسكر التركي منذ الثمانينيات، واتخذت المواجهة جراء اعتراف تركيا بالدولة الإسرائيلية تلقت العديد من الضربات القاضية جراء التقارب في العلاقات بين تركيا و إسرائيل.

التكوين التحرري اليساري الكردي العربي المشترك

قامت القيادة الكردية والفلسطينية بخلق منهجية فكرية ضمنية بين الشعبين، قائمة على تكوين رؤية فكرية تحررية يسارية كردية فلسطينية مشتركة تتمحور حول العمل على رفض التطرف القومي، وتأسيس مفاهيم حرية الشعوب والعدالة الاجتماعية والعمل على تكوين مفاهيم تطمح لحماية الفكر الحر من التدخلات الخارجية.

وساعدت تلك المفاهيم بضمان فعلي للشعب الكردي والفلسطيني والعمل على انطلاق العديد من حركات اليسار العسكري التي قرّبت بين القضايا المختلفة للشعوب، ضد مشاريع الهيمنة والتسلّط الإقليمية والدوليَّة. لكن مع انهيار المشروع الوطني للدولة العربية الحديثة، وإنشاء أنظمة استبداد عسكرية مهمّتها مراقبة المجتمع، والتّفتّت الشامل لكامل النظام الإقليمي السياسي الرسمي، وانقسام المجتمعات العربيَّة إلى طوائف وعشائر وملل وجهات، وانحسار الحركات اليساريَّة وزوال دورها التحرّري تقريباً، تراجعت المقاومات العربية المسلّحة

من المستوى الوطني العام إلى المستوى الأهلي الخاص، وتحوّلت إلى مقاومات يضمُر البعد الوطني فيها على حساب المذهبي الأهلي. لكن يبقى الخيط الحقوقي السياسي رابطاً وثيقاً بين أعدل قضيتين في المنطقة؛ القضية الكردية والقضية الفلسطينية.

الاندماج الحضاري

سجل تاريخ الحضارات تاريخاً مشتركاً منذ قرون يستند إلى التمازج الحضاري والتعايش والتعاون والتواصل. فإنّ العلاقات الكردية – الفلسطينية تحتل موقع الصدارة وتأخذ منها موقع القلب، فقد تميزت هذه العلاقات ومنذ أكثر من ثمانية قرون بعلامات وأحداث بارزة في تاريخ الشعبين.

منذ انتماء الأغلبية الساحقة من أبناء كردستان إلى الدين الإسلامي بعد أن كانوا يتوزعون بين الزرداشتية والمسيحية، ويتضمن التراث الكردي – المدون والشفاهي – العديد من الإشارات والمناسبات التي تعبر عن التعلق الروحي بالقدس الشريف.

وكان لهذا التواجد الكردي في مدن سورية ولبنان وفلسطين ومصر واليمن وشمال أفريقيا من جانب أبناء كردستان الأثر الكبير في تعزيز التمازج الثقافي والتبادل الحضاري والتأثير المتبادل في العلاقات الكردية – العربية والتي ما زلنا ننطلق منها حتى الآن في عملية تطويرها وترسيخها.

احتفظت ذاكرة الكرد والعرب لقرون، وخلال تعاقب الأجيال بذلك التاريخ المشترك الناصع البياض رغم ما حاوله بعض المؤرخين والدخلاء لتشويه تلك الرؤية والعلاقة القائمة والعمل على إخفاء الوثائق والحقائق حول تفاصيل جوهر العلاقة بين الكرد والفلسطينيين التي يحاول الكثير بالعمل على مسح معالمها بشكل أو بآخر، لكونهم الشعبين المضطهدين في العالم يعملنا على تكوين جسم قادر على

خلقت القيادة الكردية والفلسطينية منهجية فكرية قائمة على رفض التطرف القومي، وتأسيس مفاهيم حرية الشعوب والعدالة الاجتماعية

مواجهة المرحلة.

الأكراد والعلاقة الإسرائيلية

يتواجد تقارب مع بعض أكراد العراق مع إسرائيل بشكل جذري خلال العلاقات القائمة بين الجانبين بشكل علنيّ، بعد أن كانت تلك العلاقة تمر بشكل سرّيّ بين الجانبين، لتصبح تلك الفئة من الاكراد تنظر اليها من الاغلبية الكردية بنظرة غير المرغوب بهم، جراء تحالفهم مع الجانب الإسرائيلي ولوضوح النظرة العامة للمكون الكردي تجاه إجراء علاقة وطيدة مع إسرائيل.

ليعود ذلك لعدة أسباب أهمها تورط الجانب الإسرائيلي في عملية اعتقال القائد عبد الله أوجلان بالتعاون مع قوات تركية، وذلك لكون الشخص الذي يشكّل خطراً على المشروع الإسرائيلي الذي يسير بمساندة حقيقة من تركيا التي اعترفت منذ آذار عام ١٩٤٩ بقيام دولة إسرائيل الأراضي الفلسطينية، ليكون أوجلان وقواته خطراً محتدماً على ذلك المشروع الذي كان منافياً، لمبدأ حزب العمال الكردستاني.

افتتاح مراكز مشتركة في سوريا

منذ حركة إعادة البناء والتقييم وتصحيح المسار ووضع البرنامج السياسي اليساري عام ١٩٦٥، من جانب الحركة الوطنية الكردية السورية تم التوجه ومنذ بداية انطلاقة الثورة الفلسطينية نحو حركة التحرير الفلسطينية حيث

يتضمن التراث الكردي – المدون والشفاهي – العديد من الإشارات والمناسبات التي تعبر عن التعلق الروحي بالقدس الشريف.

بادر الطرفان إلى إقامة العلاقات والصلات في سورية ولبنان من منطلقين أساسيين:

الأول: لإيماننا بالتآخي القومي بين العرب والكرد والتعايش والمصير المشترك ولكون القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للشعب العربي في كافة أقطاره، أي كنا نعتبر العلاقة مع الحركة السياسية الفلسطينية كتجسيد نضالي للعلاقات الكردية العربية، خاصة وأن الساحتين السورية والعربية عموماً كانت تفتقر إلى حركات ديمقراطية ذات توجّه تتقبل الوجود الكردي وتعترف بحقوقه المشروعة.

الثاني: بسبب ذلك النهوض العارم للحركة الوطنية الفلسطينية، وبرنامج منظمة التحرير الفلسطيني وفصائلها الوطني الديمقراطي ذو الأبعاد الأممية والإنسانية المعادية للإمبريالية والصهيونية، تلك الحركة التي تحوّلت إلى مركز لكافة أحرار العالم وقوى التحرر والتقدم لمختلف الشعوب والقوميات.

وأفاد أحد حضور تلك الجلسات بأنه منذ اللقاءات الأولى مع قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، وبمختلف تياراتها وميولها وتنظيماتها دون استثناء شعرنا بالارتياح الكامل لأسباب عديدة أولها رغم تردّدنا وتخوفنا من طرح قضيتنا بشكل كامل وصريح فاجأنا الطرف المقابل بموقف متفهّم وقابل لحقوق الكرد بما فيها حق تقرير المصير وشعور مفعم بالعاطفة الأخوية واطّلاع مفصل على حالة الأكراد ومأساتهم في جميع أجزاء كردستان.

كما فاجأنا الطرف الكردي بشعور مطابق لمشاعرنا حول تاريخنا المشترك ومفخرة صلاح الدين، والتأكيد على وجود أقلية كردية في فلسطين يتميز أبناؤنا بالنضال والشجاعة، ووجود بعضهم في سلم القيادات الأولى و نوّه أنّ ذلك اللقاء الأوّل سجل اندفاعاً نحو الحركة الكردية وهذا ما أتى خلال الكونغراس الشهير الخامس من آب لعام ١٩٦٥ خاصة وأنّ طلاب جامعة دمشق شاهدوا وسمعوا خلال محاضرات لقيادات فلسطينية بأن هناك شعب كردي وحركة كردية وحقوق كردية بما فيها حق تقرير المصير، حيث ظهر خطاب سياسي جديد للحركة الوطنية العربية بشأن القومية الكردية أكثر تقدماً وأوضح هدفاً وأعمق فكراً بعد أن كان الخطاب السائد من جانب التيارات الأخرى في الحركة العربية – البعثية، والناصرية، والإسلامية، والشيوعية – يتجاهل وجود الشعوب والقوميات الأخرى وخاصة الشعب الكردي وخاصة في سورية والعراق.

النظرة الكردية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية

عكس العديد من الكتاب الكرد بأنّهم ينظرون إلى منظمة التحرير الفلسطينية بأنّهم يرون أنّها كانت تلعب في حقبة حكم الرئيس الراحل أبي عمار بوضع مرحلة جديدة في العلاقات العربية – الكردية وكانت بداية الانفتاح العربي غير الرسمي على الكرد وحركتهم التحررية.

مقابل ذلك وبسبب دور التيار السياسي الكردي القريب من القضية العربية والذي كان في موقع المحرك فيه، وصل التنسيق مع الجانب الفلسطيني إلى درجات راقية من العمل المشترك والتفهم المتبادل والاعتراف بحقوق البعض بصورة متكافئة، إلى درجة توجه اليسار الكردي من مختلف أجزاء كردستان

في بيروت إلى حركة المقاومة الفلسطينية بهدف التدريب والاستفادة من تلك الخبرات الثمينة في مجالات حروب الأنصار، والجبهة الوطنية المتحدة، والعلاقات الديمقراطية بين الفصائل والتيارات ضمن الحركة الواحدة، وصياغة البرنامج العلمي الواقعي المناسب لمرحلة التحرر الوطني، ودورات التأهيل الفكري والسياسي والأمني، ودور اليسار في حركة التحرر وخطورة التوجهات المغامرة والتطرف القومي، بالإضافة إلى عملية الانفتاح والتبادل الفكري والسياسي مع العديد من حركات التحرر والأحزاب والمنظمات وخاصة الأحزاب الوطنية اللبنانية، وكذلك ممثلي الدول الاشتراكية سابقاً.

الضغوط المنبثقة عن النظام السوري لتحطيم العلاقة الكردية الفلسطينية

لاحق النظام البعثي السوري منظمة التحرير الفلسطينية بالعديد من المراحل محاولاً العمل على قسم ظهرها خلال القضاء على حركة فتح جرّاء العمليات العسكرية التي قامت بها ضد قيادة المنظمة، وذلك ضمن تمرير مخططات كانت يطمح لتنفيذها حافظ الاسد في عهد حكمه، وكانت تلعب القيادة السورية بقطع التواصل بين المنظمة والقيادة الكردية لكونها كانت تحشى نهضة الكرد ضد السياسية القمعية التي ترتكب ضدهم من قبل قوات النظام.

وليقوم النظام بطرد العديد من قيادات المنظمة من الأراضي السورية، وذلك بعد الملاحقة الإسرائيلية لأفراد المنظمة في بيروت، واندلاع سلسلة عمليات اغتيالات لعدد من الشخصيات البارزة، وبالمقابل تواجد ردّ من قبل الثوار داخل الأراضي المحتلة، ليكشف أحد الرجال الثوار الذي رفض الكشف عن هويته أنّ بعض العمليات كانت تنفّذ بتواجد لبعض الأفراد الكرد لوضع مخطط تنفيذ تلك العملية، وكان يوجد مقر الاجتماعات على

فإنّ العلاقات الكردية الفلسطينية تحتل موقع الصدارة وتأخذ منها موقع القلب

الحدود الأردنية الفلسطينية أو الحدود اللبنانية الفلسطينية.

الوساطة الفلسطينية العراقية للمكون الكردي

وبسبب شعور قيادة منظمة التحرير بمسؤوليتها القومية تجاه الكرد فقد حاولت في مراحل مختلفة القيام بدور الوسيط لإيجاد حلول سلمية بين الحركة الوطنية الكردية العراقية والحكومات العراقية المتعاقبة، وحقّقت خطوات، وفي بعض المراحل وبالتنسيق مع الجبهة الكردستانية في العراق، كما أنها وانطلاقاً من نفس المشاعر قطعت الطريق في أوقات عديدة على مخططات ومشاريع كانت تهدف إلى توطين فلسطينيين في مناطق كردية في سوريا والعراق، وهناك وثائق تدلّ على صحة تلك المعلومات، لكنّ حتى اللحظة يتم حجب تلك الوثائق.

وتمحورت كافة المحاولات من أجل أن تبقى العلاقات بين الشعبين سليمة وأخوية وبعيدة عن القهر والتصادم والاقتتال. وضد مخطّطات التعريب التي حاولت حكومات عربية (في سوريا والعراق) تنفيذها.

العلاقة الكردية الفلسطينية المعاصرة

خلال متابعة كافة المراحل السابقة يتضح أنّ العلاقة الكردية الفلسطينية لم تمرّ بأيّ حالة من القطيعة أو التوتر في العلاقة، وذلك يعود

الحركة الوطنية الفلسطينية تحوّلت إلى مركز لكافة أحرار العالم وقوى التحرر والتقدم لمختلف الشعوب والقوميات

لتجذر العلاقة الفكرية، ولطبيعة العلاقة القائمة بين الشعبين، ولكونها ليست علاقة مصالح، بل علاقة ترابط قضية وأيديولوجية فكرية.

فالتواجد العسكري لضباط أكراد من سورية والعراق في المعارك الفلسطينية منذ النكبة حتى استشهاد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات جعل من المشهد كشعب واحد يقف في خندق واحد للدفاع عن هدف واحد.

وبعد عودة قيادة منظمة التحرير إلى الوطن وإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية ظلت وفيّة لمبادئها تجاه العلاقة الكردية الفلسطينية وشهدت علاقاتنا الثنائية نقلة نوعية جديدة بافتتاح مكتب للحركة الكردية بفلسطين واعتباره وبعد التوصل إلى الحل النهائي الرسمي وإعلان الدولة الفلسطينية المستقلة كممثلية ذات صفه رسمية لحركة التحرر الوطني الكردية.

كما بادر الرئيس ياسر عرفات إلى رعاية المؤتمر التأسيسي لجمعية الصداقة الفلسطينية-الكردية التي أقيمت في صيف ١٩٩٩ في رام الله وهي أول جمعية صداقة عربية كردية في العصر الحديث، حيث قابله الجانب الكردي بإقامة أول جمعية صداقه كردية عربية في أربيل بكردستان العراق في عام ٢٠٠٠.

إن علاقات الصداقة والتعاون القديمة والمتطورة بين الحركتين الكردية والفلسطينية ستظل قاعدة راسخة ومتينة في صرح العلاقات الكردية-العربية التي تحتاج إلى إعادة البناء على أسس سليمة من جانب قوى الشعبين الوطنية والديمقراطية على درب التعايش السلمي والمستقبل الزاهر والتضامن الأخوي.

الأصالة الكردية خالدة بعقول مناضلي الثورة الفلسطينية

الكاتب والمحلل السياسي وأحد رجال الثورة الفلسطينية هاني حبيب قال: إنّ تجربتي مع رفاق أكراد في مرحلة النضال الفلسطيني كانت فريدة من نوعها، ففي عام ١٩٨١م عدت في خدمة ثورية في بيروت، وأرسلت الى منطقة الدامور وتعرفت على مجموعة من الرفاق وتعرّفت على أحدهم، وكان اسمه عبد الله و كان يتكلّم العربية بصعوبة.

وكان يلقب بعبد الله التركي، واجتمعنا معاً، فتتبيّن أنّه يستاء من اللقب الذي يُطلق عليه، وقال: أنا كردي فأحببت أصالة فكره، وكان متعلّماً جدًّا وصاحب فكر تحرّري ثوري نموذجي وكان تعامله مثل فكره النموذجي.

مما ترك لدي طابعاً إيجابيّاً عن الشخصيات الكردية، وتبين لي نتيجة اجتماعي بالرفاق الفلسطينيين أنني لست الوحيد صاحب النظرة الإيجابية، لكون كل رفيق كان لديه أكثر من رفيق كردي يضرب به المثل و يفتخر به.

علما أنّ المناضلين الأكراد كانوا أصحاب ولاء للقضية الفلسطينية، كأنهم أصحاب القضية وهذا ما كان يجعلنا الأقرب بيننا وبينهم، وكانوا الأكثر دفاعاً في الساحة وأنّهم يمتازون بالبنية الصلبة والمعرفية.

وأنّ الفن الشعبي الكردي جعلني أشعر التوأمة الكردية الفلسطينية، وبتواجد التقارب في العادات والتقاليد والأهازيج والموسيقا والاغاني الثورية التي تعكس جوهر قضيتهم التي لا تعكس جوهر قضيتنا، رغم اختلاف اللغة، لكن القلوب والهموم والفكر تسير في طريق واحدة؛ الحرية من أجل التحرر.

الكُردي ضِيا گُوك ألْپ فيلسوف (القومية التركية)

د. أحمد محمود الخليل

في القرن العشرين، أثّر مفكّران كُرديان من شمالي كُردستان، تأثيراً بالغاً في تركيا ثقافياً وسياسياً واجتماعياً، وما زال تأثيرهما مستمرّاً إلى الآن:

الأول: هو محمّد فاتح ضِيا، المشهور بلقب (ضِيا گُوك أَلْپ) Gökalp، وهو فيلسوف (القومية التركية) في صيغتها الطورانية.

والثاني: هو الشيخ سعيد نُورْسي، واشتُهر بلقب (بديع الزمان)، وهو مفكر (الأمية الإسلامية)، وصاحب (حركة النور).

ومحمد فاتح ضِيا هو موضوع دراستنا هذه

ولد محمد فاتح ضِيا في مدينة چَرْمِك Çermik التابعة لولاية آمَد (دياربكر) يوم ٢٣ أكتوبر ١٨٧٦م، وهو من كُرد زازا، واسم أبيه محمّد توفيق أفندي، واسم والدته زَليخة خانم. والجدير بالذكر أنّ مدينة آمَد ورثت اسمها من الميديين (ميد/ماد/مَد)، وهم فرع من أسلاف الكُرد، أمّا (دياربكر) فكان اسماً للمنطقة الإدارية التابعة لولاية آمَد في العهود الإسلامية قبل العهد العثماني، وحينما احتلّ العرب

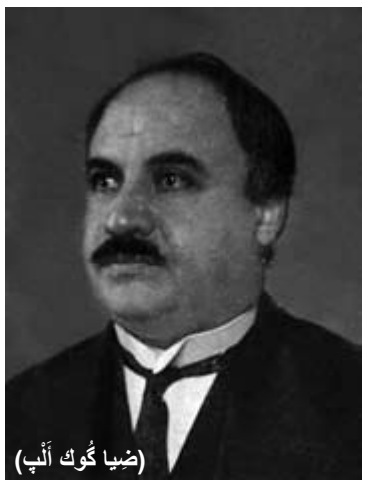

(ضِيا گُوك أَلْپ)

المسلمون منطقة آمَد جعلوها مراعي خاصة لقبائل بَكْر، فسمّيت (ديار بكر)، وفي العهد العثماني حلّ

(جانب من سور مدينة آمد)

اسم (ديار بكر) محلَّ اسم (آمد) في الوثائق الرسمية وفي المراجع.

وقد بدأ محمد ضِيا دراسة العلوم الدينية التقليدية والتصوّف، ودرس اللغة العربية واللغة الفارسية عند عمّه المدرّس حاجى حسيب بگ، وفي سنة ١٩٨١، تعرّف في آمَد على عبد الله جَوْدَت بگ، وهو طبيب ومفكّر وشاعر كُرديّ، من مؤسّسي جمعية (الاتحاد العثماني) سنة ١٨٨٩، وكانت مناهضة للسلطان عبد الحميد الثاني، وتأثّر محمد ضِيا بأفكاره، وجدير بالذكر أنّ هذه الجمعية أصبحت بعدئذ باسم (جمعية الاتحاد والترقّي)، وقامت بانقلاب ١٩٠٨، وأجبرت السلطان عبد الحميد الثاني على التنازل عن السلطة لأخيه محمد رشاد سنة ١٩٠٩م، ثمّ انسحب عبد الله جَوْدَت من الجمعية، بعد أن أصبحت حركة شوفينية معادية للقومية الكُردية.

وكان محمد ضِيا يريد استكمال دراسته في إستنبول، فلم يستطع بسبب الأزمة المادّية (المالية)، وضغطت عليه عائلته ليتزوّج، فأقدم على الانتحار وهو في الثامنة عشرة من العمر (حوالي سنة ١٨٩١)، وأطلق رصاصة على رأسه، وأجرى له الطبيب عبد الله جودت، مع جرّاح روسي كان في آمَد، عملية جراحية بدون تخدير، واستخرجا الرصاصة من رأسه. وفي سنة ١٨٩١ نفسها بدأ محمد ضِيا دراسته في المدرسة الثانوية العسكرية في آمد، وتوفّي والده بينما كان في عامه الدراسي الأخير.

وفي سنة ١٨٩٦، انتقل محمد ضِيا إلى إستنبول، وكان أخوه نِهاد طالباً في مدرسة أَرْزَنْجان العسكرية، فساعده على أن يدرس في مدرسة الطب البَيطري، لأنّ الدراسة فيها كانت مجّانية، وفي إستنبول التقى بكل من إسحاق سكوتي (كُردي من آمَد)، وإبراهيم تيمو (من أصل أرناؤوطي/ألباني)، وكانا من أعضاء جمعية (الاتحاد العثماني) التي سبق ذكرُها، وكانت جمعية سرّية، تنشط في الكلية الطبية العسكرية، وأصبح محمد ضِيا عضواً فيها، وفي سنة ١٨٩٨ اعتُقل بسبب نشاطه السياسي

السري الممنوع، وسُجن عشرة أشهر، وقيل: سُجن مدّة سنة.

وبعد إطلاق سراحه، نُفي محمد ضِيا إلى آمَد سنة ١٩٠٠، من غير أن يستكمل دراسته في الطبّ البيطري، وتوفّي عمّه حاجى حسيب بگ، وتزوج ابنة عمه؛ وجيهة خانم بناءً على وصيّة عمّه، وأنجب منها ابناً اسمه؛ (سادات)، وثلاث بنات؛ هنّ (سانيها، حرّية، تُوركان). وعمل في وظائف متدنّية حتى سنة ١٩٠٨، وكان يعيش حياة رغيدة معتمداً على ممتلكات زوجته، وكان يمارس نشاطاته السياسية سرّاً.

وبعد نجاح ثورة سنة ١٩٠٨ التي قامت بها (جمعية الاتحاد والترقّي)، وإجبار السلطان عبد الحميد الثاني على إصدار الوثيقة الدستورية الثانية، اتّخذ محمد ضِيا الاسمَ الرمزي (گُوك أَلْپ) Gökalp، وهو اسم تركي مؤلف من مقطعين (Gök أي: سماء) و(alp أي: بطل)، ومعنى الاسم؛ (بطل السماء/المحارب السماوي)، وصار يُعرَف باسم (ضِيا گُوك أَلْپ) أو (زِيا گُوك أَلْپ).

وقد أسّس ضِيا گُوك أَلْپ فرعاً لـ (جمعية الاتّحاد والترقّي) في آمَد، وأصدر جريدة (بايمن)، وفي سنة ١٩٠٩ حضر مؤتمر (الاتحاد والترقي) المنعقد في سالونيك كمندوب عن آمَد، واختير عضواً في هيئة إدارة فرع الجمعية في سالونيك، وأصبح رئيس القسم الخاص بأمور الشباب في ذلك الفرع، وقام بتدريس الفلسفة وعلم الاجتماع للشباب.

وخلال ذلك كتب ضِيا گُوك أَلْپ مقالات عديدة في مجلة فلسفية، وركّز على ضرورة تأسيس دولة تركية قوية، تجمّع الأتراك في العالم

يُعرف عن ضِيا گوك أَلْپ بأنه أبو القومية التركية و المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع التركي

أجمع. وفي سنة ١٩١٢، نُقلت إدارة الجمعية إلى إستنبول، وانتقل إليها ضِيا گُوك أَلْپ، واختير نائباً في مجلس النوّاب عن مدينة مادَن (مَعْدَن) التابعة لولاية آمد، وحينما أُقفل مجلس النواب بعد أربعة أشهر عمل مدرّساً في كلية الآداب بجامعة إستنبول.

وفى الفترة بين (١٩١٣ – ١٩١٤)، لم يقبل ضِيا گُوك أَلْپ تعيينه موظفاً في وزارة التربية والتعليم، واستمرّ يدرّس في الجامعة. وفي سنة ١٩١٥ عُيّن مدرساً لعلوم الاجتماع في قسم الفلسفة بجامعة إستنبول، وبفضله دخل تدريس علم الاجتماع إلى تلك الجامعة أول مرة.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وسيطرة (الحلفاء) على إستنبول، اعتقل الإنكليز ضِيا گُوك أَلْپ أربعة أشهر سنة ١٩١٩، وحوكم بتهمة (إبادة الأرمن)، ونفى ضِيا گُوك أَلْپ تلك التهمة، ونُفي مع بعض زملائه من جمعية (الاتحاد والترقّي) إلى جزيرة مالطا، وبقي في المنفى سنتين، قام خلالهما بتعليم زملائه الفلسفةَ وعلمَ الاجتماع، وطوّر أفكاره الخاصة بـ (القومية التركية) Turkism، وعاد إلى تركيا في ربيع سنة ١٩٢١، لكن لم يُسمَح بالعودة إلى التدريس في جامعة إستنبول، فعاد إلى مدينة آمَد، وشرع

الليبرالية الأوربية ـ كنظام اجتماعي ـ لا تحقق التماسك الوطني، بل تشجّع الفردية والانعزالية

يدرّس علم الاجتماع وعلم النفس في المدارس الثانوية، وبدأ بنشر بعض كتاباته في الصحف اليومية الرئيسة في إستنبول وأنقرة.

وفي نهاية سنة ١٩٢٢، استُدعي ضِيا گُوك أَلْپ إلى أنقرة للإشراف على إدارة لجنة التأليف للترجمة والنشر في وزارة التربية والتعليم، وبدعم من مصطفى كمال آتاتورك عُيّن نائباً في الجمعية الوطنية الكبرى الثانية، وعمل في لجنة التعليم الخاصة بإصلاح النظام المدرسي، وفي المناهج الدراسية، إضافةً إلى المشاركة في صياغة دستور سنة ١٩٢٤، وترجمةِ بعض الموضوعات الثقافية إلى اللغة التركية، وتوفّي في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٤، ودفن في مقبرة السلطان محمود الثاني.

فيلسوف (القومية التركية

عُرف ضِيا گُوك أَلْپ بأنه «أبو القومية التركية»، وفي سنة ١٩٣٦ وصفه عالم الاجتماع التركي نيازي بركس Niyazi Berkes بلقب «المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع التركي»، تُرى، كيف أصبح هذا الكُردي فيلسوفَ (القومية التركية)؟

تأثّر ضِيا گُوك أَلْپ بالفكر الأوربي الحديث، ولا سيّما بأفكار عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم Émile Durkheim (١٨٥٨ - ١٩١٧)، وترجم مؤلفاته إلى التركية، وقد توصّل إلى الاعتقاد بأن الليبرالية الأوربية- كنظام اجتماعي- لا تحقق التماسك الوطني، بل تشجّع الفردية والانعزالية، وتقلّل من دور الدولة في تنظيم حياة المجتمع، وأنّ حياة الجماعة أهمّ من حياة الفرد، حسبما كان دوركهايم يرى أيضاً.

ورفض ضِيا گُوك أَلْپ مبدأ (الرابطة العثمانية) ومبدأ (الرابطة الإسلامية)، ودعا إلى (القومية التركية) والهويةِ الطورانية، وتتريكِ شعوب الإمبراطورية العثمانية، وذلك بتعزيز اللغة التركية والثقافة التركية لدى المواطنين العثمانيين. وبعد عودته من المنفى في مالطا إلى إستنبول، أصبح من مؤسّسي «ترك أوجاغى»

(قبر ضِيا گُوك أَلْپ)

أي (العرق التركي)، وفيلسوف (الآيديولوجيا التركية العالمية) أي (پان- طوران) Pan-Turanianism ، ودعا إلى (عَلمنة تركيا) فكرياً، وكان يؤيّد مصطفى كمال آتاتورك بقوة وحماس، وأُعجب آتاتورك بأفكاره، وحوّلها إلى سياسات عنصرية، وكان الكُرد أكثر ضحاياها.

ومن أفكار ضِيا گُوك أَلْپ أنّ هوية الأمة لا تتأسّس على الانتماء إلى العِرق الواحد، أو على وحدة الجغرافيا، ولا على الإرادة السياسية، وإنما تقوم على المشترَك الديني، والأخلاقي، والثقافي، ورأى أنّ كلّ هذه الأسس تتشكّل بتأثير التربية، وقد قال: «تعلّمت من خلال دراستي السوسيولوجية أن الجنسيّة تعتمد على التربية قط».

واعتقد ضِيا گُوك أَلْپ أنّ الأمّة يجب أن يكون لها «وعي مشترَك» كي تبقى، وأن الفرد يصبح مواطناً أصيلاً في أمّته من خلال تجسيد ثقافتها. واعتقد أيضاً أنّ الشعب في الدولة الحديثة يجب أن يصبح متجانساً من حيث الثقافة والدين والهوية القومية، وكتب في مقال له سنة ١٩١١ أن «الأتراك هم الشعب السوپرمان، يقصد الإنسان الأعلى (المتفوّق) الذي ذكره الفيلسوف

الشيخ سعيد بيران وأصحابه أسرى في قبضة الترك سنة ١٩٢٥

من أفكار ضِيا گوك أَلْپ أنّ هوية الأمة لا تتأسّس على الانتماء إلى العِرق الواحد، أو على وحدة الجغرافيا، ولا على الإرادة السياسية، وإنما تقوم على المشترَك الديني، والأخلاقي، والثقافي

الألماني فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (١٨٤٤ - ١٩٠٠) في كتابه «هكذا تكلّم زرادشت».

ودعا ضِيا گُوك أَلْپ إلى ثقافة التنوير الأوربية، وإلى الحرية الدينية، وتنبّأ في سنة ١٩٠٠ بزوال الدولة العثمانية، ودعا بقوة الي إلغاء الشريعة وإقصاء المحاكم الدينية عن شؤون المجتمع، وإحلالِ المحاكم المدنية الحديثة محلَّها. وإنّ من يدرس سيرة آتاتورك السياسية يجد أنّه تبنّى جميع أفكار گُوك أَلْپ، وحوّلها إلى سياسات في الدولة التركية.

ولم يكن ضِيا گُوك أَلْپ مفكّراً في علم الاجتماع فقط، بل كان شاعراً بارزاً، ووظّف شعره لخدمة آيديولوجيا (القومية التركية)، ولإحياء النمط الشعري التركي ما قبل الإسلام. وفي سنة ١٩١١، قال في قصيدة له بعنوان (طوران):

«**بالنسبة للأتراك، الوطن يعني لا تركيا ولا تركستان.**

الوطن هو بلد كبير والأبدي – طوران».

وفي سنة ١٩٢٣، أي قبل وفاته بسنة، أصدر ضِيا گُوك أَلْپ أفكاره بشأن (القومية

(تمثال ضِيا گُوك أَلْپ في آمد)

التركية) في كتابه: «مبادئ التركية»، ويرى عدد من المؤرخين وعلماء الاجتماع أن أفكاره ساهمت في عمليات (الإبادة الجماعية للأرمن)، وكان المفكّر السوري ساطِع الحُصَري ممّن تأثّر بأفكار گُوك أَلْپ، وجدير بالذكر أن ساطع الحصري هو أبرز المفكرين القوميين العرب في النصف الأول من القرن العشرين.

وقد أنجز گُوك أَلْپ حوالي أربعة عشر مؤلّفاً، منها: «الضوء الذهبي»، و«التقاليد التركية»، و«الطريق الصحيح»، و«مبادئ القومية التركية»، و«تاريخ الحضارة التركية»، و«القومية التركية بين الإسلام والمعاصرة»، و«تاريخ القبائل الكُردية»، و«التفاحة الحمراء-شعر»، و«ملحمة الازدهار»، و«الثقافة والحضارة».

هذه سيرة أحد المفكّرين الكُرد الذين تنكّروا لهويتهم الكُردستانية، وأداروا ظهورهم للقضية الكُردية الأساسية (وطنٌ محتلّ، وشعبٌ مستعمَر)، وليس هذا فحسب، بل إنّه أصبح فيلسوف القومية التركية بصيغتها الشوفينية، وأصبحت فلسفته بلاءً على الأمّة الكُردية، وما زال الكُرد إلى الآن يعانون من السياسات التي أنتجتها تلك الفلسفة. وهذه واحدة من الغرائب العديدة في تاريخ كُردستان.

المراجع:

- جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص ٣٥٢ – ٣٥٣.
- گراهام ڤاولر وآخرون: القضية الكوردية في تركيا، ص ١٦.
- Turkay Salim Nefes ‹Ziya Gökalp's adaptation of Emile Durkheim's sociology in his formulation of the modern Turkish nation› International Sociology May ٢٠١٣ vol. ٢٨ no. ٣٥٠-٣٣٥ ٣.
- Taha Parla: The social and political thought of Ziya Gökalp : ١٩٢٤ – ١٨٧٦. Leiden ١٩٨٥
- Mihran Dabag: Jungtürkische Visionen und der Völkermord an den Armeniern, in: Dabag / Platt: Genozid und Moderne (Band ١), Opladen ١٩٩٨. ISBN ٨-١٨٢٢-٨١٠٠-٣

العلاقات الكرديّة الفارسيّة(تاريخياً)

أمير كريمي

مدخل:

ربّما يكونُ إظهارُ العلاقات ما بين الكُرد والفُرس صعباً شيئاً ما، وذلك لأسبابٍ عدّة. ومن الصعب الحديثُ عن تلكَ العلاقات دونَ أن يظهرَ تأثير الإيديولوجيّات الحديثة على تلك العلاقات، هي ستظهرُ حتماً، لكننا نأملُ أن تكونَ الرؤيا قريبةً من الحقيقة.

كلّما كانتِ العلاقاتُ قديمةً أو تاريخيّة احتاجتْ إلى دراساتٍ تاريخيّة، حسبَ روح ذاك العصر. هذا يجعلُ العملَ صعباً نوعاً ما، وثمّةَ مشكلةٌ في المصادر أيضاً، إذ لا توجدُ موثوقاتٌ كثيرة، هناكَ مصادرٌ يونانيّة وبعض المصادر التي تعودُ للنظام أو السُلطة الإيرانيّة.

تاريخُ إيرانَ غامضٌ، ثمّةَ نقاط كثيرة مُبهمة فيه، مكتوبٌ بنظرةٍ عنصريّة، وخلفهُ أهدافٌ سياسيّة، كُتبَ في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهمّشَ كثيراً اللونَ غير الفارسيّ، وهذا يخلقُ صعوبةً في الدراسة.

ربّما ما يمكننا القيامُ بهِ هو أسلوبُ تحليل التاريخ بنظرةٍ مختلفة، كما بيّنهُ القائدُ أوجلانُ، حيثُ فصلَ ما بينَ تاريخ السُلطة والشعوب. وإذا ما مشينا على خُطا تلك التوجيهات التاريخيّة، نستطيعُ أن نفهمَ العلاقاتِ الفارسيّة الكرديّة.

ونستطيعُ إيجازها بعدّة مراحل: المرحلة التاريخية القديمة (التي نشأ فيها المجتمعُ الطبيعيّ)، ومرحلةُ تأسيس النظام السياسيّ (مجيء الإسلام) والتي قلّصتْ من السلطة الفارسيّة، ومرحلة العصر الحديث (والتي بُنيت فيها السلطة على أساس القومية). وبإمكاننا أن نقيّمَ تلك العلاقات في كلّ مرحلةٍ على حدا.

المرحلة الأولى(المرحلة التاريخيّة القديمة):

ونستطيعُ أن نسمّيها(مرحلة الاشتراك)، هي مرحلةُ بناء الحياة والمجتمع الطبيعيّ، وكان لجبل زاغروس دورٌ مهمّ فيها، إنه العمودُ الفقريّ لإيرانَ. الثقافةُ الأمّ في إيرانَ أساسها في جبال زاغروس، هناك الكثيرُ من الآثار عمرها أكثر

جبالُ زاغروس كانت المُتنفَّس في مقابل استبداديّة الساسانيين، وكانلكل من الحركتين المانوية والمزدكية دورٌ مهم في إضعاف الأطر السياسية الساسانية.

من عشرة آلاف سنة. إنّ ما يجمعُ بين الشعوب هناك (كور- لور- فرس) أنهم من منشأ وأصولٍ زاغروسيّة، إنها حتى وقتٍ طويلٍ في التاريخ ما كانت تُحسبُ كأقوامٍ أو شعوبٍ منفصلة، بل كانت تجري في ثقافةٍ واحدةٍ، نهرٍ واحدٍ، هو الزابُ العريقُ، صاحبُ الثقافة المشتركة. إنّ جغرافيّة زاغروس تُعدّ كمرجعٍ ثقافيّ أو مصدرٍ للثقافة الأمّ. إنها ثقافةٌ قرويّةٌ غنيّة، العشائرُ كانت موجودةً هناكَ كمجموعاتٍ مستقلّة، لكلٍّ خصوصياتها، غيرَ أنها كانت تشكّلُ (اتّحاداً) بجانب بعضها، وعلى أساس العهد(لا على أساس غلَبة أحدهم على الآخر)، عهدٌ في إطار الحماية المُشترَكة، وحلّ المشكلات الداخليّة بنفسها. الأسلوبُ كان (ريادة أو قيادة مشترَكة)، وكان تقليداً أو سُنّةً ضمن الحياة الزاغروسية. المئاتُ من العشائر والقرى كانت تعيشُ هناك ضمنَ جغرافيّةٍ واحدة كـ(شعبٍ اتّحادي). ذاكَ الاستقرارُ والثقافةُ الغنيّة كانت سبباً أن يقفزَ المجتمعُ قفزاتٍ مهمّة.

لم يكن يوجدُ مفهوم القوميّة، وفي الميثولوجيا وخاصةً الشهنامة، يردُ ذكر(إدارات محليّة)، قرىً وعشائر لها نظام مجتمعي طبيعي. تلكَ المجموعاتُ كانت مشترَكة في زاغروس في غناها، في حمايتها، في كلّ شيء. وقد هاجمتها دولٌ وإمبراطوريّاتٌ كـ(بابل وآشور) والتي ارتكبتْ بحقّها المجازرَ. في مقابل ذلكَ كان الاتحادُ يحمي نفسَهُ. اتّحادُ ميديا ضمّ تحتَ مظلّتهِ كلَّ شعوب تلك المنطقة، وبقيادة قوم (الميد) أجداد الكُرد.

حتى تلك الفترة، في جميع المصادر (آشورية، بابلية) لم يُطلَق على قومٍ ما مباشرةً اسمَ فارس، فقط كانت منطقةٌ تُسمّى باسم (بارسو)، قربَ نهر أورمية، المكانُ الذي تقيمُ فيه محافظاتُ فارس اليومَ.

بعد ذلكَ، قوّتْ قبائلُ فارسَ نفسَها، سياسياً وعسكريّاً، ودخلتْ علاقاتُ الكرد والفرس هناك مرحلةً تاريخيّةً أخرى. إذ تدخلُ أسرةٌ فارسيّةٌ السُلطةَ السياسيةَ باسم العائلة (الأخمينيّة)، تستلمُ السلطةَ من ميديا وتستحوذُ عليها، ويتغيّرُ النظامُ بشكلٍ جذريّ في ذاك العهد، ويضعفُ الاتحادُ شيئاً فشيئاً.

السُلطةُ السياسيةُ تبني دوماً ثقافةً خاصةً بها، الثقافةُ الزاغروسيةُ غنيّةٌ، لكنّ السلطةَ السياسيةَ تحاولُ أن تفصلَ بين (الميديين والفارسيين). فيخفّ دورُ الميديين نتيجةَ المجازر التي قامت بها السلطةُ الإيرانية.

وتركتِ (السلطةُ المركزيةُ الإيرانية) تأثيرها، حتى في الزمن الإسلامي، حيثُ ذهبت باتّجاه المركزيّة.

في وقت الساسانيين برزتِ السُلطة السياسية- العسكرية- الدينية معاً، وغلبَ عنصرُ الدّين.

في زمن الساسانيين هناك نقاطٌ مهمّة نستطيعُ أن نقفَ عندها، من الناحية الثقافية أو اللغويّة، فنحنُ لا نستطيع أن نفصلَ العنصرين الفارسي والميدي. مثلاً، الإيرانيونَ يقولون أن اللسانَ الذي تحدّثَ به الساسانيون هو فارسي بهلوي، لكنّ حقيقةً عندما ننظرُ إلى هذا اللسان نجدُ تقارباً بينه وبين الكوران في شرق كردستان والجنوب، فأهل خانقين وكرمنشاه يتحدثون بها. حتى كلمةُ (بهلوي)، إذا أعدناها إلى العربية تصبحُ (فيولي) أي: فيليّ، وهذا أمرٌ مهمّ. أيضاً في الأدبيات العربية كانوا يقولون للساسانيين (الفهوليّون)، وهذه نقطةٌ مهمة

أيضاً. لذا لا نستطيعُ أن نفصلَ بينهما. المشاكلُ هي من ناحية السلطة السياسيّة، التي تحوّلت إلى مركزيّة(كلُّ شيءٍ مُلكٌ للشاه).

كما أنّ الحربَ بين إيرانَ والروم بشكلٍ خاصّ كان لها تأثيرها السلبيّ على المجتمع، إذ القسمُ الأكبرُ من الجبهة كان في كردستانَ، نجدُ في تاريخ الساسان أسماءَ كـ(آمد- ماردين- نصيبين)، وهي مناطق إقليم الكرد، التي شاركتْ في تلكَ الحروب.

إضافةً إلى الحرب التي مارستها الدولةُ الزردشتيّة مقابل العقيدة الميترائيّة، فقد ضغطت على المجتمع.

في مقابل ظُلم الساسانيين، لعبَ الشعبُ في إقليم زاغروس دوراً مهماً، فظهرتْ مقاوماتٌ كبيرة، مثل(المانويّة) وهي حركة دينية اجتماعية كمقابل للسلطة السياسية المذهبية الساسانية. أيضاً الحركة المزدكية التي ظهرت مقابل الظلم الساسانيّ والدين الرسمي الزردشتي، وكان لها تأثيرٌ كبير على المجتمع، حيث قاومت سياسياً وعسكرياً.

فجبالُ زاغروس كانت المُتنفَّس في مقابل ديكتاتوريّة واستبداديّة كبيرة، وكان لتلك الحركتين دورٌ مهم في إضعاف الأطر السياسية الساسانية.

حربُ الساسانيون ضدّ الكرد حقيقةٌ تاريخيّة. الساسانيون كانوا بحاجةٍ إلى قوّة الكرد مقابل حربهم ضدّ الروم، ومن أجل الحُكم على جغرافيّة زاغروس وكردستان، ظهرتْ طبقةٌ خاصةٌ من الكرد تخاطبُ الحاكمَ المستبدّ لكردستان، كي يحكموا باسمهم ويستثمروا القوة الكردية ضمن يدهم. كانتِ الطبقةُ هذه مرتبطةً بمركز السلطة الإيرانية، وكانت تنفّذُ الأجنداتِ في حروب الروم. هؤلاء أثّروا كثيراً في تاريخ كردستانَ، إذ لم يكونوا يعملون بحسب قوة الشعب الكردي، بل يمثّلون السلطة الخارجية وكانوا يعملون مع الساسانيين ومرتبطين بالسلطة المركزية، وهذا أمرٌ أثّر أيضاً في عدم تطوير المجتمع آنذاك.

المرحلة الثانية: مرحلةُ مجيء الإسلام وتأسيس النظام السياسي

بعدها يأتي الإسلامُ، فتنكسر الديكتاتوريّة الساسانية. عواملُ عديدة ساعدتْ على ذلكَ **(نظامهم الأخلاقيّ المُهتريء من الداخل/ والمقاومات المانوية. المزدكية. والمسيحيّة)**، وينفتحُ بابُ إيرانَ أمامَ الإسلام. الإيرانيونَ قبلوا الإسلامَ براحةٍ، الأمرُ كان مختلفاً في مناطق كردستان، فهي لم تقع تماماً تحتَ جناح الزردشتية الرسميّة، حمَتْ ثقافتها. ولمّا جاء الإسلامُ قبلتْ تلكَ الطبقة التي كانت تعملُ مع الساسانيين الإسلامَ وأرادوا أن يستمرّوا في حكمهم، المعتقداتُ القديمةُ بقيتْ وقاومت، منهم الخرّميون، وهم استمرارٌ للمزدكيّة القديمة، كانوا في جبال زاغروس أيضاً.

هم لم يواجهوا الإسلامَ كـ(دينٍ أو إيديولوجيّة)، بقدر ما كانوا ضدّ الخلافة العباسيّة المستبدّة، غير أنهم انكسروا أيضاً. بعدها أضافوا عناصرَ إسلاميّة إليهم، باسم العلويّة في كردستانَ، فظهرت مقاومةٌ شعبيةٌ كمقابلٍ للخلافة والعنصر التركيّ الذي قدّمَ نفسهُ كممثّلٍ للخلافة. وفي تلكَ المقاومة كان دورُ الزاغروسيين الكرد هو الريادي. ففي القرن التاسع عشر وما بعد نظّمتِ التنظيماتُ التي تعملُ باسم العلويّة نفسَها ووسّعت نطاقَها.

إنّ حملاً كبيراً من حماية إيرانَ وعناصرها الأساسية مرتبطٌ بالمقاومة العلويّة تلكَ، وإيرانُ مَدينةٌ لكردستانَ وجبال زاغروس بذلكَ، وهذه حقيقةٌ، فهذه المقاومةُ كانت مشترَكةً وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في العالم الإسلامي وخاصةً في إيرانَ.

فيما بعد عصر الإسلام، ثمّةَ نقاطٌ مشتركة ما بين الكرد والفرس، ومن أهمها: التصوّف، فأصله وجذوره موجودٌ في العقيدة

الميترائية والتي منبعها من جبال زاغروس. برزَ التصوّفُ كـ(حالة ديمقراطية) أمامَ قسوة وجفاف دين الخلافة. فتصوّفُ السهروردي، صاحبُ (حكمة النور) له رموزٌ ميترائية وكان لهُ تأثيرٌ على كل جغرافيّة إيران، وجلال الدين الروميّ وحافظ الشيرازيّ يبرزان بقوة في الأدبيات الفارسيّة، ثمّ في القرنين الثاني والثالث عشر تخرجُ أدبياتٌ غزلية من مفهوم التصوّف، وتؤثّرُ كذلكَ على أدبيات الكرد، مثلاً نرى(ملاّ جزيري) الذي تأثّر بشكلٍ واضح بحافظ الشيرازيّ. وهذا يدلّ على أساسٍ مشتركٍ للتصوّف.

في مفهوم السُلطة الإيرانية الساسانيّة ثمّةَ مفهومٌ راسخٌ هو(تصغيرُ الكرد وشعب زاغروس)، وأمثلةُ ذلك موجودةٌ في الشاهنامة (كتابٌ خاصٌّ يحتوي خيالَ الإيرانيين لإعادة الزمن الذهبيّ لهم)، يردُ ذكرُ الكرد كشعبٍ بعيدٍ عن المدنيّة، متوحّشٌ، هربَ من ظُلم الضحّاك إلى الجبال وابتعدَ عن الحضارة...، بهذه الذهنيّة يُنظَرُ إلى الكُرد وشعب زاغروس.

قسمٌ من الإيرانيين أرادوا إعادةَ السلطة الإيرانيّة القديمة، ولمّا وجدوا أنّهم ما عادوا قادرين على إعادة سلطة الساسانيين بعد الإسلام، عملوا على التوغّل داخل السلطة العربيّة (التي غلب عليها المكوّن التركيّ)، وإجراء تغييرٍ في دواخلها، ونذكرُ هنا القاضي(نظام المُلك)، ومن أهمّ وسائلهم أيضاً كانت مفاهيمُ العلويّة وتقديسهم لآل البيت، وما التشيّعُ الاثنا عشري إلاّ رغبةٌ كامنةٌ لإعادة القدْر الإيراني القديم، إنها تعادي العلويّةَ لتُسخّرها في خدمتها.

المرحلة الثالثة: مرحلة العصر الحديث(والتي بُنيتْ فيها السُلطةُ على الأساس القوميّ)

وفي القرن السادس عشر، وصلتْ غاياتُ إيرانَ أهدافَها، أعادتْ زمنَ الشّاه والسُلطة الإيرانية، لكن بشكلٍ جديدٍ هو(التشيّع الاثني

تعود جذور التصوّف، إلى العقيدة الميترائية والتي منبعها من جبال زاغروس. فتصوّفُ السهروردي، صاحبُ (حكمة النور) له رموزٌ ميترائية

عشري)، فصاغتْ لها ديناً رسميّاً، وأصبغتِ السلطةَ الإيرانيّةَ بمفاهيمَ إسلاميّة، وعلى هذا الأساس أنشأت(الحكومة الصفويّة)- المركزيّة، وألغت إرادةَ الآخر.

القسمُ الأكبرُ من كُرد إيرانَ كانوا من السُنّة، هؤلاء أُعتُبروا كأعداء لهم، وتمّت المجازرُ بحقهم. أمّا الباقي فكانوا من المذهب العلويّ، هؤلاء أيضاً أرادوا أن يدخلوهم تحتَ راية التشيّع الصفوي، وهذه المحاولاتُ لا زالت مستمرّةً. محاولاتُ تغيير إيديولوجيّ للكرد العلويين وتسخيرهم لخدمة أهدافهم السياسيّة. هذا أثّرَ على العلاقات الكرديّة الإيرانيّة. لقد غيّروا من سياساتهم القديمة، واعتمدوا على الكرد العلويين في محاربة العثمانيين، عملوا على انحلال العشائر وتشكيل جيشٍ موحّد، نفوهم إلى خراسانَ، غيّروا بذلك ديموغرافيّة المنطقة في إيرانَ لتثبيت سُلطتهم ولتشتيت باقي الشعوب. كان العصرُ الصفويّ صعباً على الكُرد عموماً، فالكردُ انقسموا إلى قسمين في حربهم(منهم مع العثمانيين ومنهم مع الصفويين).

بعد ذلكَ بدأ في إيرانَ دورٌ جديد، زمنَ الحكومة الزنديّة، والعائلةُ أصلها كرديّ، فـ(كريم خان الزنديّ) له خصوصيّة الثقافة الزاغروسيّة، إذ سمّى نفسَهُ(وكيل الرعايا) ولم يتسمّى بالسلطان أو الشاه. منذ ذلك الزمن (القرن الثامن عشر) وحتى اليوم، لم تشهد المنطقةُ استقراراً ما بين الحكمداريّة والشعب أو حالةً من الديمقراطيّة إلاّ في زمن الزنديين.

نلاحظُ أنهُ حالما تظهرُ الزاغروسيّةُ بروحها، وتؤثّرُ في السياسة، تستطيعُ أن تخلقَ الرفاهَ، الحريّةَ، والاستقرارَ في إيران. هذا أمرٌ مهمٌ وتجربة جيدة كانت في إيران. فكلُّ المجموعات القوميّة وحتى الآن تنظرُ إلى شخصيّة وأخلاق كريم خان الزنديّ بشكلٍ إيجابيّ.

بعدها، وفي القرن التاسع عشر، من المهم أيضاً أن نحلّلَ العلاقات بين الشعوب في إيرانَ، حيثُ برزَ(الغرب) وصارَ لهُ تأثيرٌ عالميّ من خلال الاستعمار الحديث وتطوّر التجارة، فأرضُ الهند صارت تحتَ سلطة الإنكليز، وسطعَ نجمُ الاتحاد السوفياتي كقوّة. هنا ظهرَ الفكرُ الحداثي بين أفراد السلطة الإيرانيّة، وأرادوا إجراء إصلاحات على هذا الأساس، فبعثوا متعلّميهم إلى أوروبا للدراسة، هؤلاء جلبوا معهم فكراً جديداً، فظهرت فكرةُ التعصّب القومي. لقد كان لبريطانيا دورٌ مهمٌ في هذا الفكر الجديد، علماءُ التاريخ الإنكليز جاؤوا إلى إيرانَ، وبحثوا في تاريخ إيران، وكتبوا تاريخهم على أساس أصالة الفرس وتقديس الشاه. إنّ التاريخَ الإيرانيَ المكتوب حالياً ما بُنيَ على أساسٍ علميّ أو تاريخيّ دقيق.

حدث بعد ذلكَ انقلابٌ، قام به قائدٌ عسكريّ، واستلمتِ الحكومةُ البهلويّةُ السلطةَ، ليبدأ في إيران وبمساعدة الإنكليز عصرٌ جديدٌ، قامَ على انكسار كلّ المقاومات(العربية/الكردية). قامت الحكومة الجديدةُ بتثبيت حُكم العسكر وألغتْ باقي الألسنة، منعتِ اللباس الكرديّ والكتابة الكرديّة. وقد صنعتِ الدولةُ القوميةُ الجديدةُ طبقاتٍ برجوازيّة صغيرة على أساس الإيديولوجية، وأقنعتهم أنّ عدمَ إبادة الكرد هو إبادةٌ لإيرانَ، والحقيقةُ عكسُ ذلكَ.

إنّ تنامي مفهوم التشيّع هو أكثر ما أثّر على العلاقات، فالطبقة القيادية الدينيّة خنقتِ المجتمعَ، وكذلك ولايةُ الفقيه المطلق. وصار العنصرُ الكرديّ واجبٌ محوهُ من الناحية السياسيّة، وكافرٌ من الناحية الدينيّة، فتضاعفَ الظلمُ على الكرد، وتمّت المجازرُ بحقّهم . كثيرٌ من القرى أُبيدتْ في مهابادَ، وأُعدمَ شبابُ الكرد بالمئات، وما زالَ جنوبُ كردستانَ يقعُ تحتَ هذا الظلم والاحتلال.

خاتمة :

مقاوماتٌ عديدةٌ برزت سابقاً، غير أنها انكسرت جميعها، ولأسبابٍ عديدة. بيدَ أنّ المقاومةَ الحديثةَ لا زالت قائمةً والكردُ يلعبون الدورَ القياديّ فيها.

إذا ما أردنا أن نعيشَ معاً في إيرانَ(كلّ الاثنيّات والقوميّات) يجبُ أن نزيلَ العنصريّةَ من بيننا، وأن نتجاوزَ تكبُّر إثنية على أخرى، على أساس كشف الحقائق التاريخية، خاصةً في العصر القديم، حينما كانت منابعُ الحياة في جبال زاغروس، ونهر الثقافة الأمّ التي تنبع من هناك وشربَ الكلّ منها.

مهمٌ جداً أيضاً أن نفتحَ بابَ التقارُب، من الناحية الثقافية والسياسيّة. ليكونَ الشكلَ الحديثَ في إيرانَ منفتحاً على جميع الثقافات، كونفيدراليّاً، لا مركزيّاً. وليس الأساسُ إثنيةً واحدةً أو ديناً واحداً. إذا ما انفتحَ هكذا باب، عندها تستطيعُ الثقافةُ الزاغروسيةُ أن تلعبَ دورها الفعّالَ في المجتمع.

إنّ زاغروس حافظةُ تاريخ إيران، وليس على إيران إغلاقُ هذه الحافظة، وما زالَ جزءٌ كبيرٌ من تلك الحافظة محفوظٌ عند الكرد، رغمَ كلّ الظلم الواقع قديماً وحديثاً، وخاصةً في المقاومة الحديثة، إنها تعيشُ بشكلٍ يوميّ هناك.

تستطيعُ إيرانُ أن تصيرَ حديقةً كبيرةً، بكلّ زهورها الملوّنة، ولكن ليس بالإدارة الحاليّة والذهنية القومية الدينية المنغلقة، بل بالعودة إلى طبيعتها الأولى، وتجاوز الذهنية القائمة على النظرة العنصريّة للمسألة الكرديّة .

المغالطات المهنية التي تتلبس زيّ الدعاية السوداء

مصطفى عبدي – فرهاد حمي

تكمن أسباب تزايد الحملة المضادة لمشروع الإدارة الذاتية وتجربتها في شمال سورية، إلى جملة من الدوافع السياسية المحضة، حيث تستثمر بعض الجهات ملفات حقوقية مفتعلة لتمرير مشاريعها على الأراضي السورية دون الإحاطة والتمحيص بملابسات الحرب على الإرهاب وخاصية الدفاع المشروع تبعاً للقانون الدولي والإنساني، وإذا ذكرنا مقاربة وحدات حماية الشعب من الأزمة المندلعة في سوريا عبر خطابها وممارساتها سنلاحظ أنها تلتزم بخطاب وطني واضح بعيد عن التطرف، وتعتمد على الدفاع عن الهوية السورية الجامعة هدفاً محورياً لها، حيث يصل عدد المقاتلين العرب بين صفوف قوات سوريا الديمقراطية لوحدها إلى ٢٣ ألفاً، فضلاً عن التشكيلات الدفاعية من المكونات المسيحية في الجزيرة السورية، ومنذ بداية الأحداث السورية وقفت هذه القوات بالضد من الخطاب الإسلامي المتطرف، والتزمت سياسة الحماية والدفاع عن كل المكونات في مناطق سيطرتها، ورفضت بنفس الوقت التعاون مع النظام السوري الذي ارتكب جرائم حرب على غرار التنظيمات المتطرفة، وخاضت من أجل هذه المواقف حروب ميدانية مع النظام في كل من حلب والقامشلي والحسكة، سقط على إثرها الكثير من المقاتلين في هذه المعارك.

وبالتوازي، لم تسمح وحدات حماية الشعب أن تهيمن الجماعات الإرهابية على المناطق الكردية والعربية في شمال سوريا بغرض تحويلها إلى بؤرة للإرهاب عبر إقامة دويلات إسلامية جهادية تزعزع من خلالها الأمن المحلي والعالمي، ولأن وحدات حماية الشعب سلكت هذا المنحى ولم تذعن للتوصيات الإقليمية المناهضة للمكونات السورية المتنوعة، جرى تسويق حملات إعلامية منظمة من الجهات المعادية دوماً بغرض تشويه حقيقتها وجوهر نضالها مستغلةً في ذلك تحريف الحقائق الميدانية وإدراجها ضمن السياق القانوني المصطنع تناسباً لأغراض سياسية معروفة.

تعتبر وحدات حماية الشعب وقوات سوريا الديمقراطية القوة العسكرية السورية الجامعة التي تناضل في سبيل إرساء القواعد الديمقراطية في عموم البلاد، فهي تؤمن بالتنوع العرقي والطائفي والمذهبي وتكافح الإرهاب العالمي لإحلال السلام والأمن في المجتمع

هذه الحملات زادت وتيرتها عشية التعاون والتنسيق المباشر بين قوات سوريا الديمقراطية «SDF» ومن ضمنها وحدات حماية الشعب «YPG» مع التحالف الدولي ضمن إستراتيجية الحرب على الإرهاب، وتحقيق انتصارات عسكرية بهزيمة الدولة الاسلامية وإعادة المهجرين إلى قراهم وتنظيم الشؤون الخدمية العامة في المناطق المحررة حديثاً من داعش، وذلك باتّباع خاصية الاعتماد على القدرات الذاتية المحلية المتعارضة مع التوصيات الإقليمية المعروفة للجماعات المتحاربة في سوريا، وهذا كان جلياً لدى اجتماع الرئيس المشترك لحزب الاتحاد الديمقراطي «PYD» مع قيادات جهاز المخابرات التركية الذين طلبوا حينها من مسلم جملة من الشروط من بينها الدخول تحت سقف التشكيلات الإسلامية التي تدعمها تركيا.

وهذا ينطبق أيضاً على الترويج لعلاقات الوحدات مع النظام، ومع إيران، فخلال المعارك الدامية مع النظام في مدينة الحسكة ساندت الميليشيات الإيرانية القوات النظامية، كما وأنّها أعلنت مؤخّراً عن خطة لمواجهة وحدات الحماية في الحسكة من خلال تشكيل فيلق عسكري لتجنيد الشباب، وكل هذه المعطيات موثوقة وهي مفتوحة أمام الصحافة الدولية.

وعليه، تصبح تلك الاتهامات المدروسة التي تدخل في غمار توصيف هذه القوات تحت خانة «الإرهاب» تخرج من سياق الصدقية والحجج القويمة المنسجمة مع الوقائع الميدانية، بقدر ما تلبست ثوب خطابات إعلامية مضادة، حيث يكمن المغزى من ورائها تشويه هوية وحدات حماية الشعب التي أوقفت زحف جحافل الإرهاب نحو المناطق الكردية بعد معارك كوباني بصورة خاصة، كما أنّ الرأي العام المحلي والدولي على دراية بوجود خبراء الكثير من الدول الأجنبية العاملة ضمن التحالف الدولي مثل بريطانيا والولايات المتحدة يعملون وينسقون مع هذه القوات ويدركون ماهية هذا التنظيم بتفاصيله الإدارية والتنظيمية على الأرض والذي يعتمد بصورة كبيرة على قدراته الذاتية في التجنيد والتطويع وتأمين الأسلحة وتدريب القوات الميدانية على الفنون القتالية.

تعتبر وحدات حماية الشعب وقوات سوريا الديمقراطية بمثابة القوة العسكرية السورية

الجامعة التي تناضل في سبيل إرساء القواعد الديمقراطية في عموم البلاد بخلاف النظام والفصائل التي تعارضه، فهي تؤمن بالتنوع العرقي والطائفي والمذهبي وتكافح الإرهاب العالمي المتمثل بتنظيم داعش وشقيقاتها لإحلال السلام والأمن في المجتمع.

وكل هذه المعطيات مفتوحة أمام المنظمات الدولية الحقوقية إن شاءت أن تجري زيارات عملية إلى المنطقة وكتابة التحقيقات الميدانية في هذا الصدد، وسبق أن تمكنت المئات من المؤسسات الدولية والإعلامية المتنوعة من زيارة روجآفا- شمال سوريا، ونشرت الكثير من التقارير عبر إسناد شهادات حية ودراسة الحالة ميدانياً، وللبعض منها مقرّات عمل دائمة في روجافا.

هذا وتعمد العديد من المراكز الاعلامية، أو الحقوقية وضمن سياسة ممنهجة لاستهداف التجربة الديمقراطية في شمال سوريا لنشر تقارير بالاعتماد على معطيات ومعلومات وشهادات غير موثقة في نزاهتها أو تكاد تكون مستوحاة من خصوم الإدارة الذاتية الذين فشلوا في تحويل هذه المناطق إلى إمارات إرهابية أو مسرحاً لعمليات النظام السوري المستبد كما جرى في المناطق السورية الأخرى، واعتبارها وثائقَ دامغة تدين وحدات حماية الشعب. ومعظم المعلومات والشهادات تعتمد على الأحداث الماضية أو مجتزئ منها، والتي جرى تكذيبها وتفنيدها مراراً من قبل الجهات المسؤولة والمنظمات والوسائل الإعلامية العالمية حينها، مما يضعها في مشهد انتقاء تكرار الأحداث المفتعلة لغايات تخدم أجندة سياسة صرفة، والمشترك فيما بينهم أنّ غالب الشهادات تحاكي تماماً وجهة النظر الدعائية المضادة عبر التحامل المتعمّد ضدّ قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب منذ انطلاقة الصراع الدمويّ في البلاد وانتشار الجماعات الإرهابية على تخوم المناطق الكردية. فتحتوي على الكثير من الاتهامات دون إعطاء أيّ اعتبار لجملة التعقيدات المتداخلة مع الواقع المتدهور في شمال سوريا، لا يمكن تصوير الوقائع الدامغة في ظل استبعاد مؤثّرات الإرهاب بتشكيلاتها المتنوعة -أحرار الشام وجبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية...إلخ، فضلاً عن خاصية تكوين الجماعات الموالية التي تتّبع مشاريع الجمهورية الإسلامية الإيرانية من جهة، والنظام التركي الذي يسند التشكيلات الإخوانية والسلفية وأحياناً الجهادية حسب المصادر الدولية المتنوعة من جهة ثانية، وذلك باستغلال هذه الأطراف المتناحرة الأحداث الصاعدة في سوريا لصالح مشاريعهما القومية الاستعمارية أو الدينية، وهي مؤثرات تطعن بشرعية القانون الدولي وحقوق الإنسان ليلاً ونهاراً، فضلاً عن انزلاق مناصري كلا الطرفين إلى ارتكاب جرائم حرب. زد على ذلك، أنّهم لا يميزون – أو لا يريدون التمييز- بين المشاريع الدفاعية في مواجهة الإرهاب والتي تفرض قانونياً بوجوب تأمين سياسة أمنية محكمة لتفادي تحويل المناطق والمكونات السورية المتنوعة التي باتت عرضة للهجمات الإرهابية المتوالية، كما أنّ التكتيكات التي تتّبعها هذه الجماعات عبر توظيف الخلايا النائمة المنحدرة من المجتمع المحلي عامل مؤثر من ناحية وجوب تأمين الحماية اللازمة للسكّان المحليين، وكأنهم يريدون أن يبوحوا للرأي العام بما مفاده:

«يلزم أن تستسلم وحدات حماية الشعب أمام هذه الفوضى العارمة دون أن تُتّخذ أي تدابير أمنية احتياطية وفق الصيغة القانونية المتمثلة في الدفاع المشروع».

هذه المقاربات المفتقرة إلى المنهجية

وقّعت وحدات حماية الشعب «صك التزام» في ٥ تموز ٢٠١٤ مع «نداء جنيف»، وهي منظمة غير حكومية دولية تدعم التزام الجماعات المسلحة بقوانين الحرب، تعهّدت بموجبه نزع صفة المقاتل عمّن دون سن الـ ١٨

والحيادية تنطلق يومياً من الدوائر الإعلامية في الدول التي تعبث بالأمن الأهلي في سوريا، كما يجري الآن في شمال حلب من خلال عملية «درع الفرات» التي تقودها تركيا من خلال مجموعة من الفصائل الإسلامية ومنها (فيلق الشام، أحرار الشام، جيش السنة، نور الدين الزنكي، سلطان مراد، لواء حمزة..) وهي تشكيلات إسلامية متحالفة مع فرع تنظيم القاعدة في سوري (جبهة النصرة، فتح الشام، هيئة تحرير الشام). وتشير المصادر الحقوقية والمحلية بوجود حملة تطهير ممنهجة تديرها القوات التركية بالتحالف مع هذه التشكيلات الموالية لها على الأرض، ولا تتوقف الانتهاكات عند هذا الحد، بل تؤكد التقارير الدولية بتورّط تركيا في دعم الجماعات الإرهابية المسلحة والمصنفة على لائحة المنظمات الإرهابية العالمية كما جرى في مدينة رأس العين وتل تمر انطلاقاً من عام (٢٠١٢).

حزب العمال الكردستاني والاتحاد الديمقراطي ووحدات حماية الشعب

لا تتوقّف آلية الدعاية السوداء التي تُحاك وتنسج خيوطها دوماً في الغرف الإعلامية والأمنية في أنقرة وبعض الجهات السورية المحسوبة على المعارضة الإسلاميّة المتشدّدة في الإشهار يومياً، قضية ربط العمال الكردستاني بوحدات حماية الشعب، وهي مزاعم نفتها مراراً وتكراراً وحدات الحماية وحزب الاتحاد الديمقراطي وقوّات سورية الديمقراطية، كما ونفتها أيضاً الخارجية الأمريكية والبنتاغون وهم يعملون ميدانياً مع هذه القوات التي تعتبر قوّة ضاربة في مواجهة الإرهاب، وأرشيف وزارة الخارجية والدفاع مفتوحة أمام المؤسسات الإعلامية التي تريد التأكيد من هذا الأمر، لا أن تستعين بآراء شخصيات منحازة لجهات سياسة صرفة غير موجودة على أرض الواقع، بل تنحصر مهمتها في التسويق والترويج للدعاية المضادة.

اتهامات تجنيد الأطفال، والقاصرين

عقب صدور تقرير منظمة حقوق الإنسان الدولية والذي تحدث عن وجود بعض الخروقات المتواضعة لدى وحدات حماية الشعب قياساً بالأرقام الهائلة لدى الأطراف المتحاربة الأخرى، قامت وحدات حماية الشعب وكذلك الشرطة الكردية التي تعرف بـ «الأسايش» بوضع اللوائح الداخلية، ببنود واضحة، تحظر تجنيد الأطفال دون ١٨ سنة وهي تقبل «المواطنين السوريين الذين أتمّوا الثامنة عشرة».

تجاوز عدد الصحفيين -الأجانب- الذين دخلوا روجآفا- شمال سورية منذ حرب كوباني، ١٥٠٠ صحفيّاً وعاد جميعهم إلى مؤسساتهم سالمين، ولم يوثّق اختطاف، أو مضايقات لأيّ أحد منهم

وفي ذات السياق، وقّعت وحدات حماية الشعب «صك التزام» في ٥ تموز ٢٠١٤ مع «نداء جنيف»، وهي منظمة غير حكومية دولية تدعم التزام الجماعات المسلحة بقوانين الحرب، تعهّدت بموجبه نزع صفة المقاتل عمّن دون سن الـ ١٨ وكخطوة أولية نزعت القيادة العامة لوحدات حماية الشعب صفة المقاتل عن ١٤٩ مقاتل ضمن الفئة العمرية ما دون ١٨ عاماً.(١٤)

منظمة هيومن رايتس وتش قامت بنشر تقرير بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٥ اتهمت فيه وحدات الحماية بتجيد الاطفال، وهو التقرير الذي اعتمده الصحفي في بحثه من خلال العنوان دون متابعة التفاصيل التالية. تقرير هيومن رايتس كان واضحاً، حيث جاء فيه أن وحدات الحماية حققت تقدماً في منع تجنيد الأطفال. وكان إيجابياً في إظهار ثقة المنظمة بقيام وحدات الحماية باتخاذ خطوات أكثر للقضاء على هذه الحالات. وذكرت أنّها قامت - أي الوحدات - في ١٣ يونيو بتسريح ٢٧ صبيًا بينما سرّحت وحدات حماية المرأة في ٢٠ أبريل ١٦ فتاة، كما وفرضت عقوبات على سبعة ضباط لأنهم وافقوا على تجنيد أطفال، وفُصل ثلاثة منهم عن الخدمة.

أما بالنسبة لـ «قانون واجب الدفاع الذاتي» فإن شروطه واضحة، حيث يتضمن تدريب كل من أتم الثامنة عشرة من عمره ولم يتجاوز الثلاثين سنة ميلادية، وأنّ الإناث لهنّ حق الخيار في الالتحاق بخدمة واجب الدفاع الذاتي(طوعاً وليس فرضاً)، ومدّة الخدمة ٩ أشهر، ويعفى من الواجب المكلف الوحيد لأحد أبويه (للأم أو الأب) والمصابين بمرض غير قابل للشفاء أو بعاهة دائمة.

ممارسة الضغوط على الصحفيين المحليين والاجانب

نشرت منظمة CFS الألمانية المعنية ببناء خريطة شاملة للحِراك المدني في سورية تقريرها الأول، والذي تضمّن نتائج المسح لعدد منظمات المجتمع المدني السورية بشكل عام وماهيتها، وعند متابعة إحصائية للمؤسسات الإعلامية في روجآفا- شمال سوريا حتى عام ٢٠١٦، نجد أنّه قد تمّ إحصاء وجود حوالي ٧٠ وسيلة ومؤسسة إعلامية، ناهيك عن العشرات من الوكالات العالمية، والمؤسسات الدولية والتي فتحَ بعضُها مكاتب دائمة. أمّا مجموع عدد المؤسسات المدنية فقد بلغ ٢٢٠ منظمة، واحتلت محافظة الحسكة (كانتون الجزيرة) المرتبة الأولى على مستوى المدن السورية في عدد منظمات المجتمع العامة بلغ عددها ١٥٥ منظمة، فيما كانت غالبية المدن الكردية تتصدّر الإحصائيات العامة في عدد المنظمات المدنية ودرجة نشاطها ويعمل فيها لا يقل عن ٢٥٠٠ شخص.

تجاوز عدد الصحفيين الأجانب الذين دخلوا روج آفا- شمال سورية منذ حرب كوباني، ١٥٠٠ صحفيّاً وعاد جميعهم إلى مؤسساتهم سالمين، ولم يوثّق اختطاف، أو مضايقات لأيّ أحد منهم، باستثناء الصحفي السويدي يواكيم ميدين الذي اعتقل من قبل النظام لـ ست ساعات بتاريخ ٢١ شباط ٢٠١٥.

أصدر اتّحاد الصّحفيين الكُرد السّوريين تقريره السنوي عن ملف الانتهاكات بحق الصحفيين بتاريخ ١١ يناير كانون الثاني ٢٠١٧ حيث وثّق (١٠ انتهاكات) من قبل الإدارة الذاتية، تتراوح بين حالات الاعتداء بالضرب(٣) والاعتقال المؤقّت (٧) علماً أنّ بينهما حوادث لا يمكن اعتمادها؛ كونها جاءت كإجراءات قانونية، مثلاً توقيف على ذمة التحقيق لمدة ساعتين، ومنها حوادث اعتداء ذات دوافع شخصية.

من خلال هذه الإحصائيات والتوثيق نجد زيف التقرير الذي يحاول الإيحاء بأنّ شمال سوريا يعتبر مكاناً خطيراً على ممارسة العمل الإعلامي، من جهة قيام وحدات الحماية بتضييق الخناق على الصحفيين وإغلاق مؤسساتهم، وهو ما ينافي الحقيقة تماماً.

ونتابع في ذات السياق بغرض إعادة التذكير بالتعميم الذي أصدره مؤخراً المجلس الأعلى للإعلام، حيث يقضي هذا التعميم بتقديم التسهيلات اللازمة للإعلاميين والصحفيين ممّن يحملون بطاقات إعلامية، وهو صادر عن القيادة العامة لقوات الأسايش، لتسهيل مهمة الإعلاميين.

التهجير والتطهير العرقي والاستبداد

إنّ وصم الوحدات الكردية على الأرض على أنها تنتهج السلوك الاستبدادي بالتعاون مع النظام السوري لتطويق الخناق ضد النشطاء والجماعات السياسية الكردية المخالفة وزجهم في السجون وفرض سياسة التهجير القسري، اتهام يتكرر وفي هذا المضمار، وسبق أن قدمت الوحدات الكردية تعهّدات للمنظمات الدولية الحقوقية التي لديها وسائل معينة تستقصي الأمور الميدانية وهي ملتزمة بالقانون الدولي وشرعية حقوق الإنسان، وإن كان البحث وعبر شهادات مشبوهة يريد أن يفتح أبواب المناطق الكردية أمام الفوضى في ظل المواجهة اليومية واللحظية مع الإرهاب العالمي، فالاعتقاد السائد والراسخ لدى الإدارة الذاتية ووحدات حماية الشعب وقوات سوريا الديمقراطية يتمثل في أن قضية أمن الأهالي والحفاظ على حياتهم يتطلب حماية قانونية ومؤسساتية، ومن الواجب الالتزام بها. وتستطيع المنظّمات الدولية الحقوقية والمؤسسات الإعلامية وكذلك الصحفيين الأجانب أن يزورا روجآفا - شمال سوريا بغرض إجراء التحقيقات الميدانية المطولة في هذا الصدد.

كما وأنّ تكرار تهمة «تهجير العرب»، يتمّ بالاعتماد على فقرات غير متكاملة من تقارير دولية والتي بنيت عليها الاتهامات الضمنية كاعتماد شهادات أشخاص عبر وسائل الاتصال لا عن طريق المقابلات الشخصية، ووجود شهادات متناقضة. واتهامات التهجير القسري المفترضة لم تؤكد مطلقاً، لتبقى ضمن إطار التخمينات التي لا تشير إلى «تهجير قسري» على افتراض أنّ المدنيين كانوا ينزحون من قراهم في مناطق النزاع تفادياً للقتل العشوائي، كما وأنّ التنظيمات الإرهابية المتعاقبة على المنطقة كانت تنتهج في إستراتيجيتها الحربية زرع العبوات الناسفة والألغام والسيارات المفخخة والانتحاريين وتفخيخ المنازل وهو ما يعيق في الغالب ويؤخر إعادة توطين المدنيين إلى قراهم.

من ثوابت (قسد) الديمقراطية والحرية والعيش المشترك وحرية المرأة بوصفها قوة ريادية تتعزز باستمرار من خلال التدريب المتواصل لتحقيق التعايش السلمي بين كل المكونات، وأي محاولة من أي فرد أو فصيل لنشر المفاهيم العنصرية والقومية والطائفية ستعرض صاحبها للعقوبات التي تحدّدها الأنظمة الداخلية كونها تعمل على تمزيق النسيج الوطني

إضافة لما ورد أعلاه، فإنّه جرى تشكيل لجنة تقصي الحقائق من قبل (الائتلاف السوري) بعد تحرير مدينة تل أبيض، سرعان ما أعلن أعضاء من اللجنة نفسها استقالتهم بسبب قيام اللجنة بنشر تحقيق أوليّ تضمن تزييفاً للحقائق، واعتمدت شهادات منشورة في وسائل التواصل الاجتماعي دون التأكّد من واقعيتها، بل واعتبرتها وثائق اتهام لوحدات الحماية بممارسة التهجير في المدينة. كما أنّ «لجنة التحقيق الدولية بشأن سوريا» أصدرت تقريراً بتاريخ ١٣ أغسطس ٢٠١٥ نفت فيه «تهجير» وحدات حماية الشعب للمكون العربي، إضافة الى التقرير الصادر عن لجنة تقصي الحقائق المستقلة التابعة للامم المتحدة والتي نفت كلّيّاً كل اتهامات التهجير على العكس فقد أكّد التقرير أن وحدات الحماية بذلت جهوداً لإعادة المهجّرين الى قراهم ومدنهم.

تعتبر وحدات حماية الشعب السبّاقة إلى تأمين احتياجات المواطنين الإغاثية العاجلة بعد تحرير أي منطقة من داعش حتى قبل مجيء المنظمات الإغاثية المختصة وتقديم الرعاية الطبية حسب الإمكانيات المتاحة.

تجاهل تشكيل قوات سورية الديمقراطية

يتمّ تجاهل أن وحدات حماية الشعب هي إحدى مكوّنات قوات سوريا الديمقراطية التي أعُلن عن تشكيلها في الـ ١٠ من شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦ وهي تضم: **وحدات حماية الشعب، وحدات حماية المرأة، قوات الصناديد، المجلس العسكري السرياني، بركان الفرات، ثوار الرقة، شمس الشمال، لواء السلاجقة، تجمّع ألوية الجزيرة، جبهة الأكراد، جيش الثوار، لواء التحرير**، وانضمّ إليها لاحقاً:

منطقة الرقة: لواء أحرار الرقة ولواء شهداء الرقة ولواء صقور الرقة ولواء ثوار تل أبيض.

منطقة كوباني: تجمع الفرات- جرابلس، كتائب شهداء الفرات، كتائب شهداء السد، كتائب أحرار جرابلس، كتيبة الشهيد كاظم عارف التابعة لجيش الثوار، لواء جند الحرمين.

منطقتي إدلب والشهباء: جيش الثوار، قوات الفرقة ٣٠، لواء شهداء ريف إدلب، لواء

أثبت أهالي كوباني بأنهم أول مدينة سورية رفضت قبول واحتضان داعش، حيث تمّ إخلاء أكثر من ٤٠٠ قرية وبلدة، إضافة إلى المدينة التي رفض معظم سكّانها المدنيّين البقاء فيها، وانتظار حكم الإرهاب البعيد كلّ البعد عن الثقافة الكرديّة.

عين جالوت، لواء ٩٩ مشاة، لواء الحمزة، لواء القعقاع، لواء المهام الخاصة، لواء السلاجقة، لواء أحرار الشمال، قوات عشائر حلب وريفها، جبهة الأكراد. اي ٣٣ تشكيل عسكريّ لها قيادة موحدة وغرفة تنسيق وإدارة وعمليات تتحكم وتدير الحملات العسكرية.

هذه القوات والتي هي مزيج من تحالف عربي – كردي تمكّنت حتى إعداد هذا التقرير من تحرير مناطق تجاوزت مساحتها ١٦٠٠٠ كم٢ (الاجمالي ٣٠ الف كم٢) من داعش تضمّ هذه المساحة العديد من المدن الكبرى مثل منبج، الشدادة والهول وعشرات النواحي وآلاف القرى والمزارع، هذه الانتصارات التي حصدتها قوات سوريا الديمقراطية منذ تأسيسها جعلت منها القوّة الأساسية للدفاع عن شعوب شمال سوريا وحمايتها، وتعتبر في الوقت الراهن القوة الوحيدة التي استطاعت أن تنظّم نفسها بشكل جيد لحماية المنطقة من كافة الهجمات، وهي أصلاً تكوّنت على أسس ديمقراطية، مكّنتها من احتضان كافة المكونات دون أي تمييز أثني أو عرقي أو ديني أو طائفي، وأثبتت أنّها تملك منظومة السيطرة على قواتها عبر تنظيمها وتدريبها لتمنع ظهور أية حالات انتقامية أو ثأرية أو كيدية خارجة عن الأهداف التي نشأت أصلاً من أجلها، أو أي شيء من هذا القبيل, وهي ملتزمة بكل القوانين والمعاهدات الدولية حيال معاملة المدنيين وحماية أملاكهم ومعاملة الأسرى.

إنّ الثوابت عليها هذه القوات من الديمقراطية والحرية والعيش المشترك وحرية المرأة بوصفها قوة ريادية تتعزز باستمرار من خلال التدريب المتواصل لتحقيق التعايش السلمي بين كل المكونات، لذلك فإنّ أيّة محاولة من أي فرد أو فصيل لنشر المفاهيم العنصرية والقومية والطائفية وغيرها ستعرض صاحبها للعقوبات التي تحدّدها الأنظمة الداخلية ومبادئ المحاكمة العسكرية، كونها تعمل على تمزيق النسيج الوطني.

وحدات الحماية منعت المدنيين من حمل السلاح للدفاع عن قراهم

أعلن تنظيم الدولة الإسلامية الحرب الشاملة على كوباني في ١٤أيلول ٢٠١٤، وليس في نهاية العام ٢٠١٤ كما ورد في التقرير، وكان هدفه السيطرة على ما سمّاه التنظيم «عين الإسلام» وضمها إلى دولته، مسخّراً لذلك جيشاً من مقاتليه المدرّبين، وأكثر أسلحته فتكاً من مدافع ودبابات، ومختلف أنواع الأسلحة التي استطاع جمعها من مطار الطبقة والفرقة

لقد تمكّنت وحدات حماية الشعب في حرب كوباني من تحقيق إنجاز كبير؛ وهو سرعة إجلاء المدنيين وإنقاذهم من الموت المحتوم، وهو الأمر الذي نفّذته أيضاً عقِب مأساة شنكال في آب ٢٠١٤، حين فتحت أكبر وأهم ممر إنساني ساهم في إنقاذ حياة الآلاف من الأيزيديين.

١٧ في الرقة واللواء ٩٣ في عين عيسى مع تخطيط وتحضيرات كبيرة في حصار وحرب من ثلاثة اتّجاهات عبر ستة محاور عسكرية ضخمة، فإعلان الحرب الشاملة جاء بحكم أنّ المدينة بالأصل كانت محاصرة ومنهكة لفترات طويلة، مما رافقها نزوح ما يقارب حوالي نصف مليون مدني باتجاه تركيا، ليسطّر أهالي كوباني بأنهم أول مدينة سورية رفضت قبول واحتضان داعش، حيث تمّ إخلاء أكثر من ٤٠٠ قرية وبلدة، إضافة إلى المدينة التي رفض معظم سكّانها المدنيّ البقاء فيها، وانتظار حكم دولة البغدادي البعيد كلّ البعد عن الثقافة الكرديّة.

كانت حرب داعش استكمالاً للحرب التي أعلنتها جبهة النصرة، وفصائل من الجيش الحر على المدينة، فكان شعارهم المشهور حينها يشدد «بأنهم سيصلّون العيد في جوامعها»، وقبيل تاريخ الحرب قامت العشرات من الفصائل العسكرية بفرض حصار على كوباني، شمل قطع الكهرباء، والماء، ومنع حركة المواصلات، مع تنفيذ هجمات على القرى والبلدات الكردية، بالإضافة إلى اعتقالات شملت المئات من المدنيين، والموظفين والأطفال.

الهجمات على كوباني المحاصرة كانت شرسة وبالسلاح الثقيل والنزوح كان بداية يتم تدريجياً من القرى التي تشهد مواجهات باتجاه المدينة ومع انكسار خطوط الدفاعات الأولى عبر المحاور الستة تحت شدة الهجمات الشرسة، وبعد أسبوع من المقاومة البطولية، اتخذت وحدات الحماية قراراً بوجوب إجلاء المدنيين العزل، وهو ما قلّل سقوط الضحايا المدنيين الذين كان التنظيم يقتلهم دونما رحمة وهوادة، وبالتالي فإنّ الصحفي هنا يناقض نفسه، ففي مقدمة التقرير اتّهم وحداتِ الحماية بتجنيد المدنيين، وهنا يتهم وحدات الحماية بأنها عارضت رفع المدنيين للسلاح لمنع تقدّم دبابات التنظيم، وكأنه يوحي بأهمية زج المدنيين في القتال ومواجهة السلاح الثقيل، وهو ما يعني حشر المدنيين في مواجهة الإبادة الممنهجة. لقد تمكّنت وحدات الحماية في حرب كوباني وحسب تقديرات من البنتاغون من تحقيق إنجاز كبير؛ وهو سرعة إجلاء المدنيين وإنقاذهم من الموت المحتوم، وهو الأمر الذي نفّذته أيضاً عقِب مأساة شنكال في آب ٢٠١٤، حين فتحت أكبر وأهم ممر إنساني ساهم في إنقاذ حياة الآلاف من الأيزيديين.

حول مفهوم الديمقراطية و المجتمع الديمقراطي المعاصر

أنس أحمد

مقدمة:

يعدّ مفهوم الديمقراطية من المفاهيم شائعة الاستعمال في العالم اليوم، خصوصاً أنّ كافة الأنظمة السياسية المعاصرة دكتاتورية، وتوتاليتارية، وثيوقراطية، تحاول أن تضفي على نفسها صفات الديمقراطية، وتدّعي تمثيل الشعب، ممّا أدّى إلى اللبس وإساءة فهم المفهوم واستعماله، وأحياناً تعريفه بدقة، إلّا أنّ الفرق واضح بين الشعارات والادّعاء بتأييد وتمثيل الشعب، وبالتالي إضفاء الشرعية على نظام الحكم، والواقع والتطبيق العملي.

أولاً- مفهوم الديمقراطية وأسلوبها

الديمقراطية في الأساس ككلمة تعود الى اللغة اليونانية القديمة وهي مكونة من مقطعين، الأول «***Demos***» و تعني الشعب، والثاني «***Kratos***» وتعني حكم أو سلطة، وبذلك تصبح الكلمة «***Demoskratos***» أي حكم الشعب.

أمّا اذا ما بحثنا في التعريفات التي جاء بها الفقهاء للديمقراطية فلا مجال لتعدادها أو حصرها، إلّا أنّ هناك التعريف الأشمل للديمقراطية وهو «حكم الشعب» أو حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه، فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية منبثقة من الشعب، وتحكم أيضاً باسم الشعب، والشعب باختياره يقوم بتنصيب حكّامه.

إذاً فالديمقراطية هي نموذج للحكم يتمتّع الشعب فيه بسلطان قوي خلافاً لرغبات ومصالح الأرستقراطية أو الملكية المطلقة أو القادة والمقرّبين والأتباع وغيرهم من العناصر المتنفّذة التي تحاول الاستمرار في احتكار السلطة والثروة ومنع بقية أفراد الشعب من المشاركة فيهما.

لقد تطوّرت المفاهيم حول كيفية تطبيق مبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه ففي حين كان اليونان يرون أن حكم الشعب ديمقراطياً لا يمكن أن يتمّ إلا بواسطة سيطرة

طبقة النبلاء وحرمان العبيد والعامة من الحرية أو ممارسة أي حق في الحكم، أصبح مفهوم الديمقراطية يعني في الوقت الحاضر إعطاء الحرية لأوسع طيف من الجماهير أو إن صح التعبير لكامل أفراد المجتمع من اجل مشاركتها الفعالة في حكم نفسها بنفسها عن طريق إرسال ممثليها إلى المؤسسات السياسية وبناء المؤسسة السياسية من القاعدة باتجاه الهرم وليس العكس الذي نراه في بعض الانظمة التي تدّعي الديمقراطية فتبنيها من السلطة العلية المتمثّلة بالدولة باتجاه القاعدة، فالديمقراطية في جوهرها ليست بحاجة الى الدولة، وقد اتفق مع ما ورد في كتاب الأمّة الديمقراطية حيث قرأت بأن الديمقراطية: هي نظام سياسي يخالف نظام الدولة وهي ادارة المجتمع لذاته بذاته دون الحاجة الى الدولة.

فالدولة والديمقراطية تكونان على طرفي نقيض دائماً، فلا يمكن لدولة أن تكون ديمقراطية، وكذلك لا يمكن للديمقراطية أن تكون دولة أيضاً.

كما أعتقد بأنّ الديمقراطية لا تتحقق إلّا من خلال تحقيق أصلها ومعناها المتجلّي بـ «حكم الشعب»، ويتحقق ذلك بإدارة نفسه بنفسه عبر إدارات ذاتية ديمقراطية لكلّ مجموعة على حدا فتمثلها وتحقّق وجودها؛ أي تطبيق نظام ديمقراطي اجتماعي الخاصية وذلك بديلاً عن الديمقراطية الليبرالية التي يكون فيها الشكل الديمقراطي ذو طابع سياسي اقتصادي أكثر من كونه اجتماعيّاً أو بالأحرى غير اجتماعي أصلاً، إذ أنّ الليبرالية تقوم على أساس استقلال الفرد الذات واحترام الحرية الشخصية وحماية الحريات السياسية بعيداً عن القيم الاجتماعية التي هي أساس الديمقراطية وجوهرها.

فالليبرالية التي تقوم على السعي إلى أقصى

لكي تكون المساواة ديمقراطية يجب أن تعني حقَّ كلّ فرد في أن يختار وجودَه الخاص، ويدير شؤونه لكيلا تكون الديمقراطية مهدّدة بسلطة الأغلبية

درجة من الحرية الفردية تؤثّر سلباً على شروط انبثاق الحرية الحقيقية المرتبطة بالقيم الاجتماعية كالعدالة والمساواة، وهكذا يمكن لليبرالية أن تتحول إلى عائق أمام الديمقراطية لأنها تتجاهل قيم العدالة والمساواة وتتيح للدولة التدخل عوضاً عنها.

ثانيا- أسس ومقومات الديمقراطية

لا يمكن الحديث عن تطبيق فعلي وحقيقي للديمقراطية، ما لم يتمّ تكريس مجموعة من المبادئ والمقومات والخصائص التي يتميز بها هذا المفهوم، وعليه يمكن القول: إنّ هناك مجموعة من المبادئ والأسس التي ما لم يتمّ تكريسها تبقى الديمقراطية مجرّد معانٍ جوفاء، وشعارات دون تطبيق حقيقي، وعليه سنتناول في هذه الفقرة مجموع الأسس والمبادئ التي يرتكز عليها النظام الديمقراطي.

أولى هذه الأسس هو أس الحرية وهذا ما لا نجده في دول العالم الثالث، التي لا تعرف أو تعترف بالحرية السياسية، بحيث لا تزال أغلب دول هذا العالم محرومة من الانتخابات النزيهة بل نجدها انتخابات مزورة أو مزيفة أو يقوم بها نظام الدولة نيابة عن الشعب.

إنّ الحرية في النظام الديمقراطي لا تعني أن يفعل الإنسان كل ما يريده، لأنّ أشدّ الدول

ديمقراطية تضع حدوداً لحرّيّات الأفراد دون أن يقصد من ذلك القضاء على الحرّيّات أو التقليل من شأنها، بل تنظيمها بغية الحفاظ على مصالح الجماعة وحقوق الآخرين.

إنّ ثاني أسٍّ من أسس الديمقراطية هو المساواة، إذْ تُعتبر المساواة بين أفراد المجتمع عنصراً من عناصر الديمقراطية، فعلى النظام السياسي الذي يطبّق الديمقراطية أن يقوم بممارسة المساواة بين أفراد الشعب، دون تفرقة لسبب من الأسباب، فعلى النظام السياسي أن يساوي في معاملته بين جميع المواطنين في ظله، وألّا تكون الديمقراطية لفئة على حساب فئة أخرى، وهناك عدة نصوص تتناول هذه الفكرة، فقد نصّت وثيقة الاستقلال الأمريكية على أنّه: إنّنا نؤمن بأنّ الناس قد خلقوا متساوين. وقد نصّ إعلان حقوق الإنسان و المواطن الفرنسي في مادّته الأولى: يُولد الناس أحراراً، ويبقون كذلك و متساوين في الحقوق.

كما أريد التوضيح بأنّ المساواة كأُسٍّ من أسس الديمقراطية لا يعني المساواة الفعلية بين الأفراد من حيث الظروف الحياتية والمعيشية، بل المساواة القانونية التي تعني عدم التفرقة أو التمييز بين الأفراد في تمتعهم بالحقوق والحريات التي يكفلها الدستور، وما أعنيه بالمساواة القانونية هو أن يكون القانون واحداً بالنسبة لجميع المواطنين دون تفرقة أو تمييز.

كما يرى أليكسيس دو توكفيل وهو منظر الديمقراطية أنّ الديمقراطية والمساواة على ارتباط قويّ، إذ لا ديمقراطية دون مساواة، ولا مساواة دون ديمقراطية.

إذاً فالنظام الديمقراطي هو النظام الذي يستطيع ضمان الحرية والمساواة لمجتمع قائم على وجود نظام يستمد سيادته ومشروعيته من سيادة الشعب.

النظام الديمقراطي هو النظام الذي يستطيع ضمان الحرية والمساواة لمجتمع قائم على وجود نظام يستمد سيادته ومشروعيته من سيادة الشعب

ثالثاً- أنواع الديمقراطية

هناك الكثير من أشكال و أنواع الديمقراطية، إلّا أنّني سأذكُر بعضاً منها، أو بالأحرى المهمّ منها و سنبدأ بـــــــ:

الديمقراطية المباشرة:

شكل من أشكال الحكم نادر الحدوث نظراً لصعوبة جمع كل أفراد الشعب في مكان واحد من أجل عملية التصويت، ولذلك فلم تطبق الديمقراطية المباشرة إلا في مجتمعات صغيرة العدد نسبياً. وكان أشهرها أثينا القديمة. فكان مواطنو أثينا القديمة يتخذون قراراتهم بشكل مباشر بدلاً من التصويت على اختيار نواب يمثلونهم. وكان كل المواطنين من الذكور الاحرار يشاركون في التصويت والتحدث في الجمعيات العمومية، بغضّ النظر عن درجة فُقرهم أو غناهم، لكنّ ذلك كان يتطلب الكثير من الوقت، ممّا لا يتناسب مع المجتمعات الكبيرة.

الديمقراطية شبه المباشرة:

وهي نظام وسط بين الديمقراطية المباشرة التي يحكُم الشعب فيها نفسه بنفسه دون وسيط، والديمقراطية النيابية التي تقتصِر مهمّة الشعب فيها على اختيار نوّاب يمارسون وظائف

السلطة باسمه ونيابة عنه. فتختلف الديمقراطية شبه المباشرة عن الديمقراطية المباشرة من ناحية عدم ممارسة الشعب كافة شؤون السلطة، إذْ يكتفي بممارسة البعض منها، ويعمل على انتخاب من يمثله لمباشرة الجانب الأكبر منها. وبهذا نلاحظ أنّ الديمقراطية شبه المباشرة تُبيح للشعب حقّ الاشتراك في بعض شؤون السلطة بجانب البرلمان.

الديمقراطية التمثيلية أو النيابية:

في ظل الديمقراطية النيابية يقوم الشعب بانتخاب من يمثله؛ لمباشرة شؤون السلطة نيابةً واستقلالاً عنه، وبذلك تتميّز الديمقراطية النيابية عن الديمقراطية المباشرة في إسناد مباشرة شؤون السلطة لنواب عن الشعب لا لأفراد الشعب أنفسهم. ومن هنا يصبح البرلمان هو صاحب السلطة والسيادة وليس الشعب.

الديمقراطية الليبرالية:

غالباً ما تُلصَق بالديمقراطية اليوم صفة الليبرالية. والديمقراطية الليبرالية شكل من الديمقراطية التمثيلية تخضع فيه لحكم القانون كلٌّ من القدرة على انتخاب ممثلين، وإرادة الأغلبية ممارسة سلطتها في اتخاذ القرار، وعادةً ما يتوسّط ذلك دستور يؤكّد على حماية حرّيّات وحقوق الأفراد والأقليات. ولقد تزايد مؤخّراً شيوع هذا الشكل من الحكم، حتى أنّ حوالي نصف المعمورة بات اليوم يعيش في ظلّ أنظمة ديمقراطية ليبرالية.

رابعاً- أخطار الديمقراطية:

حسب رأيي لا يمكن تطبيق مبدأ الديمقراطية في الأنظمة ذات الطابع الأحادي والشمولي مثل «الأنظمة القومية أو الدينية» فهي تحد من

الديمقراطية: هي نظام سياسي يخالف نظام الدولة و هي ادارة المجتمع لذاته بذاته دون الحاجة الى الدولة

تحقيق الوجود السياسي والاجتماعي والثقافي لدى مجموعة الفئات الأخرى التي تكون بدورها الأقل تمثيلاً، وإذا ما طبقت الديمقراطية في هذه الحال كانت النتيجة هي عملية استبداد عن طريق الديمقراطية.

فمن الأخطار الديمقراطية هو استبداد الأغلبية عندما يكون مبدأ الأغلبية هو من يحدّد قواعد عمل الديمقراطيات، فإنّ «الرأي العام» هو من يقود العالم، هكذا ونتيجة العودة دائماً إلى الرأي العام نكون قد فقدنا جزءاً من هويتنا الشخصية لصالح سلوكيات ومواقف مطابقة لسلوكيات ومواقف الأغلبية. بإمكان الأغلبية على هذا النحو أن تسحق الأقلية وتقلّل من مساحة الحرية الشخصية لها.

ومن الأخطار الديمقراطية تطبيق الديمقراطية في البلدان المتنوعة التي تتعدد فيها القوميات والأثنيات والمذاهب؛ وخطرها يكمن في أنّ عدم استعمال الديمقراطية كثقافة تعايش بين المكونات وإنّما ثقافة تمايز عرقي أو مذهبي أو طائفي، حيث يعطي مفهوم حكم الشعب نفسه بنفسه ترخيصاً لحق تقرير المصير لهذا الشعب والانفصال في حال انعدام كما ذكرنا ثقافة العيش المشترك والوحدة الوطنية.

ومن أخطار الديمقراطية أيضا «الفوضى» إذ أن الفوضى هي من أخطار الديمقراطية، و بشكل خاص في النظم الليبرالية عندما لا

توضع حدود لحريات الناس، حيث يمكن أن تؤدي ممارستهم لها إلى الفوضى والتعدّي على حريات الآخرين، لذلك يجب تنظيم مسافة للحرية بحيث يكون لهذه المسافة حدودٌ لا تتجاوز أو تضرّ بحرية الآخرين.

خامساً- المجتمع الديمقراطي المعاصر

مع انهيار الحركات القومية ووصول أنظمتها بالمجتمعات الشرق أوسطية إلى طريق مسدود لا تستطيع هي نفسها أن تنكره، تتنامى في أوساط الرأي العام، وفي أوساط الرأي العام العالمي أيضاً، نزعة عدائية تجاه البرامج والشعارات والأهداف التي استحوذت في الماضي القريب على عقول الناس وأفئدتهم لعقود طويلة، كالبرامج النمطية كالإصلاح أو الشعارات الكلاسيكية كالوحدة والدولة القومية وما إلى هنالك من شعارات فضفاضة باتت محظورة في الذهنية المتشكلة حديثاً.

وطرحت الكثير من مشاريع التغيير لتحسين الواقع السياسي والاجتماعي وسنخصّ بالذكر المشروع الديمقراطي في شرقنا الأوسط، ولعلّ الأهمية تكمن في ضرورة الانتقال السياسي لما شهِده الشرق الأوسط من ثورات واحتجاجات شعبية وصلت إلى جحر السلطة السياسية وتغييرها.

عبر الفكر الديمقراطي حديثاً إلى الشرق الأوسط، و لم تترسّخ مبادئه اجتماعيّاً ولا حتّى سياسيّاً، إذ كانت عبارة عن أصداء خالية تُقرع في أذهان الشعوب دون أي تأثير يُذكر، ويعود السبب للتعاطي الشكلي والظاهري للديمقراطية بعيداً عن معناها الحقيقي إذ لم تطبّق مبادئها ولا حتى أسسها ولم يعمل عليها حفاظاً على المصالح الأوليغارشية، وضماناً لبقاء السلطة المركزية وهيمنتها، وبالإضافة لذلك تزويدها

الدولة لا تكون ديمقراطية إلّا إذا كان القانون فيها واحداً يسري على جميع المواطنين بلا استثناء ولا تمييز

بجرعات من الخطاب الديني التعبوي المحرّض على العداء للنظام الديمقراطي كونه غربياً باعتقادهم، إلّا أنّني أعتقد أنّ الديمقراطية ليست نظاماً غربياً خاصّاً ولا نحو ذلك، بل نتاجاً إنسانيّاً ساهمت فيه البشرية عبر تاريخها الطويل، إذْ أنّ أيّ أساس حضاري لا يمكن أن يخلق على حدا، فالنُّظُم الحضارية جاءت نتيجة سلسلة حضارية متواصلة، وأعتقد أنّ الحرية التي هي أساس الديمقراطية إنما هي الوسيلة الوحيدة للحفاظ على المبادئ الأخلاقية والدينية بعيداً عن التزوير الذي تعاني منه نتيجة تدخّل المصالح السياسية فيها.

نعود إلى الديمقراطية حيث كما ذكرنا مسبقاً أنّ الديمقراطية هي سلطة الشعب، غير أنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: أيّ شكل من أشكال الحكم يمثّل سلطة الشعب، كيف يقوم الشعب بحكم نفسه...؟

أعتقد أنّ الديمقراطية الحديثة يجب أن تتركّز وتنشأ على السلطة الاجتماعية، وذلك لضمان مفهومها المتمثّل بحكم الشعب، والسعي بتغذيتها بالمبادئ والقيم الإنسانية، وتحويل مركز نشاطها من دمقرطة الدولة والسلطة المركزية نحو دمقرطة المجتمع والسلطة الاجتماعية، إذْ أنّ الممارسة الديمقراطية السليمة تفترض دمقرطة المجتمع

بحدّ ذاته، وليس دمقرطة السلطة السياسية.

كانت المرحلة الأولى لظهور الديمقراطية تتجلّى في مرحلة الدولة الديمقراطية في العهد الماضي لدى الغرب، أمّا المرحلة الثانية فهي مرحلة المجتمع الديمقراطي بحد ذاته، أي توطيد مبادئ الديمقراطية في ممارسات الفرد والجماعة معاً، كما أنّه يجب على المجتمع الديمقراطي أن يتمتع بشروط و قيم إنسانية أوّلها الحرية الفردية والجماعية، إذْ أنّ الحرّيّات الفردية والجماعية صلب الديمقراطية وغايتها، لكنها لا تتحقق من دون تأمين شروط ومبادئ أخرى وهي العدالة والمساواة الاجتماعية، كما جرى تعريف الثقافة الديمقراطية على أنّها المساواة، إذ أنّ الديمقراطية تستلزم هدم نظام مراتبي ورؤية كلية للمجتمع واستبدال الإنسان المراتبي بالإنسان المتساوي على حد تعبير لويس ديمون. ولكي تكون المساواة ديمقراطية يجب أن تعني حقّ كلّ فرد في أن يختار وجودَه الخاص، ويدير شؤونه لكيلا تكون الديمقراطية مهدّدة بسلطة الأغلبية.

كما لا يقبل الفكر الديمقراطي المعاصر بالمُسلَّمة القائلة: بأنّ احترام الحريات الفردية يقود حتماً إلى تحقيق القيم الإنسانية المطلوبة كما تقودها الليبرالية، إذْ يمكن لليبرالية أن تتحول إلى عائق أمام الديمقراطية لأنها تعمل على تجاهل قيم العدالة والمساواة، فأيّ معنى للحرية من دون عدالة ومساواة فعلية لا يمكن أن تقود إلى الديمقراطية.

أمّا الإشكالية الأعقد في الديمقراطية هي اعتبار الأفراد ناخبين، وليس صُنّاعاً للقرار السياسيّ، فالديمقراطية لا تعني تحويل الأفراد في المجتمع ما إلى مجرّد ناخبين لا خيار لديهم سوى الاختيار، بل العكس يعني أن يشكّلوا وحداتٍ ومؤسسات سياسية وإدارية طبقاً

أنّ الممارسة الديمقراطية السليمة تفترض دمقرطة المجتمع بحدّ ذاته، وليس دمقرطة السلطة السياسية

للإرادة الفردية ومن ثم المجتمعية، و بهذا يكون الفرد قد ساهم بتشكيل سلطته السياسية المنشودة لا أن يكون مساهِماً باختيارات حرّة بين تيارات سياسية لم تنطلق من الذات والإرادة الحرة.

لا يمكن للسياسة الديمقراطية التي تعطي أكبر حرية لأكبر عدد، فتحمي أكبر تنوّع ممكن وتعترف به، بل السياسة الديمقراطية سياسة تمثيل الأفراد في الحكم عن طريق إدارات ذاتية لكل مجموعة، وانتخاب هذه الإدارات كلّاً على حدا دون التعرض إلى نظام انتخابي شامل يبرمج القرار وفق صالح الأغلبية، أي انطلاق القرار السياسي من القواعد الاجتماعية والتي تقوم بدورها عن طريق إدارة شؤونها بنفسها دون تسلّط الأغلبية على حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

أخيراً: لا يمكن أن تقوم ديمقراطية بلا مساواة سياسية، فهي المقدمة اللازمة أو الضرورية للمساواة الاجتماعية. فالدولة لا تكون ديمقراطية إلّا إذا كان القانون فيها واحداً يسري على جميع المواطنين بلا استثناء ولا تمييز، وكان جميع المواطنين يشاركون في شؤون الدولة والحكم، وما الديمقراطية إلا سياسة الاعتراف بالآخر، كما قال شارل تايلور.

الكُردُ تاريخٌ ونضال
شخصيّاتٌ كُرديّةٌ ساهمت في مقارعة الاستعمار الفرنسي، وتحرير سوريا الحديثة

روهان قاميشلو

إنّ مشاركةَ الكُرد في بناءِ سوريا، من الأزل وحتى اليوم، لم تكن بغريبة، وخاصة أنّ من بين أبنائها مَن حرّر الوطن وشارك في الاستقلال. وفي إطار عرض تاريخ بعض الشخصيات الكردية التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ سوريا وتاريخ المنطقة، نستعرض بعضاً منهم.

يُعدُ المُجاهدُ الكردي محمد إيبو شاشو من الوجوه البارزة في قيادة نضال الشعب السوري ضدّ الاحتلال الفرنسي، ويقولُ عنهُ المؤرخون: بأنهُ أولُ مَن أطلقَ الرصاص على الفرنسيين في سوريا. فهو من مواليد قرية(باسكا) عام ١٨٨١م، الواقعة على سهل(ليجة) على الحدود السورية التركية، اجتمعَ محو ورجالٌ آخرين في حيّ(آغيول) بمدينة حلبَ، وقرروا مُحاربةَ الفرنسيين، واتّخذوا من سهل(العُمق) ليبدأ نشاطاتهم ضدّ الفرنسيين.

وعن فترةِ نضاله يقولُ الكاتبُ «أدهم آل جندي» في كتابه (تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي)، ١٩٦٠م إنّ المجاهدَ البطلَ(محو إيبو شاشو الكرديّ) أطلقَ الرصاصةَ الأولى في وجه الفرنسيين المُستعمرين، وكانت مجموعتهُ نواةَ المجموعات السوريّة، وقد أرسلتِ الحكومةُ المحليّةُ في «حارم» قوّةً من الدركِ لمُلاحقتهِ فتوارى عن الأنظار، ولكنّ الجنودَ ساقوا زوجتَهُ أمامهم عائدين إلى حارم، فثارَ محو واستأسدَ في سبيل الكرامة والشّرف، وتبعَ رجالَ الدركِ حيثُ دارتْ بينهم معركةٌ أسفرتْ عن مصرع بعض الجنود الفرنسيين،

محمد إيبو شاشو: هو أولُ مَن أطلقَ الرصاص على الفرنسيين في سوريا وكان النواةَ الأولى للثورة السوريّة فيما بعدُ

وهربَ الباقون، عاد محو مع زوجته.

بعد هذه الحادث أُمدَّ محو بكميّةٍ من البنادق والقذائف والعتاد وانضمّ إليه أفرادٌ آخرون، فجرّدَ الفرنسيون قوّةً مؤلفةً من أربعين جنديّاً لمُطاردته مع رفاقهِ لكنهم تصدّوا لهم ببسالةٍ، فانسحبَ الجنودُ هاربين، واتّخذَ من جبل (خاستيا وقازقلي)في منطقة عفرين مخبأً لهُ ولرفاقهِ، وتجمّعَ حولهُ أكثرُ من أربعين مجاهداً، ثمّ قادَ هجوماً على قافلةِ نقلٍ عسكرية كانتْ تجتازُ سهلَ العمق، انتهتْ بالحرق الكاملِ، وبالتحالفِ مع مُجاهدينَ هاجموا من منطقتَي عفرينَ وحارم بتاريخ١٩٢٠/١/٢٢ هاجموا مخفرَ قرية«الحمام» في منطقة عفرين، وفي النهاية استولوا على المخفر بعدَ مقتلِ قائد الحامية والمُلازم دولونلاي، ثمّ أرسلتْ القيادةُ الفرنسيةُ قوّةً بقيادة الكابتن«دروهيل» لمُطاردة المُجاهدين، لكنّ المُجاهدينَ البالغ عددهم ستمائة ومعهم«محو إيبو شاشو» هجموا على القوة الفرنسيّة المُتمركزة في القرية بالرشّاشات، فسقطَ منهم٥٠ شهيداًو١٧ أسيراً.

ويُقالُ إنّ الطائراتِ الفرنسيةَ شاركتْ في إحدى المعارك ضدّ مُجاهدي محو، وفي منتصف ليلة١٩٣٩/١/٢٣ هاجموا منزلَ المُستشار الفرنسي في «إعزاز» ودارتْ بينهم معركةٌ حامية امتدّتْ حتى الفجر، وبسبب شراسة المجاهدين في القتال اضطّرتِ القواتُ الفرنسيّةُ الاستنجادَ بحاميتها المتمركزة في «حلبَ» بقيادة الكولونيل«دوشى ليون»، وكذلكَ بقواتها المتمركزة في قرى«قطمة» المجاورة، وفي هذه الأثناء شاركتِ الطائراتُ الفرنسيّةُ في الهجوم على مُقاتلي«محو» الذينَ استطاعوا إسقاطَ طائرةٍ منها.

ونتيجةً لتواطؤ أحد أقربائهِ وبعض الأغوات، أُغتيلَ محم غدراً في باب مغارةٍ كانَ قد اتّخذها مقرّاً له قُربَ قرية (تتران)

البطل محمد إيبو شاشو:

إبراهيم هنانو

إبراهيم هنانو الزعيمُ الوطني الكبير، الذي تصدّى للاستعمار وقاومَهُ في مطلع القرن العشرين، ويأتي في طليعة الأبطال الذي تفخرُ بهم سوريا اليومَ

في منطقة عفرين، بعد أن استبسلَ في مقاومة الفرنسيين، وكان النواةَ الأولى للثورة السوريّة فيما بعدُ.(١)

المُجاهد الكبير إبراهيم هنانو:

لا يوجدُ شخصٌ في سوريا أو في العالم العربي لم يسمع بإبراهيم هنانو، إنهُ كبيرُ المُجاهدين في الثورة السوريّة، والزعيمُ الوطني الكبير، الذي تصدّى للاستعمار وقاومَهُ في مطلع القرن العشرين، ويأتي في طليعة الأبطال الذين تفتخرُ بهم سوريا اليومَ.

ولدَ في بلدة «كفر حارم» الواقعةِ غربي حلبَ عام ١٨٦٩م، وهو ينحدرُ من عائلة هنانو العريقة، ذات الزعامة والوجاهة، التي تنتمي إلى عشيرة البرازي الكُردية المعروفة. تقلّدَ وظائفَ إداريّة في العهد العثمانيّ، ثمّ عادَ إلى بلاده سنةَ ١٩٠٨م، وأُنتخبَ عضواً في المجلس العُمومي بحلبَ. عندما دخلَ جيشُ الأمير فيصل بن الحسين مدينةَ حلبَ فاتحاً(١٩١٨)عادَ إليها، وأُنتخبَ عضواً في(المؤتمر السوريّ) بدمشقَ، وعضواً في(جمعيّة العربية الفتاة) السريّة، ثمّ احتلّ الفرنسيونَ مدينةَ أنطاكية، فانتدبَ لتأليف مجموعاتٍ عربيةٍ تُشاغلهم، وجعلَ مقرّهُ في حلبَ، وفوجئتْ سوريا بنكبة«ميسلون» ١٩٢٠ واحتلال الفرنسيين دمشقَ وحلبَ، فامتنعَ في بلاد بيلان(شمالي حلب) بقوّةٍ من المتطوّعين الوطنيين، وقاتلهُ الفرنسيون، وألّفَ حكومةً وطنيةً، ولُقّبَ بـ «المتوكّل على الله» وكثرتْ جموعُهُ، واتّسعَ نطاقُ نفوذِهِ، وخاضَ سبعاً وعشرينَ معركةً لم يُصَب فيها بهزيمةٍ، واستمرّ عاماً كاملاً يُنفقُ مما بجيبهِ في الجهاتِ التي انبسطَ فيها سلطانهُ.

اطّلعَ على بيان إذاعة الأمير عبد الله بن الحسين في عمّانَ، يقولُ فيه إنهُ جاءَ من الحجاز «لتحرير سوريا»، فكاتَبَهُ إبراهيم هنانو، ثمّ قصدَهُ إلى عمّانَ عاصمة الأردنّ، فلم يجدْ فيها ما أملَ، وزارَ فلسطينَ، فاعتقلهُ البريطانيونَ في القدس وسلّموهُ إلى الفرنسيين، وسيقَ إلى حلبَ، فحوكمَ محاكمةً انتهت باعتبار ثورتهِ «سياسية مشروعة».

تحوّلَ إلى الميدان السياسيّ، يحاربُ الدولةَ الفرنسيّةَ المُنتدِبة، فاجتمعتْ على زعامته سوريا كلّها، وقادها فأحسنَ قيادتها، وكان منهاجهُ: «لا أعترفُ بدولة فرنسا المُنتدبة، ولا تعاونَ معها»، ولمّا دُعيتِ البلادُ عامَ ١٩٢٨م لانتخاب الجمعيّة التأسيسيّة ووضع الدستور السوريّ، انتخبَ إبراهيم هنانو عن حلبَ، وأُختيرَ رئيساً للجنةِ الدستور في الجمعية التأسيسية، فأتمّ وضع دستور عام ١٩٣٠م.

قالَ المؤرّخ اللبناني يوسف إبراهيم يزبك: إنّ الزعيمَ السوفييتي(لينين) كتبَ أربعَ رسائلَ بخطّه سنةَ ١٩١٩م إلى إبراهيم هنانو يدعوهُ فيها إلى التعاون مع حركات التحرّر الوطنية في المنطقة، والاعتماد على مساعدة الاتّحاد السوفييتي في الصراع العادل ضدّ الاستعمار.(٢)

علي بوظو:

وهناكَ المفكّرُ والمحامي علي بن عبد الوهّاب بوظو (١٩١٥-١٩٨٦م)، وهو من

علي بوظو

مواليد حيّ الأكراد بدمشقَ، عملَ في صفوف التنظيمات السياسيّة التي قارعتِ الانتدابَ الفرنسيّ خلالَ الثورة السوريّة الكُبرى، وكانَ عضواً بارزاً في حزب الشّعب، ومثّلَ دمشق في المجلس النيابيّ في دوراتٍ متوالية وعديدة منذُعام١٩٤٩، حتى أسندتْ إليه وزارةُ الداخلية والزراعة، هو علمٌ من رجالات سوريا الفكرية والنضالية في الإدارة والحُكم.

وهناك المُجاهدُ الوطني إبراهيم شيخاني، وهو من مواليد مدينة دمشق عام ١٨٦٠م. التحقَ بالثورة السورية الكبرى حضرَ معاركها حتى النهاية. وفي عام١٩٣٨ التحقَ بثورة

المفكّرُ علي بن عبد الوهّاب بوظو، من عملَ ضد الانتدابَ الفرنسيّ، وكانَ عضواً بارزاً في حزب الشّعب، ومثّلَ دمشق في المجلس النيابيّ في دوراتٍ متوالية وهو علمٌ من رجالات سوريا الفكرية والنضالية في الإدارة والحُكم.

فلسطين، لا يطلبُ من الدنيا سوى الجهاد في سبيل الله، وقد استشهدَ عام ١٩٣٨ إثر معركة وقعتْ بأراضي شرقي الأردن حيثُ دفنَ هناكَ.

وهناك الضابطُ خليل بكر ظاظا، توفي عام ١٩٣٨م، وهو من مواليد دمشق، خدمَ ضابطاً في الجيش السوري أيامَ الحُكم الفيصلي١٩١٨-١٩٢٠، وقائد سريّة خيّالة المتطوعين في حمص وحماة. وقاومَ الفرنسيين، وبعد انهيار الحُكم الفيصلي في سوريا ١٩٢٠ لجأ إلى شرقي الأردن بعد أن حكمَ عليه الفرنسيون بالإعدام.

الرئيس أديب الشيشكلي:

ولدَ في تشرين الثاني عام ١٩٠٩م في مدينة حماة، وهو ابن السيّد حسن آغا الشيشكلي وهو من أصلٍ كرديّ، تزوّجَ من السيدة فطينة بنت مصطفى آغا الفنري عام ١٩٢٨م. بعد تخرّجه من مدرسة التجهيز في محافظة حماة، التحقَ بالمدرسة الحربية بدمشقَ في تشرين الأول ١٩٢٩، وتخرّج منها برتبة ضابط.

أديب الشيشكلي بدأ حياتهُ العسكرية ضابطاً، ومن ثم تولى رئاسة الأركان لينتخب فيما بعد رئيساً. قال: أنا حريصٌ على هذا الوطن وعلى أبنائهِ

بدأ حياتهُ العسكرية ضابطاً، فكانَ قائداً للموقع العسكريّ في البوكمال، ثم انتقلَ إلى دمشقَ في أثناء الحرب العالمية الثانية، ويومَ محاصرة الديغوليين لسوريا نُقلَ إلى حامية الرقّة، وفي حركة العدوان الفرنسي عام ١٩٤٥م كان ممن أعلنوا المقاومةَ، وقادَ كتائبَ المجاهدين، كما التحقَ بالمجاهدين العرب في فلسطينَ ضدّ العدوان الصهيونيّ.

وعندما حدثَ الانقلابُ السوريّ الأوّلُ والثاني، كان هو الموجّهُ الفعليّ لهذه التحرّكات، ثمّ كانَ هو القائدُ والزعيمُ للانقلاب الثالث. تولّى رئاسةَ الأركان العامّة في نيسانَ ١٩٥٥م. وأُنتخبَ رئيساً للجمهورية السورية في ١١ حزيران عام ١٩٥٣م، وظلّ بهذا المنصب حتى المُكالمة الهاتفية الأخيرة من الزعيم محمود شوكت آلا رشّي الذي تآمرَ عليه لصالح شركة النفط البريطانية بواسطة رجل الأعمال اللبنانيّ«إميل البستاني»، ونصحهُ مُخادعةً بتركِ البلاد والسفر إلى الخارج، فأجابهُ الشيشكلي: أنا حريصٌ على هذا الوطن وعلى أبنائهِ.

تمّ اغتياله غدراً من قبل المغترب «نواف أبو غزالة» في منفاه في البرازيل عام ١٩٦٤. (٣)

خالد ونجيب ومحسن البرازي:

وعلينا أن لا ننسى المجاهدين من أبناء مدينة حماة الأبيّة، وخاصّةً أبناءُ عشيرة البرازيّ الكُرديّة، الذينَ ضربوا أروع الأمثلة في الثورات السورية، وساهموا في النضال السياسي حتى حصلتِ البلادُ على استقلالها. ومنهم المجاهدُ الوطني خالد البرازيّ(١٨٨٢-١٩٥٢م)، الذي قاومَ الاتّحاديين الأتراك أيامَ الدولة العثمانية، ونتيجةَ الحالة الوطنية عندهُ نُفيَ في عام(١٩٤١) أثناءَ الحرب العالمية الثانية، من قبل السلطتين الإنكليزية والفرنسية إلى فلسطينَ ومنها إلى جزيرة «قمران»، وبقي فيها مدّةَ سنتين، وفي يوم العدوان الفرنسي على مدينة حماة سنة ١٩٤٥ حملَ السلاحَ مع أولادهِ، وكان يتقدّمُ الصفوفَ، وأظهرَ من البطولة مع أولاده وعشيرته ما جعلهم مضربَ الأمثال.

كما لعبَ نجيب آغا البرازي، أحدُ وجهاء مدينة حماة، دوراً بارزاً في التاريخ السياسي السوري، فبين أعوام(١٩١٩- حتى ١٩٢٥) تعاملَ مع الملك فيصل الأوّل، كما وافقَ على الثورة السورية الكبرى التي جرتْ عام١٩٢٥م. وتمّ اعتقالهُ لمدّة ثلاثة أشهر في بيروتَ، وبين أعوام١٩٢٧-١٩٢٨ انضمّ إلى الوطنيين السوريين، وبين أعوام١٩٣١-١٩٣٢ تمّ انتخابهُ نائباً على القائمة المناوئة للحكومة، وفي سنة ١٩٣٦ شجّعَ المُضربين أثناءَ الاحتجاجات المُناهضة للانتداب الفرنسي، حتى تمّ وضعهُ تحتَ الإقامة الجبريّة في بيروت.

أمّا محسن البرازيّ، فهو من مواليد حماة ١٩٠٤، من عشيرة البرازية الكردية المُنتشرة في تركيا وبلاد الشّام، أتمّ دراستهُ في تجهيز فرساي بفرنسا، ونالَ شهادةَ الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس، وعادَ إلى سوريا وعُيّنَ أستاذاً مُدرّساً، فوزيراً للمعارفِ، فأميناً عاماً للقصر الجمهوري، فرئيساً للوزارة في عهد حسني الزعيم. وعندما أُطيحَ بالزّعيم، نُفّذَ فيه حُكمُ الإعدام مع حسني الزعيم بتاريخ

الزركلي قاوم الفرنسيين بشعرهِ والسّخرية منهم، فحكموا عليه بالإعدام
خالد البرازيّ قاومَ الاتّحاديين الأتراك أيامَ الدولة العثمانية

١٤ آب ١٩٤٩م. وقد تركَ لنا مجموعةً من المؤلّفات، منها: دروسٌ في الفقه الرومانيّ/ مُحاضراتٌ في الحقوق المدنية الفرنسية/ دروسٌ في الفقه المدني الفرنسيّ.(٤)

خير الدّين الزركلي:

وقامَ العلاّمةُ خير الدين الزركلي المؤرّخُ، الشّاعرُ والدبلوماسيّ والصّحفي، الذي ينتسبُ إلى عشيرة الزركلية الكُردية، في دمشقَ.

قاوم الفرنسيين بشعرهِ والسّخرية منهم، فحكموا عليه بالإعدام، وحُجزتْ أملاكهُ على إثر دخولهم دمشقَ بعدَ معركة ميسلون١٩٢٠م.

وقامَ ابنُ عمه محمد بن سليم الزركلي بالمُشاركة في الثورة السورية الكبرى، وتمّ اعتقالهُ عام١٩٢٢ لمشاركتهِ في المظاهرات احتجاجاً على اللورد بلفور، واضطرّ إلى الرحيل إلى شرقي الأردن بسبب عملهِ لقصيدةٍ ألقاها في ذكرى ميسلون، هاجمَ فيها سُلطات الانتداب الفرنسي.(٥)

عبد الرحمن الكواكبيّ:

يُعدُّ المُفكّر الثائر عبد الرحمن الكواكبي من أوائل مَن تصدّى للاستبداد والظُّلم العثماني أيامَ حُكمهم لبلاد الشّام، فهو من مواليد مدينة حلب عام ١٨٥٥م، وقد اختلفتِ الأقوالُ حولَ أصلِ أسرته الكواكبيّة، فيُقالُ بأنهم

عربٌ، وآخرونَ يقولونَ بأنهم كُردٌ، والقولُ الثاني هو ما رجّحهُ الدكتور أحمد الخليل بالاستناد إلى بعض أقوال المؤرّخين والحقائق التاريخيّة،(٦) وما ذكرهُ الدكتور كميل الحاج في كتابه (الموسوعة المُيسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي،ص٤٧٠) عن عبد الرحمن الكواكبي بأنه: «**مُفكّرٌ إسلاميّ إصلاحي سوري، من أسرةٍ كرديّةٍ غنيّة**».

لقد جمعَ هذا المُفكّرُ بين الثقافة الواسعة والنزعة العلميّة، عملَ في الصحافة، وشغلَ رئيساً فخرياً لعددٍ من الوظائف في العهد العثمانيّ، وكان حبُّ الإصلاح وحريّة القول باديتينِ في كلّ عملٍ من أعماله، وقيامهِ بإصلاحاتٍ معروفة عندما عُيّنَ رئيساً لبلديّة حلبَ سنةَ١٨٩٢م، وقد أمضى الشطرَ الأكبر من عمرهِ في عهد السُلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، ذلكَ العهد

عبد الرحمن الكواكبي من أوائل مَن تصدّى للاستبداد والظُّلم العثماني أيامَ حُكمهم لبلاد الشّام. دعا إلى حريّة الشعب العربي، ومناهضة الاستبداد العثماني

المعروف بالقهر والاستبداد، وكان من الطبيعي أن يقفَ الكواكبي- وهو مثقّفٌ متنوّر محبٌّ للعدالة والحريّة- موقفَ الغاضب على الاستبداد والمُستبدّين، وأدركَ أنّ الإصلاحَ لابدّ أن يكونَ شاملاً، ويكون على صعيدين اثنين: الأوّل ثقافي، ويتمثّل في نشر العلوم العقلية والتقنية. والثاني سياسي، ويتمثّلُ في تغيير الفكر السياسي الاستبدادي والذي رسّختهُ السلطنةُ العثمانية في العقول والنفوس.

وقد نذرَ الكواكبي نفسَهُ لتنفيذ مشروعه الإصلاحي الشّامل، فسافرَ إلى مصرَ وطبعَ كتابهُ الأوّل (أُمّ القُرى)في القاهرة، وكتابه الثاني (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، وفي هذين الكتابين دعا إلى حريّة الشعب العربي، ومناهضة الاستبداد العثماني، لذلكَ عدّ الكواكبي واحداً من أكثر الشخصيات الفكريّة راديكاليّةً في أواخر القرن التاسع عشر، لكنّ عيونَ السلطان العثماني سخطتْ عليه، وتمكّنت في القاهرة من قتلهِ بدسّ السُمّ له في فنجان القهوة في مقهى يلدز، وتمّ لهم ذلك، فأخذ يتلوّى من الألم ويقيءُ حتى لفظَ آخرَ كلماته «لقد سمّموني يا عبد القادر» وكان يوم ١٤ حزيران سنة ١٩٠٢.(٧)

محمّد علي عابد:

وهو أوّلُ مَن سُمّيَ رئيساً للجمهورية السوريّة، ولدَ في دمشقَ سنة١٨٦٧م، تعلّمَ بها وتابعَ دراستهُ بالآستانة ودرسَ الحقوقَ في باريسَ، وهو من عائلةٍ كرديّةٍ نزحتْ من منطقة «بالو» بجنوب شرق الأناضول إلى سوريا بسبب الخلافات السياسيّة بين أجدادهِ والسُلطة العثمانيّة، وقدّمَ والدهُ دعماً كبيراً بالمال والسّلاح لثورة إحسان باشا التي اندلعت في مُدن ديار بكر وسيرت وأورفا ضدّ العثمانيين.

وفي عهد الانتداب الفرنسيّ للبلاد السوريّة عُيّنَ وزيراً للمالية، وبعدها رئيساً للجمهورية فيها، سنة ١٩٣٢ وحتى ١٩٣٦، ثمّ استقالَ وسافرَ إلى باريسَ والتقى مع النحّاس باشا رئيس وزراء مصر الأسبق وتوطّدتِ العلاقةُ بينهما. وتوفّي في باريس سنة ١٩٣٩م ودُفنَ في دمشق.(٨)

حسني الزعيم:

هو حسني الزعيم بن حسن زعيم البهدينيّ، ولدَ عام ١٨٩٧م في مدينة حلبَ، وهو من أصلٍ كرديّ، وتعلّمَ في المدرسة الحربية في استانبول، وخدمَ في الجيش التركيّ ثمّ الفرنسي أيامَ احتلال سوريا، وتولّى رئاسة الأركان، وثارَ على رأس الجيش السوريّ عام ١٩٤٩م، ونفى مجلسَ النوّاب وقبضَ على زمام الدولة، ولقّبَ نفسَهُ بالمُشير، وألّفَ وزارةً، ثمّ أُنتخبَ رئيساً للجمهوريّة في حزيرانَ عام١٩٤٩م، قُتلَ مع

سليمان الحلبيّ قتلَ الجنرال «كليبر» قائد الجيش الفرنسيّ والحاكم العامّ بمصرَ

رئيس وزرائه محسن البرازيّ رمياً بالرصاص عقبَ انقلابٍ عسكريّ تزعّمهُ العقيد سامي حلمي الحنّاوي، عندما قامَ بانقلابه العسكريّ وكانَ أوّل انقلابٍ يحصلُ في البلاد، قالَ لهُ فارس الخوريّ: «سامحكَ الله، فتحتَ باباً يصعبُ على التاريخِ إغلاقهُ».

سليمان الحلبيّ:

وهو المولود في قرية (كوكان) في جبل الأكراد شمالي حلبَ عام ١٧٧٧م، سافرَ إلى الأزهر الشريف لنيلِ إجازتهِ، وعندما غزا نابليونُ مصرَ واستباحَ مساجدها، قابلَ بعضَ قادة الجيش العثمانيّ، فعاهدَهم على أن يقتلَ الجنرال «كليبر» قائد الجيش الفرنسيّ والحاكم العامّ بمصرَ.

فقصدَ القاهرةَ، وقضى ٣١ يوماً يتعقّبُ كليبرَ حتى ظفرَ به، فطعنهُ بخنجرٍ، كان يُخفيهِ في ثيابهِ، عدّةَ طعناتٍ.

قُبضَ عليهِ وحوكمَ أمامَ محكمةٍ عسكريّة فرنسيّة، فقضتْ بإعدامهِ صلباً على الخازوق، بعدَ أن تُحرقَ يدهُ اليمنى، ثمّ يُترك طُعمةً للعُقبان، ونُفّذَ فيه ذلك، في تلّ العقارب يوم ١٧ حزيران١٨٠٠م، وعُلّقتْ إلى جانبه رؤوسُ ثلاثة من عُلماء الأزهر.

ولا زالَ الخنجرُ الذي طعنَ به كليبر محفوظاً في مدينة كاركاسون بفرنسا، كما حفظوا جمجمتهُ في غرفة التشريح بمدرسة الطبّ بباريسَ.

يوسف العظمة:

وهو من كبار الشّهداء والمناضلين في سبيل استقلال سوريا الحديثة. هو من مواليد دمشقَ عام١٨٨٤م، خدمَ ضابطاً في الجيش العثمانيّ، وعُيّنَ رئيساً لأركان حرب الفرقة العثمانيّة في بلغاريا ورومانيا، ثمّ رئيساً لأركان حرب الجيش العثمانيّ المُرابط في قفقاسيا، فرئيساً لأركان حرب الجيش الأول بالآستانة.

ولمّا انتهتِ الحربُ العالميّةُ الأولى عادَ إلى موطنهِ في دمشقَ، فاختارهُ الأمير فيصل بن الحسين مُرافقاً لهُ، فرئيساً لأركان الحرب العامّة برتبة قائم مقام في سوريا، ثمّ ولاّهُ وزارةَ الحربيّة سنةَ١٩٢٠، فنظّمَ الجيشَ الوطنيّ الذي ناهزَ عددهُ عشرةَ آلاف جنديّ. استمرَّ في عملهِ إلى أن تلقّى الملك فيصل إنذارَ غورو الفرنسيّ بوجوب تسريح الجيش، وبينما كانَ الجيشُ المُرابطُ على الحدود مُنفضّاً، كانَ الجيشُ الفرنسيّ يتقدّمُ بأمر

الجنرال غورو، فعادَ الملكُ فيصل يستنجدُ بالوطنيين السوريين لتأليفِ جيشٍ أهليّ يقومُ بالدّفاع عن البلاد، وتسارعَ شبابُ دمشقَ وشيوخها إلى ساحة القتال ومعهم بعضُ الجنود ويتقدّمهم يوسفُ العظمة، وعندما سُئلَ: هل تستطيعُ إيقافَ الزحف الفرنسيّ؟ أجابَ: لن أدعَ التاريخَ يُسجّلُ أنّهم دخلوا سوريا بدون مُقاومة.

وكانَ قد جعلَ على رأس وادي القرن في طريق المُهاجمين ألغاماً خفيّةً، فلمّا بلغَ ميسلونَ ورأى العدوَّ مقبلاً أمرَ بإطلاقها، فلم تنفجرْ، فأسرعَ إليها يبحثُ فإذا بأسلاكها قد قُطعتْ، فعلمَ أنّ القضاءَ قد نفّذ، فلم يسعهُ إلاّ أن ارتقى ذروةً ينظرُ إلى دبابات الفرنسيين زاحفةً نحوهُ، وجماهيرُ الوطنيين من أبناء البلاد بين قتيلٍ وشريد، فعمدَ إلى بندقيّتهِ فلم يزل يطلقُ نيرانها على العدوّ، حتى أصابتهُ قنبلةٌ تلقّاها بصدرٍ رحبٍ وكأنهُ ينتظرها، ففاضتْ روحهُ في أشرفِ معركةٍ، ودُفنَ في المكان الذي أُستشهدَ فيهِ يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠.

فوزي السلو

قامَ الشيشكلي بانقلابٍ عسكريّ على حكومة الرئيس معروف الدواليبي، مما أدّى إلى استقالة رئيس البلاد هاشم الأتاسي، فعيّنَ الشيشكلي صديقَهُ فوزي سلو رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة ووزيراً للدفاع والداخلية

وقبرهُ اليومَ يُعدُّ رمزاً للتضحية الوطنية الخالدة، فقد دافعَ عن شرفِ سوريا أمامَ المُستعمرين.

فوزي السلو:

هو قائدٌ عسكريّ سوريّ، وسياسيّ مُخضرَم، وهو كرديّ الأصل.

ولدَ في دمشقَ عام ١٩٠٥م، درسَ في الكليّة الحربية في حمصَ، والتحقَ بالقوات الخاصّة الفرنسيّة، والتي أُنشئتْ عندما فرضتْ فرنسا انتدابها على سوريا في ١٩٢٠.

تخرّج برتبة ملازم ١٩٢٤، ثمّ تمّ ترقيتهُ إلى ملازم أوّل ١٩٢٩، وتعيّنَ أستاذاً للتدريب في المدرسة الحربية.

سافرَ إلى فرنسا ١٩٣٦ ورجعَ لاتبّاع دورة أركان الحرب وبقي في المدرسة الحربية حتى١٩٣٩، وارتقى إلى رتبة مقدّم ثمّ عقيد ١٩٤٤م.

حاربَ في فلسطينَ ١٩٤٨، وكان من الوفد المُفاوض للهدنة السوريّة الإسرائيلية عام١٩٤٩.

كان مُقرّباً من العقيد أديب الشيشكلي الذي عيّنهُ وزيراً للدفاع في جميع الحكومات المدنية ما بين(١٩٤٩-١٩٥١). قامَ الشيشكلي بانقلابٍ عسكريّ في ١٩٥١ على حكومة الرئيس معروف الدواليبي، مما أدّى إلى استقالة رئيس البلاد هاشم الأتاسي، فعيّنَ الشيشكلي صديقَهُ

تربّى أحمد بارافي في جوّ وطنيّ مُفعَم بالثوريّة، حيثُ كان سبباً مباشراً لحماس البارافي في مقاومة الوجود الفرنسي في سوريا ولبنانَ بكلّ قوّةٍ

فوزي سلو رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة ووزيراً للدفاع والداخلية، وحكمَ الرجُلان سوريا حتى عام ١٩٥٣م، عندما استقالَ سلو وأصبحَ الشيشكلي رئيساً حتى عام١٩٥٤.

اعتزلَ فوزي سلو العملَ السياسي، وتوفيّ عن عمرٍ يناهزُ ٦٧ عاماً وذلك سنةَ ١٩٧٢.

أحمد بارافي:

ينحدرُ أحمد بارافي من عشيرة البارافيّة الكُرديّة، التي تقطنُ في(دشتا بارافيا)، في مدينتي خانك وخضّور بين نهري دجلةَ والفرات. وإنّ كلمةَ البارافية تعني (بجانب المياه)

ونتيجةً لتلك الضغوط العثمانيّة هاجرتْ عائلتهُ واستقرّتْ في مدينة دمشقَ، وتحديداً في حيّ الأكراد (ركن الدّين)، واختارتْ عائلةُ البارافي سوريا موطناً دائماً لها.

أمّا نشأتهُ فقد تربّى في جوّ وطنيّ مُفعَمٍ بالثوريّة، حيثُ كان سبباً مباشراً لحماس البارافي في مقاومة الوجود الفرنسي في سوريا ولبنانَ بكلّ قوّةٍ. لم يتخّذ مكاناً محدّداً للمقاومة، بل تحوّلَ من منطقةٍ إلى أخرى. الثّابتُ في تنقّلاته هو هدفٌ واحدٌ: ضرب تواجُد الجيوش الفرنسيّة على الأراضي السوريّة، لذلكَ وعندما أصدرتِ السُلطاتُ الفرنسيّةُ في دمشقَ العفوَ عن جميع الثوّار، استثنتِ البارافيّ، لكنّهُ غامرَ وقدمَ إلى دمشقَ برفقة سلطان باشا الأطرش.

كانَ رفيقاً ولصيقاً لسلطان باشا الأطرش وللشيخ مصطفى الخليلي زعيم ثورة حوران، ومحمد سعيد داري وسعيد العاص وغيرهم. هو بطلٌ من أبطال الثورة السوريّة الذينَ ضحّوا بكلّ ما يملكون لأجل دحر الاستعمار وإجلائه عن أرض الوطن الذي طالما بقيَ هاجساً لكلّ أبنائه.

ولدَ في حيّ الأكراد ١٨٩٨، والتحقَ بسلك الشرطة (أو الدرك كما أطلقَ عليه الفرنسيون) في وقتٍ كان الاتراكُ لا يزالون مُسيطرين فيه على دمشقَ، وتخرّجَ كصفّ ضابط، وعُيّنَ في مخفر الغزلانيّة.

وبعد أن نجحتِ العشائرُ العربيةُ والثوّارُ الذين كان يقودهم فيصل الحسين في طرد العثمانيين من دمشقَ، سارعَ البارافي (وهو كان في العشرين من عمره مُرتدياً زيّ الدرك وبرتبة عريف) فسبقَ جميع الناس وصعدَ إلى سطح سراي الحكومة فأنزلَ العلم التركيّ ورفعَ مكانهُ العلمَ العربيّ على سارية سراي دار الحكومة في دمشقَ. وعندما تشكّلت حكومةٌ وطنية، عُيّنَ العريف أحمد البارافي رئيساً لمخفر الدرك في قطنا.

وبعد أن احتلّ الفرنسيون لبنانَ وانتشرَ جيشهم في أرجائهِ، تركَ البارافيُّ سلكَ الدركِ وانضمّ هو وأخوه عبد القادر، ومعهم ٥٠ فارساً كرديّاً من قوميته إلى قافلة الوطنيين الذين بلغَ عددهم ١٠٠٠ فارسٍ من العرب والكُرد والشّركس وغيرهم مثلَ الأمير محمود فاعور والمجاهد أحمد مريود والذين يعدّون العدّةَ لمُقارعة الفرنسيين في داخل الأراضي اللبنانيّة.

حيثُ احتلّ الفرسانُ منطقةَ مرجعيونَ وواجهوا القوى الفرنسيةَ في مناطقَ لبنانيّة أخرى مثل راشيا والصويرة وشتورا وأنحاء البقاع اللبناني، وألحقوا خسائرَ

فادحة بالفرنسيين، إلى أن أصدرَ الملكُ فيصل أمراً برجوعهم إلى مراكز تجمّعهم في قطنا بعد شهرين من مقاومتهم في لبنانَ، وذلكَ انتظاراً لما سيقومُ به الملك فيصل من تفاهمٍ مع الفرنسيين. وخطّطَ لاغتيال الجنرال الفرنسي غورو في قطنا أثناءَ قيامهِ بزيارة قطنا. وساعدَ الثوّارَ بسلاحٍ وأعمالٍ لوجستيّة وقامَ بمُلاحقة الجواسيس وعُملاء الجيش الفرنسيّ، وشاركَ في ثورة قطنا وثورة جبل العرب، لكنّ أكبرَ معركةٍ خاضها ضدّ الجيش الفرنسيّ كانت في بيته الواقع في ركن الدّين، القابع على سفوح جبل قاسيون المُطلّ على مدينة دمشقَ، وكانتِ المعركةُ التي خاضها من بيتهِ والمُحاصَر بالقوّات الفرنسية من المعارك البطولية المُشرّفة التي تُذكَرُ باعتزازٍ، فقد استبسلَ فيها رغمَ عدم التكافؤ، واستطاعَ أن يقتلَ عدداً من المهاجمين بينهم ضابطٌ فرنسيّ.

ثمّ نزحَ إلى شرق الأردن ومن هناكَ سافرَ إلى فلسطينَ من أجل أن يتصّلَ ببعض الشخصيّات الوطنية فيها، وعاد ثانيةً إلى عمّانَ إلى أن اجتمعَ المجاهدونَ، واتّخذوا خيارَ الرجوع ثانيةً إلى دمشقَ بعد أن استكملوا تجهيزَ العدد المطلوب من الثوّار، والتقوا جميعاً في منزل زعيم جبل العرب سلطان باشا الأطرش، وقرّروا مُهاجمة محطة الدبر، بعدَ أن علموا بأنّ مندوبَ المفوّض السّامي يستقلّ القطارَ من درعا باتّجاه دمشقَ.

وبعدَ معركةِ عين ترما التجأ ثانيةً إلى شرقي الأردن، وبقرارٍ من الأمير عبد الله تمّ توظيف عددٍ من هؤلاء في دوائر حكومتهِ رغمَ اعتراض المستعمر الإنكليزيّ على القرار، وعُيّن بارافي في سلك الدرك، إلاّ أنّ قرارَ العفو الذي أصدرهُ المفوّض الساميّ الفرنسي في دمشقَ بحقّ الثوّار، ورغمَ أنهُ استثنى بارافي من العفو، غير أنهُ عادَ إلى بلدهِ دمشقَ وبرفقة

يوسف العظمة قاد المقاومة ضد الفرنسيين وعندما سُئلَ: هل تستطيعُ إيقافَ الزحف الفرنسيّ؟ أجابَ: لن أدعَ التاريخَ يُسجّلُ أنّهم دخلوا سوريا بدون مُقاومة.

سلطان باشا الأطرش دخلَ إلى دمشقَ، الأمر الذي أحرجَ الفرنسيينَ، وأُعفيَ عنهُ أيضاً.(٩)

الهوامش:

١- جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر.

٢- كتاب(الحكومات السورية في القرن العشرين). تأليف: حسن ظاظا. وسعاد أسعد جمعة. الصادر بدمشق ٢٠٠٦.

٣- هاني الخيّر(أديب الشيشكلي). دمشق١٩٩٤/ الموسوعة العسكرية/ موسوعة أعلام سوريا.

٤- خالد عيسى: شخصياتٌ كردية في الوثائق الفرنسية. ٢٠٠٩

٥- الأعلام/ معجم المؤرّخين الدمشقيين/ موسوعة أعلام سوريا.

٦- أصل الأسرة الكواكبية/ مجلة المعرفة.

٧- د. أحمد الخليل: مشاهير الكرد في التاريخ.

٨- عن كتاب أعلام الكرد للكاتب العراقي مير البصري/ وعن أعلام دمشق في القرن السابع عشر/ ومذكرات نحاس باشا رئيس وزراء مصر.

٩- سليم الجابي(أحمد بارافي: بطلٌ قاومَ الاستعمار الفرنسي). دمشق٢٠٠٦.

عبد الله أوجلان يسجنُ سجّانه

عاطف مغاوري
نائب رئيس حزب التجمع المصري

رغمَ مرور (١٨) عاماً على اعتقال الزعيم الكردي، قائد حزب العمّال الكردستانى، المطالب بحقوق أبناء قوميته الكرد الذين يخضعون للحكم التركي، ولم تهدأ الحركةُ الكردية للمطالبة بكافة الأشكال من أجل التمتع بحقوقهم القومية، ويقدمون مزيد من التضحيات ويقبلون العديد من المبادرات من أجل وقف الصراع ووقف نزيف الدم الكردي- التركي، وصولاً لتسويات من شأنها الإقرار والاعتراف ببعض الحقوق القومية للكرد ..

وإذا كنا قد أطلقنا نداءً فور اعتقال عبد الله أوجلان «فاوضوه بدلاً من أن تحاكموه» وبمراجعة مرافعة عبد الله أوجلان أمام جلاديه أثناء محاكمته من تأكيده على ضرورة مواجهة الثنائية البغيضة التى تستهدف استنزاف الجهد والدماء عبر ثنائية المواجهة كرد / ترك ..

ومن الدروس المستفادة من عملية اعتقال السيد عبد الله أوجلان عام ١٩٩٩ فى تكاتف كل الأطراف فى الإيقاع بالسيد عبد الله أوجلان فى الأسر التركي وضلوع المحور الاستعماري الغربي فى التآمر ضد السيد عبد الله أوجلان وما يمثله من قيمة ورمز فى تاريخ النضال الكردى من أجل نيل الحقوق القومية، والذى مزج بعبقرية بين النضال من أجل الحقوق القومية لقومه والقضية الاجتماعية. انحيازه للقضية الاجتماعية ولم يكن الدافع وراء نضاله وتضحياته بواعث قبلية

أو عشائرية أو اثنيه ضيقة لذا ارتبط دائماً ومناضلى حزبه بالنضال الإنسانى فى مواجهة الاستعمار والهيمنة العربية على مقدرات الشعوب.

وبنضال عبد الله أوجلان واعتقاله يؤكد على حقيقة أن القضايا العربية التحررية هى المرادف الطبيعى للنضال الكردى فى مواجهة التقسيمات والمشاريع الإقليمية والدولية لاقتسام المنطقة من خلال توظيف ثنائيات وصراعات عرقية واختلاق صراع قومى ما بين العرب والكرد رغم أن القوميتين من ميراث التركة العثمانية (رجل أوربا المريض) التى توارثته القوى الاستعمارية الغربية من خلال سايكس-بيكو وما لحق بهما من المشروع الاستيطاني الاقتلاعي بوعد بلفور والذى تجسد بإعلان إسرائيل عام ١٩٤٨ بما يعني أن اختلاق الصراع بين العرب والكرد الهدف منه تهديد مصالح ومستقبل أبناء القوميتين.

ومن المشهود له أن السيد أوجلان عرض وقدم قبل وأثناء الاعتقال عدة مبادرات من شأنها وقف نزيف الدم وإنهاء الصراع الذي يتواصل من عدة عقود وطرح وقف إطلاق النار من طرف واحد عدة مرات، ولكن التفكير الاقصائي والسعي لاستعادة أمجاد سلطانية تدفع الشعوب أثمانها أفشل كل ذلك.

واليوم يقوم السلطان العثمانى الجديد (أردوغان) باللعب بورقة الكرد من أجل المزيد من التغول والتوغل والتوسع على حساب السيادة الوطنية لدول الجوار (العراق وسوريا)، وهو ما نراه بتدخل قواته داخل الأراضي السورية تحت ما يسمى قوات درع الفرات، منتهكاً القانون الدولي باحترام سيادة وأراضي الغير وإلقاء القبض على قيادات حزب الشعوب الديمقراطية الذى حقق نجاحاً باهراً فى الانتخابات التركية والقيام بحل البلديات في جنوب شرق تركيا وديار بكر، بتهمة التعاطف مع الحقوق الكردية وإحلال محلهم قيادات من حزب أردوغان (العدالة والتنمية).

واليوم وفي الوقت الذى يشتد فيه الصراع وتتدخل القوى وكافة الأطراف الدولية ندعو كافة الأطراف الدولية والإقليمية بالتوقف عن الاستخدام اللامبدئى واللا أخلاقى لمعاناة ومطالب الكرد، وفى ذات الوقت نناشد القيادات الكردية بمزيد من الحذر وعدم الانزلاق فى الاستقطابات الإقليمية والدولية فى صراعات المنطقة، والالتفاف حول برنامج ومشروع يحقق أماني وأحلام الكرد القومية.

وإن (١٨) عاماً من الاعتقال لم تؤثر فى موقف عبد الله أوجلان ونضال الكرد إلا مزيد من الانتصار رغم التضحيات تلو التضحيات التي تمهد الطريق من أجل كسب معركة الحقوق.

لم تنطفئ جذوة النضال الكردى ومن سايكس- بيكو الأولى فى بداية القرن العشرين إلى سايكس- بيكو المعدلة فى بداية القرن الحادي والعشرين، والشعوب تدفع أثمان مخططات ومؤامرات دولية وإقليمية وهى دعوة نؤكد عليها لتتجمع حولها القوى والأحزاب السياسية بالوطن العربي، تأكيداً على أن القوميتين العربية والكردية قوميتين توأمتين، مهما سعى أصحاب المصالح لبذر الخلاف والشقاق والصراع بينهما.

أوجلان من مؤامرة للسقوط الى الصمود

كولي فيلي

تنظر القوى العالمية الكبرى إلى منطقة الشرق الأوسط على أنّها دول العالم الثالث أو الرابع... وهي دول تحت الطلب، وجنود في لعبة الشطرنج على رقعة منطقة غنية بكل شيء، ولكن فقيرة فكرياً ويعانون أنيميا ذهنية ..فقد كان وجود حركة إنسانية بحجم وقوة PKK في المنطقة هو حجر عثرة في طريق مباراة الدول الكبرى التي تجري كل بضع سنوات في هذه المنطقة الملتهبة ..لكنّ أوجلان؛ الشخصية الديناميكية قد حاول أن يكيّف روح الثورة مع واقع المنطقة وجوع سكّانها الاجتماعي والأمني والفكري.. لكن في نفس الوقت كان الشخصية الصلبة التي لم تنحنِ أمام سخونة الضغط الدولي... واصطدمت طموحات الحكومات الكبرى بصخرة العناد وتصميم القائد الشرق الأوسطي الذي لم يستسلم أمام عواصف وتسونامي الأورو-أميركي. ولم يكن أوجلان قائداً تحت الطلب، بل كان مطالباً بحقوق إنسانية للإنسان الشرق أوسطيّ والنهوض به، وإخراجه من مرحلة الانصياع الى مرحلة صنع القرار. وهذا بحد ذاته كان خطراً جسيما على مصالح وهيبةِ دول لم ترَ من شعوبنا إلّا ظهوراً محنية للامتطاء، فكيف سيسمح أن تتحول هذه الشعوب الى فرسان؟!

لقد جسّوا نبض أوجلان الثائر، وسجّل مقياس النبض درجة امتياز، ورأَوا أنّ استمرار القلب بهذا المعدل من النبض وصعوبة ترويض هذا الخيل الأصيل سيكون معوقاً أمام تغيير مدمر سيعصف بالمنطقة، ولم يكن بمقدورهم أن يُوقِفوا قلبه عن النبض، وتآمرت عليه كبريات الدول وجعلوا مساحة الكوكب لا تتسع لوجوده، وقد حاصروه وأسروه وسلموه لألد أعدائه لعدة أسباب. وحاولوا ضرب روح المقاومة عند تلامذته وتخويفهم ليحيدوا عن الطريق. ليكون جميلاً في رقبة تركيا ويكونوا الحاكم الفعلي في تحريك تركيا. ولتكون ضربة لأيّة حركة تحرّرية في المنطقة تفكر أن تولد بعيداً عن أضواء وسطوة تلك الدول. ولكسر المطرقة والمنجل في شخص أوجلان، وفي شكل حركته، وإطفاء النجمة الماركسيّة وإلغاء

ولم يكن أوجلان قائداً تحت الطلب، بل كان مطالباً بحقوق إنسانية للإنسان الشرق أوسطيّ والنهوض به، وإخراجه من مرحلة الانصياع الى مرحلة صنع القرار

اللون الأحمر القاني.

والأهم من ذلك فقد كانوا حسب حساباتهم النفسيّة أنّ وضْع الصقر في الأسر سيجعله يضرب رأسه بجدران السجن حتى ينكسر منقاره ويموت جوعاً، فتموت الأسطورة الأوجلانيّة بين جدران السجن، ويصبح عبر الأيام نسياً منسياً. فحسب منظورهم أنّ عاشق للحرية سيموت في الأسر، وأنّ الأغلال ستقوده إمّا إلى الانتحار أو إلى الجنون.

لقد أخطؤوا في دراساتهم وتقديراتهم، وانتقل أوجلان من درجة ثائر إلى درجة فيلسوف معتكف يكتب ألفباء الثورة بشكل مختلف، وتحوّل من قائد ثوري إلى منظّر ومرجعية ثورية ورمز، وانقلبت فكره الانتحار المتوقّعة له الى فكر فلسفي وإشعاع ومنبع لكل متعطش لألفباء الحرية. فقد أضاف السجن إلى شخصية أوجلان أكثر بكثير من حساباتهم، حتّى أصبح مكتبة فكرية- ثقافية – ثورية – إنسانية – حضارية – فلسفية - مرجعية، وفوق كلّ ذلك رمزاً وطنيّاً وقوميّاً وعالمياً.

كان أوجلان يسبق الحدث، ويقرأ المرحلة بشكل دقيق وعقلانيّ، وكان إضافة إلى كونه ثائراً وفيلسوفاً، كان ملماً بعلم الاجتماع والنفس، لقد درس شخصية ابن الوطن الفقير إلى شخصية البرجوازي، ووضع إصبعه على مكامن الضعف والقوّة في مجتمعنا، ودخل إلى قلب المجتمع من الباب المغلق، ألَا وهو باب المرأة؛ تلك القوّة الكامنة غير المكتشفة إلى الآن كثروة طبيعيّة موجودة لم يتعرّف أحد إلى غناه وأهميته، بل لم يكتفوا بإهمالها بل جرى تهميشها والاستهانة بطاقاتها، وبدل أن تكون المرأة نقطة ضعف في المجتمع وكائناً مشكوكاً في قدراته العقلية، فجّر تلك الطاقة، وتحوّلت من مرحلة السبات الى مرحلة التفعيل. لذا صنعَ المفتاح الذهبي لفتح أبواب تلك الخزائن واستثمارها الاستثمار الوطني - الإنساني الصحيح.

هنا وحتى من خلف القضبان قطع أوجلان الطريق أمام الغرب، فقال لهم: أنا بعيد عن الساحة السياسية بالجسد، لكنّ فكري هو خارطة طريق تقطع عليكم خارطة الشرق الأوسطية الجديدة، وتلميذاتي النجيبات هنّ بيضة القبان ولاعبات سياسيات محترفات وقوة لا يستهان بهنّ، ومن بعدي هنّ المرجعية، ولهنّ كلمة الفصل، لذا عليهم ألّا يهمشوننا. وغدت كبريات الدول تتسابق لتأخذ الكورد حليفاً إستراتيجياً لها لأنهم فرسان الشرق، وبعيداً عنهم يبقى الحمل الغربي في المنطقة غير متوازناً ومختلاً، وأيّ كوردي يحلم ليس فقط بدولة بل بشهقة من الحرية بعيداً عن فضاءات أوجلان سيدفن هو وحلمه في وكر الأوهام، وإن كانت الدول سترسم خارطة للمنطقة من جديد على أنقاض سايكس - بيكو، فلن نكون فيها سوى ملعوب فيهم بدل أن نكون لاعبين، لأنّ بناء الدول والأمم لن يكون بالشعارات والارتماء في حضن المحتل واستجداء الشفقه وانتظار الفتات من موائد حسناتهم، بل أنْ نتوحّد تحت راية ترى في الفداء بالروح وقت الحاجة أرخص ما يقدّم قرباناً على محراب الحرية والكرامة، وترى أنّ الحرية تؤخذ ولا تشحذ، ويجب أن نقرأ الواقع بضمير أمة كاملة لا بمصالح شخصيّة ضيّقة، والشعب الذي لا يتعلم ولا يجيد قراءة تاريخه أُمّيٌّ، وإن كان يجيد القراءة والكتابة.

الشرق الأوسط الديمقراطي

بإمكانِنا التبيانُ بكلِّ سهولةٍ أنّ الكردَ تعرَّفوا بكثافةٍ طيلةِ سياقِ التاريخِ على ميولِ التمايزِ الطبقيّ، سواءً تلك النابعةُ من أسبابٍ داخليةٍ أم خارجية. فأسلافُ الكردِ العَريقون الذين شَهِدوا العصرَ النيوليتيَّ من أعماقِه وبطرازٍ ثوريّ، قد تَعَرَّفوا على التمايزِ الطبقيِّ منذ أيامِ المجتمعِ الطبقيِّ السومريّ. وانتقلَ التمايزُ الطبقيُّ ذو البُعدِ الخارجيِّ إلى تمايزٍ ذي بُعدٍ داخليٍّ مع مرورِ الوقت. فمثلاً؛ ترتكزُ السلالةُ الكوتيةُ (2150 – 2050 ق.م) إلى فيدراليةِ القبائلِ الكرديةِ الأصيلةِ التي شَهِدَت التمايزَ الطبقيَّ داخل المجتمعِ السومريّ. كما وشوهِدَ عددٌ لا حصر له من المستجداتِ المماثلة. فالفيدرالياتُ القَبَلِيّةُ الكردية، وخاصةً بشكلِها الملموسِ متجسداً في الهوريين، لها بالغُ الأثرِ داخل كياناتِ الدولِ البابليةِ والحثيةِ والآشوريةِ والأورارتيةِ في العصورِ الأولى. فإما أنّ العديدَ من السلالاتِ الهوريةِ تكَفَّلَت بإنشاءِ تلك الدول، أو أنّ هذه الأخيرةَ كَوَّنَت لنفسِها عدداً كبيراً من السلالاتِ التابعةِ لها بين صفوفِ المجموعاتِ الهورية. هذا أمرٌ مؤكد. ومع ذلك، فقد توخّى الكردُ الأوائلُ الدقةَ الفائقةَ في الحفاظِ على مزاياهم العشائريةِ والقبائليةِ الأصيلة. .

عبد الله أوجلان

فصلية فكرية تحليلية حرة تعنى بشؤون الشرق الأوسط
رقم الاعتماد
لدى نقابة الصحفين العراقيين 148
رقم الإيداع
دار الكتب و الوثائق ببغداد 868 لسنة 2005